الرسول القائد

تأليف

محمود شيت خطاب
الزعيم الركن

الطبعة الثانية
(منقحة)

منشورات
دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة - بغداد

ـ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ـ

الطبعة الثانية
تموز ١٩٦٠

الرسول القائد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله وملائكته يصلون على النبي ۞ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه

وسلموا تسليما

مقدمة

فكّرت في وضع هذا الكتاب ، بعد ما قرأت كثيراً من المؤلفات العسكرية الباحثة في تاريخ حروب القادة العظام ، الذين لمعت اسماؤهم قديماً وحديثاً .

لقد أبرزت تلك المؤلفات بكل وضوح أعمال اولئك القـادة ، ووصفت معاركهم بتسلسل منطقي سهل ، ووضّحت تلك المعـارك بالخرائط والمخططات والأشكال ، وأظهرت الدروس المفيدة منها ، فاضفت بذلك كله الخلود على حياة أولئك الرجال .

وعدت لأقارن بين هذا الاسلوب في البحث ، وبين أسـلوب المؤرخين عندنا في الحديث عن معارك قادة المسلمين ، فوجدت كيف أضاء الأسلوب الأول معالم الطريق للباحثين ، وحقّق قيمة جديدة لأعمال بعض القادة ، بينما طمس الأسلوب الثاني أعمالاً خالدة تستحق أعظم التقدير والإعجاب .

لقد قرأت أكثر كـتب السيرة بإمعان ، فوجدت حياة الرسول العسكرية ذات قيمة لتاريخ الحرب لا تعادلها قيمة أخرى لأي قائد قديم أو حديث ، غير أنها لم تبحث بأسلوب حديث من عسكري مختص بإمكانه معرفة نواحي العظمة الحقيقية فيها ، وإظهار تلك النواحي للعيان ، فبقيت الناحية العسكرية من حياة الرسول غامضة حتى اليوم .

تحدّث مؤرخو السيرة عن معارك الرسول بإسهاب أو باقتضاب ، ومع ذلك فإن الباحث يخرج من دراسة كل معركة دون أن يلمّ بكل تفاصيلها ووقائعها ، ويعود ليسأل نفسه : ما هو موقف الطرفين قبل المعركة ؟ كيف جرى القتال ؟ ما هي الدروس المستنبطة من المعركة ؟ إلى غير ذلك من الاسئلة الحيوية .

إن وصف معارك القواد المسلمين وعلى رأسهم الرسول بهذا الاسلوب ، جعل تاريخ الحرب الحديث يورد أمثلة من أعماق القواد غير المسلمين ، كهنيبال وقيصر ونابليون ومولتكه .. إلخ . ولا يورد أمثلة من أعمال القواد المسلمين كالرسول وخالد وسعد بن ابي وقاص ... الخ ، بينما يدرّس هذا التاريخ للمسلمين وفي بلاد المسلمين !!..

إن سبب ذلك هو (جناية) الاسلوب ، هذه الجناية التي جعلتني أفكر في تأليف هذا الكتاب عن أعمال الرسول العسكرية ، متوخياً تنسيق المعلومات التي جاءت في كتب السيرة بأسلوب علمي بسيط ، تطرّقت فيه الى الموقف العام الطرفين قبل المعركة ، وأهداف المعركة ، وقوات الطرفين ، وسير الحوادث قبل القتال واثناءه وبعده ، ونتائج المعركة ودروسها المفيدة ، تلك الدروس التي لم تقتصر على أعمال الرسول فحسب ، بل أظهرت أعمال المشركين ايضاً ؛ وحاولت إيضاح كل ذلك بالخرائط والمخططات والأشكال ، لمعرفة مواقع المعركة واسلوبها وأسلحتها الغريبة عنا الآن ؛ وبهذا الإيضاح أمكن أن يعيش القارىء في جو المعركة الأصيل ، ويطّلع على تفاصيلها ، ليحصل من ذلك على معلومات وافية عن المعركة من كافة الوجوه .

ولكنني أغفلت ذكر الحوادث التي لا يمكن أن تحدث في الحرب فعلاً ، تلك الحوادث التي يردّدها بعض المؤرخين ليثبتوا للنـاس أن انتصار الرسول كان بالخوارق غير الاعتيـادية بالدرجة الاولى ، لا بتطبيقه مبـادىء الحرب ، ومن الغريب أنهم يعتبرون ذلك من مظاهر الإيمان برسالة النبي .

وإذا كان الرسول قد انتصر بالخوارق ، فما قيمته كقائد ؟ وكيف يحتذي المسلمون بسيرته وقد ذهبت الخوارق وبقي الواقع المرير ؟

لقد كان محمد واقعياً بعيداً عن الخيال ، وكان إذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه ..

ولو اطّلع الرسول على ما حشرَه بعض المؤرخين من الخوارق في سيرته ، لما رضيه ذلك ، لأن الإسلام دين المنطق والعقل ، ومعجزته الخالدة هي أنه دين الفطرة السليمة ، وكان الرسول لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ،

ويحرص على إفهام الناس انه بشر مثلهم !.. قال تعالى : « قل إنما انا بشر مثلكم يوحى اليّ أنما إلهكم إله واحد » وقال سبحانه : « قل سبحان ربي ، هل كنت إلا بشراً رسولاً » ... وروى مسلم في صحيحه : « انما انا بشر مثلكم ، اذا امرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا امرتكم بشيء من امر دنياكم فإنما أنا بشر » .

لقد عمل الرسول بكل مبادىء الحرب المعروفة ، إضافة إلى مزاياه الشخصية الأخرى في القيادة ، لهذا انتصر على أعدائه ، ولو أغفل شيئاً من الحذر والحيطة والاستعداد ، لتبدل الحال غير الحال .

لماذا كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها ؟ ولماذا كان يأخذ بمبدإ (الحرب خدعة) ؟

ماذا كان يحدث لو تردد قبل معركة بدر ، عندما رأى المشركين متفوقين على أصحابه بالعدد والعُدد ؟

ماذا كان يحدث لو استسلم لليأس في معركة أحد بعد أن طوّقته قوات المشركين المتفوقة من كل جانب ؟

ماذا كان يحدث لو ضعفت مقاومته للأحزاب في غزوة الخندق ، خاصة بعد خيانة اليهود ، حين أصبح مهدداً من خارج المدينة ومن داخلها ؟

ماذا كان يحدث لو لم يثبت الرسول مع عشرة فقط من آل بيته والمهاجرين بعد فرار المسلمين في غزوة حنين ؟

كيف نفسّر إصابة الرسول بجروح خطرة في معركة (أحد) عندما خالف الرماة أمره وتركوا مواضعهم لجمع الغنائم ، فخسر سبعين من أبطال المسلمين في هذه المعركة ؟

وأي استعدادات بلغت درجة من الدقة في التفاصيل ، ما بلغته استعدادات الرسول لإحضار جيش العسرة ؟

ولماذا تصلي طائفة من المسلمين في ساعات القتال ، وتأخذ طائفة أخرى أسلحتها حذراً من مباغتة العدو لهم ؟

لماذا كل هذا الحذر الشديد والاستعدادات الدقيقة ، إذا كان انتصار الرسول بالخوارق غير الاعتيادية لا بالأعمال الاعتيادية ؟!

إن النصر من عند الله ، ما في ذلك شك ، ولكن الله لا يهب نصره لمن لا يعد كافة متطلبات القتال .

إن المسلم الصحيح ، هو الذي يقدّر الرسول حق قدره ، فيعترف بان كفاءة الرسول قائداً ممتازاً ، وكفاءة أصحابه جنوداً ممتازين ، هي التي أمّنت لهم النصر العظيم .

أما أن نحشر الخوارق التي لا تحدث في الحروب أبداً ، ونجعلها السبب المباشر لانتصار المسلمين ، فذلك يجعل هذا النصر لا قيمة له من الناحية العسكرية ، بالاضافة الى أن ذلك غير منطقي وغير معقول .

ان اعمال الرسول – ومنها العسكرية – سنّة متبعة في كل زمان ومكان ، فهل يبقى أتباعه ينتظرون الخوارق لينتصروا على أعدائهم ، أم يعدّون ما استطاعوا من قوة ، كما قرر القرآن ، لينالوا هذا النصر ؟

ان سيرة الرسول العسكرية ، تثبت بشكل جازم لا يتطرق اليه الشك ، بأن انتصاره كان لشجاعته الشخصية وسيطرته على أعصابه في أحلك المواقف ، ولقراراته السريعة الجازمة في أخطر الظروف ، ولعزمه الأكيد على التشبث بأسباب النصر ، ولتطبيقه كل مبادىء الحرب المعروفة في كل معاركه – تلك العوامل الشخصية التي جعلته يتفوّق على أعدائه في الميدان ، ولو لم تكن تلك الصفات الشخصية فيه لما كتب له النصر .

* * *

يمتاز الرسول عن غيره من القادة في كل زمان ومكان بميزتين مهمتين : الأولى

انه كان قائداً عصامياً ، والثـــانية ان معاركه كانت لغرض حماية حرية نشر الإسلام ولتوطيد اركان السلام لا للعدوان والاغتصاب والاستغلال .

ان غيره من القـــادة العظام وجدوا أمماً تؤيدهم وقوات جاهزة تساندهم ؛ ولكن الرسول لم تكن له أمة تؤيده ، ولا قوات تسانده ، فعمل عـــلى نشر دعوتـــه ، وتحمّل صابراً أعنف المشقات والصعاب ، حتى كوّن له قوة بالتدريج ذات عقيدة واحدة وهدف واحد .

يمكن تقسيم حيـــاة الرسول من النـــاحية العسكرية الى أربعة أدوار : دور التحشد ، ودور الدفاع عن العقيدة ، ودور الهجوم ، ودور التكامل .

اما دور التحشد : فمن بعثته إلى هجرته إلى المدينة واستقراره هناك ، وفي هذا الدور اقتصر الرسول على الحرب الكلامية ، يبشّر وينذر ويحـــاول جاهداً نشر الاسلام ، وبذلك كوّن الخميرة الأولى لقوات المسلمين ، وحشّدهم في المدينة (بالهجرة) اليها ، وعاهد بعض اليهود ليأمن جانبهم عند بدء الصراع .

أما دور الدفاع عن العقيدة : فمن بدء الرسول بإرسال سراياه وقواته للقتال إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة بعـــد غزوة الخندق ، وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين ، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء .

أمـــا دور الهجوم : فهو من بعد غزوة الخندق الى بعد غزوة حنين ، وبهذا الدور انتشر الاسلام في الجزيرة العربية كلها ، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في بلاد العرب ، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرّضت للاسلام .

والدور الرابـع هو دور التكامل : وهو من بعـــد غزوة حنين إلى أن التحق الرسول بالرفيق الأعلى ، فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور ، فشملت شبه الجزيرة العربية كلهـــا ، وأخذت تحاول أن تجد متنفساً لها خارج شبه الجزيرة العربية ، فكانت غزوة تبوك إيذاناً بمولد الامبراطورية الاسلامية .

بهذا التطور المنطقي ، تدرّج هذا القـــائد العصامي بقواته من الضعف إلى القوة ، ومن الدفاع إلى الهجوم ، وبذلك بزّ كل قائد في كل أدوار التاريخ ، لأنه أوجد قوة كبيرة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد من لا شيء ..

تلك هي الميزة الاولى للقائد العصامي محمد . والميزة الثانية لقيادته : هي ان معاركه كانت حرب فروسية بكل معنى الكلمة ، الغرض منها حماية حرّية نشر الاسلام وتوطيد أركان السلام ، فلم ينقض عهداً ، ولم يمثّل بعدو ، ولم يقتل ضعيفاً ، ولم يقاتل غير المحاربين . لذلك فان إطلاق تعبير (الفتح الاسلامي على عهد الرسول) ليس صحيحاً ، بل يجب أن نطلق تعبير (انتشار الاسلام على عهد الرسول) ، لأنه لم يفتح بلداً لغاية الفتح ، بل لغرض حماية حرّية نشر الإسلام فيه وتوطيد اركان السلام في ارجائه .

ولا عجب في ذلك . لقد كان محمد قائداً ورسولاً .

☆☆☆

وربما يتبادر إلى الأذهان ، أن القيادة في العصور الغابرة كانت سهلة التكاليف لقلة عدد القوات حينذاك بالنسبة إلى ضخامة عددها وكثرة أسلحتها ووسائطها في الجيوش الحديثة ، ولكن العكس هو الصحيح .

ان مهمة القائد في العصور الغابرة كانت أصعب من مهمته في العصر الحديث ، لأن سيطرة القائد ومزاياه الشخصية ، كانت العامل الحاسم في الحروب القديمة ، بينما يسيطر القائد في الحرب الحديثة على قواته الكبيرة بمعاونة عدد ضخم من ضباط الركن الذين يعاونونه في مهمته ويراقبون تنفيذ أوامره في الوقت والمحل المطلوبين ، كما يسيطر القائد على قواته بوسائط المواصلات الداخلية الدقيقة من أجهزة لاسلكية وسلكية ورادار وطيارات ووسائط آلية .

بل ان هيئات الركن مسؤولة حتى عن تهيئة خطة القتال قبل وقت مناسب ، ولا يقوم القائد الا بمهمة الإشراف على التنفيذ .

ان القائد في الحرب الحديثة يحتاج الى العقل وحده ، والقائد في الحرب القديمة يحتاج الى العقل والشجاعة .

☆☆☆

بقي علينا أن نلفت النظر في هذا المكان الى انتقاد بعض المستشرقين لبعض

أعمال الرسول العسكرية ، لأننا لانعود الى الكلام عن هذا النقد مرة أخرى في غير هذا المكان .

ان الرسول عند بعض المستشرقين صاحب رقة تحرمه القدرة على القتال ، ودليلهم على ذلك أنه اشترك بحرب الفجار بتجهيز السهام فقط ولم يشترك في الطعان ، وهو عند بعض المستشرقين صاحب قسوة تغريه بالقتل واهدار الدماء من غير جريرة ، وحجتهم على ذلك قتل أسيرين بعد (بدر) وقتل بعض اليهود بعد غزوة الأحزاب .

ولو لم يكن الهوى وحده هو الذي يثير هذا النقد المغرض ، لما حدث مثل هذا التناقض بين أقوال المستشرقين .

ان المستشرقين لايريدون وجه الحق في نقدهم ، ولو أرادوا الحق لوجدوا أن الرسول لم يقاتل أبداً الا مضطراً ، ولم يأمر أبداً بقتل أحد الا عقاباً له على جريمة نكراء أضرّت أشد الضرر بمصالح المسلمين .

ومن العجيب أن ينتقده هؤلاء لقتله بضعة أشخاص ، لأنهم حالوا بطرق غير شريفة دون حرية انتشار الاسلام ، وعملوا بطرق غير شريفة لإثارة الحرب ، وخانوا عهودهم بعد اقرارها بمواقف حرجة كادت تقضي على المسلمين ، بينما لا ينتقدون قومهم في القرن العشرين على افناء شعوب كاملة لأنهم قاوموا الظلم والعدوان .

ولهم أن يدرسوا قوانين الحرب والحياد في القرن العشرين ، ليروا بأنفسهم أين تكون هذه القوانين الدولية مما طبقه الرسول عملياً في القتال قبل أربعة عشر قرناً ؟..

* * *

لقد درست حياة الرسول العسكرية بروح علمية محايدة ، توخيت منها اظهار الواقع العملي من قيادة محمد ، ذلك الواقع الذي يستحق التقدير كل التقدير .

ولم أنس المواقف التي تستحق التقدير من أعمال المشركين ، لأن قيادتهم

وقواتهم قامت بأعمال ذات قيمة عسكرية في قتالها ضد المسلمين ، مما يجعلنا نلمس ما لاقاه الرسول من مصاعب في القضاء على المشركين .

ان دراستي لحياة الرسول العسكرية بهذا الاسلوب ، مجهود متواضع ، لعل فيه فائدة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ليأخذوا عبرة من حياة قائدهم الأول في اعداد القوة وحماية الإسلام ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

فان استطعت بهذا المجهود أنْ أضيف صفحة نيّرة الى صفحات التـــاريخ العسكري ، أستثير بها نفوس العرب والمسلمين ، فقد بلغت غاية أمنيتي ، والا ، فانما الأعمال بالنيات ...

ولله كل الفضل فيما فعلت ، وله كل الشكر على ما انتجت .

مقدمة الطبعة الثانية

لم تسمح ظروف خاصة بانتشار الطبعة الأولى من هذا الكتاب في البلدان العربية والإسلامية ، بل لم تسمح تلك الظروف بانتشاره حتى في معظم المدن العراقية نفسها إلا بنطاق ضيق جداً للقراء وإلا ما وصل منه هدايا لبعض القادة والمفكرين والصحف في العراق وفي خارجه .

وما كنت أتوقع أن يقابل هذا الجهد المتواضع – على الرغم من محدودية انتشاره – بمثل ما قوبل به من تشجيع لا أملك أن أقابله الآن بغير الشكر الجزيل ، ذلك لأنني أعلم ما تستحقه مثل هذه الدراسة عن رسول الانسانية من جهد وعلم وإيمان لا تتيسّر في أمثالي ؛ ومَن أكون حتى أوفي حقّ دراسة حياة الرسول العسكرية ، وقد عجز من قبلي عن إيفاء حقها أكابر العلماء والمفكرين !

ولكنّ الله يعلم أنني لم أرد بهذا الكتاب إلا وجهه الكريم ، وان أقضي واجباً كنتُ ولا أزال أشعر بثقل مسؤوليته الجسيمة خدمة للرسول القائد باظهار ناحية الجهاد في الاسلام مبسّطة في جهاد النبي العربي العظيم ؛ لهذا وافقت على إعادة طبعه ليتيسّر اقتناؤه في أوسع نطاق من بلاد العروبة والاسلام .

وسيجد القراء الكرام ، أن الحرب في الاسلام حرب دفاعية بكل ما في الكلمة من معنى ، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد ، ولا يريدون من ورائها إلا حماية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام في العالم ؛ لأنّ الاسلام جاء للناس كافة لا لأمة من الامم ولا لشعب من الشعوب ، ولكنه للعالم كله آملاً في تحقيق فكرة سامية ، هي فكرة وحدة الانسانية جمعاء ؛ لهذا شجّع الرسول كل طلب للصلح يعرضه العدو : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » ... وقد يكون

هذا العدو غير مخلص في طلبه هـذا أو يقصد به كسب الوقت استعداداً لحرب أخرى ، ومع كل ذلك يحتم الاسلام النزول عند رغبات العدو السلمية : « وان ارادوا ان يخدعوك ، فإنّ حسبك الله » . . .

ولست اعلم مبدءاً سامياً غير الاسلام يجيز الموافقة على اقرار السلام فوراً دون قيد او شرط بمجرد اقدام العدو على طلب اقراره مهما تكن الظروف والاحوال ؛ ولكن السلام في الاسلام مادة وروح فهو لخير البشر عـلى اختلاف اقطارهم وألوانهم ومللهم ونحلهم ، بينما السلام عند أدعياء السلام مـادة فقط ، لذلك هو عرقلة لتسليح غيرهم وزيادة لتسليحهم من جهة ، وقتل وسحل وتشريد وتعذيب وفتك لأعدائهم من جهة أخرى .

بل ان السلام في الاسلام نور يضيء للناس كافة ، والسلام عند أدعياء السلام نار تحرق وتُدمّر غيرهم من الناس !!

ومتى انتشرت فكرة السلام الاسلامي في العـالم ، ساده السلام الحقيقي وانتشرت في ربوعه السعادة والاطمئنان ، والا فسيبقى في حرب باردة تارة وفي حرب دامية تارة اخرى ، وستبقى الانسانية في هلع دائم من ويـلات الفتن والحروب .

لقد كانت خسائر الشعوب في الحرب العالمية الاولى أقـل من عشرة ملايين نسمة فضلاً عن الخراب والدمار الذي لحق بالممتلكات ؛ ولكن خسائر الشعوب في الحرب العالمية الثانية بلغت اكثر من ستين مليوناً من القتلى المدنيين والعسكريين كما قتل سبعة عشر مليون طفل بالغارات الجوية ودمّر ثلاثون مليوناً من الابنية واثنان وعشرون مليوناً من المساكن عدا المآسي المروّعة التي صاحبت الحرب .. فكم ستكون خسائر الانسانية من حرب عـالمية ثالثة ، وقد أصبحت الاسلحة التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية قديمة جداً وكأنهـا لعب اطفال بالنسبة للاسلحة النووية والصواريخ عابرة القارات ... الخ التي ستستخدم اذا نشبت حرب جديدة ؟؟

ان الاسلام وحده هو الذي يستطيع نشر السلام في ربوع العالم ويشيع فيه الثقة والاطمئنان ، أما دعاة السلام الذين هم في الحقيقة اعداء السلام ، فقد عرف الناس ماذا يعني سلامهم من فتك وتدمير يشمل الأبرياء على حد سواء .. هؤلاء الادعياء يجب ان يتواروا الى الابد خجلاً من الكرامة الانسانية التي عفروها في التراب ويفتشوا عن احبولة أخرى لايعرفها الناس غير الادعـــاء بأنهم انصار السلام !!!

والله أسأل ان يهدي الانسانية الى طريق المحبة والخير والحب والسلام .

محمود شيت خطاب

الحرب العادلة (١)

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

القرآن الكريم

---

(١) معنى الحرب

يقصد بالحرب كل كفاح يقوم بين القوات المسلحة لدولتين أو اكثر اذا توفرت لدى احداهما او لديها جميعاً ارادة انهاء ما يقوم بينها من علاقات سلمية .

الحرب العادلة

هي الحرب التي توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ، ويشترط فيها ان تكون مطابقة للقواعد الانسانية ، وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، كما يشترط فيها وجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الاسرى والرهائن .

الحرب غير العادلة

هي الحرب التي لم يكن لها سبب عادل يبررها ، كأن تدخل دولة في حرب لتغتصب بعض اقليم دولة أخرى أو لتخضعها لحكمها .

القتال في الإسلام

معنى القتال في الاسلام

هو قتـــال العدو ، لتأمين حرّية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام ، مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة في القتال [1] .

متى شرع القتال في الاسلام

كان القتال محرماً على المسلمين قبل الهجرة ، فلمّا اشتد عداء قريش وأخرجوا الرسول وأصحابه من ديارهم وأموالهم ، هاجر المسلمون الى المدينة ، فنزلت أول آية في القتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأنّ الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله » .

لقد خرج الرسول غازياً في صفر عـلى رأس اثني عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة ، وبذلك بدأ القتال (فعلاً) في الإسلام .

اهداف القتال في الاسلام

١ ـ حماية حرية نشر الدعوة

ليس من أهداف الحرب في الإسلام (نشر) الدعوة ، بـل (حماية حرية)

---

(١) حرب الفروسية

كفاح شرف لايجوز ان يلجأ المحاربون فيه الى عمل أو اجراء يتنافى مع الشرف . فالشرف العسكري يستلزم احترام العهد المقطوع ويحرم استعمال السلاح الذي لايتفق استعماله مع الشرف ، او القيام بعمل من اعمال الخيانة . ويجب مواساة الجرحى والمرضى والعناية بهم وعدم الاجهـاز عليهم وعدم التعرض لغير المقاتلين وللآمنين من السكان .

نشرها لان نشر الدعوة بالقوة معناه الاكراه : « لا إكراه في الدين ، قد تبيّن الرشدُ من الغي » .

ولكن هدف الحرب في الإسلام هو حماية حرية العقيدة وتأمين حرية انتشارها بين الناس ، وصدّ الاعتداء الخارجي على بلاد المسلمين : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين » .

إن الحرب في الاسلام حرب دفاعيّة ، لايبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد ، ولا يقاتلون الا مكرهين على القتال ويعتبرون الحرب كفاح شرف لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيها الى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف : إحترام العهد ، والترفّع عن الخيانة ، ومواساة الجرحى والمرضى والأسرى والعناية بهم ، وعدم التعرض لغير المقاتلين من النساء والأطفال والشيوخ ...

٢ – توطيد أركان السلام

تكون الأمة بغير جيش قوي عرضة للضياع ، إذ يطمع فيها أعداؤها ولا يهابون قوّتها ، فاذا كان لها جيش قوي احترم العدو ارادتها ، فلا تحدثه نفسه باعتداء عليها ، فيسود عند ذاك السلام : « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون... » « وان جنحوا (للسلم) فاجنح لها » ... « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة [1] » « ان السلام في الاسلام (دين) ، اما عند غيرهم ..؟!

---

(١) الدكتور مصطفى السباعي: نظام السلم والحرب في الاسلام ص٧–٨.

أول ما يلاحظ في الاسلام اشتقاق اسمه من مادة (السلام) : والاسلام والسلام من مادة واحدة ، وليس الاسلام الا خضوع القلب والروح والجسم لنظام الحق والخير ...

ومن اسماء الله في القرآن (السلام) : « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس (السلام) المؤمن المهيمن ... » .

وتحية المسلمين حين يلقى بعضهم بعضاً : (السلام عليكم ورحمة الله). وهي تحية المسلم لنبيه في الصلاة : (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) وتحية المسلم لاخوانه في عالم الخير والحق في

أنواع القتال في الاسلام

١ - قتال المسلمين للمسلمين :

هذا النوع من القتال ، هو شأن من الشؤون الداخلية للمسلمين ، فقد فرض القرآن حالة بغي وخروج على النظام العام تقع بين طوائف المسلمين بعضها مع بعض ، أو بين الرعية وراعيها ، فوضع لها تشريعاً من شأنه أن يحفظ على الأمة وحدتها وعلى الهيئة الحاكمة سلطانها وهيبتها ، ويقي المجموع شرّ البغي والتعادي : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ».

هذه الآية تفرض حالة اختلاف يقع بين طائفتين من المؤمنين ، ولا يستطاع حله بالوسائل السلمية ، فتلجأ كل منها الى القوة ، فتوجب هذه الآية على الأمة

الصلاة ايضاً : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ، وشعار المسلم حين ينتهي من صلاته عن يمينه ويساره : (السلام عليكم ورحمة الله) ، ومن الذكر الوارد بعد الصلاة : (اللهم انت السلام ومنك السلام) .

واحد ابواب المسجد الحرام في مكة وأحد أبواب المسجد النبوي في المدينة يسمى (باب السلام) والجنة وهي مثوى الطائعين في الحياة الاخرة تسمى دار السلام : (ولهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) ، وتحية المؤمنين في الاخرة يوم لقائهم لله هي السلام : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » :

ومن تتبع آيات القرآن ، وجد أن لفظ (السلم) وما اشتق منه ورد فيما يزيد على (١٣٣) آية ، بينما لم يرد لفظ (الحرب) في القرآن كله الا في ست ايات فقط ، ونستطيع ان نؤكد أن فكرة (السلام) تحتل المقام الرئيسي بين أهداف الاسلام العامة ، بل يصرح القرآن بأن الثمرة المرجوة من اتباع الاسلام هي الاهتداء الى طرق (السلام) والنور : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل (السلام) ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

اقول : هذا هو (السلام) في الاسلام ، فأين منه سلام العملاء ادعياء السلام ؟!..

ممثلة في حكومتها أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق ، وتحاول الاصلاح بينهما ، فإن وصلت الى ذلك عن طريق المفاوضات ، وأخذ كل ذي حق حقه ، ورد البغي واستقر الأمن ، فقد كفى الله المؤمنين شرّ القتال ، وان بغت احداهما على الأخرى ، واستمرّت على العدوان ، وأبت أن تخضع للحق وتنزل على حكم المؤمنين ، كانت بذلك باغية خارجة على سلطة القانون متمردة على النظام ، فيجب على جماعة المسلمين قتالها حتى تخضع وترجع الى الحق .

ان القصد من هذا التشريع هو المحافظة على وحدة الأمة وعدم افساح المجال لتفرقها ؛ لذلك فهذه الحرب طريق (للسلم) وقضاء على البغي والعدوان .

٢ – قتال المسلمين لغير المسلمين

شرع قتال المسلمين لغير المسلمين لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين ، وان القرآن حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع والاستئثار واذلال الضعفاء ، وتوخّى به أن يكون طريقاً الى السلام والاطمئنان وتركيز الحياة على موازين العدل والانصاف .

وليست الجزية عوضاً مالياً عن دمٍ أو عقيدة ، وانما هي لحماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعوية مع المسلمين سواء بسواء ... يدل على ذلك أن جميع المعاهدات التي تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد ، كانت تنص على هذه الحماية في العقائد والأموال، وقد جاء في عهد خالد بن الوليد لصاحب قس الناطف : « اني عاهدتكم على الجزية والمنعة ... فان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا حق تمنعكم » .

لقد ردّ خالد بن الوليد على أهل حمص وأبو عبيدة على أهل دمشق ، وبقية القواد المسلمين على أهل المدن الشامية المفتوحة ما أخذوه منهم من الجزية حين اضطر المسلمون الى مغادرتها قبيل معركة اليرموك ، وكان مما قال القواد المسلمون لأهل تلك المدن : « انا كنا قد أخذنا منكم الجزية على المنعة والحماية ، ونحن الآن عاجزون عن حمايتكم ، فهذه هي أموالكم نردها اليكم » .

لقد كان فرض الجزية في الاسلام أبعد ما يكون عن الاستغلال والطمع

بأموال المغلوبين ، اذ كانت تفرض بمقادير قليلة على المحاربين والقـادرين على العمل فحسب ، وكانت على ثلاثة اقسام : اعلاها وهي (٤٨) درهماً في السنة على الاغنياء (حوالي دينـارين ونصف عراقي او عشرين ليرة سورية او لبنانية او ٢٤٠ قرشاً مصرياً)

وأوسطها وهي (٢٤) درهماً في السنة على المتوسطين من تجار وزراع .

وأدناها وهي (١٢) درهما في السنة على العمال المحترفين الذين يجدون عملاً .

وهذا مبلغ لا يكاد يذكر بجانب ما يدفعه المسلم نفسه من زكاة ماله وهو بنسبة اثنين ونصف بالمائة القدر الشرعي لفريضة الزكاة .

ان اسقاط الجزية عن الفقير والصبي والمرأة والراهب والمنقطع للعبــادة والأعمى والمقعد وذوي العــاهات اكبر دليل على أن الجزية يراعى فيهـا قدرة المكلفين على دفعها ، كما أن تقسيمها على ثلاث فئات دليل على مراعاة رفع الحرج والمشقة في تحصيلها ، وقد جـاء في عهد خـالد لصاحب قس الناطف : « اني عاهدتـكم على الجزية والمنعة عـلى كل ذي يد : القوي على قدر قوته والمقل على قدر اقلاله »

ليس ذلك فحسب ، بل الاسلام أعفى دافع الجزية من الخدمة في الجيش . والذمي الذي يقبل التطوع في الجيش الاسلامي تسقط عنه الجزية وذلك معنـاه ان الجزية تشابه البدل النقدي للخدمة العسكرية في عصرنا الحاضر .

كما ضمن الاسلام اعالة البائسين والمحتاجين من الذميين . جاء بعهد خـالد لأهل الحيرة : « وايما شخص ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وأعيل من بيت مـال المسلمين وعياله » .

ان فرض الجزية لا يحمل معنى الامتهان والاذلال ، ومعنى (صاغرون) في آية الجزية : « حتى يعطوا الجزية وهم صاغرون » هو الخضوع ، اذ من معاني الصغار في اللغة الخضوع ، ومنه أطلق (الصغير) على الطفل لأنه يخضع لأبويه ولمـن هو أكبر منه ، والمراد بالخضوع حينئذ الخضوع لسلطـان الدولة ، بحيث يكون في

دفع الجزية معنى الالتزام من قبل اهل الذمة بالولاء للدولة ، كما تلتزم الدولة لقاء ذلك بحمايتهم ورعايتهم واحترام عقائدهم .

ولا توجد آية في القرآن تدلّ أو تشير الى ان القتال في الاسلام لحمل الناس على اعتناقه .

وقد نصّ القرآن بوضوح على طريقة معـاملة المسلمين لغير المسلمين : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أو تبرّوهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

واقرأ الآية الكريمة ، وهي من أواخر القرآن نزولاً ، فهي تحدّد ايضاً علاقة المسلمين بغيرهم : « اليوم أحلّ لـكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لـكم ، وطعـامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » .

من ذلك يفهم أن علاقة المسلمين بغير المسلمين هي : برّ ، وقسط ، وتعاون ، ومصاهرة .

تنظيم القتال في الاسلام

١ – تقوية المعنويات

يعمل الاسلام على تقوية معنويات المقـاتلين في سبيل الله ، فيعدهم بمضاعفة أجر العـاملين وثواب المجاهدين ، لأنهم يقاتلون في سبيل انقاذ الضعفاء والبر بالانسان ومقـاومة الجبروت والطغيان ، ولدحض عوامل الشر والافساد : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً . ومالـكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنـا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا .

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، انّ كيد الشيطان كان ضعيفاً » .

واستأصل الإسلام جميع النواحي التي ينبعث من قبلها الجبن والخور ، وحثّ المؤمنين على الجهاد في سبيل الله والحق ، في سبيل الخير والسعادة ، فلا الآباء ولا الأبناء ولا الاخوان ولا الازواج ولا العشيرة ولا الأموال ولا التجارة التي يخشى كسادها ولا المساكن ، لا شيء من ذلك كله يصح ان يحول بين المؤمنين وما تقتضيه محبّة الله ورسوله من تضحية وجهاد : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

بمثل هذا الأسلوب القوي ، حارب الاسلام عوامل الضعف ونزعات الخوف وغرس في نفوس الأمة خلق الشجاعة والتضحية والاستهانة بزخرف الحياة في سبيل الحق ونصرته : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . أولئك هم الصادقون » .

لقد توخّى الاسلام تقوية الروح المعنوية ، وما إمدادات المجاهدين بالملائكة إلا لتطمئن قلوب المقاتلين، أي لتقوية معنوياتهم على أصح وأوثق أقوال المفسرين.

٢ – اعداد القوة المادية

حثّ الإسلام على إعداد ناحيتين : القوة والرباط

القوّة تتناول العدد والعدّة ، وهذا يتّسع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب ووسائل ومواد الادامة والتموين وكافة القضايا الادارية الاخرى .

والرباط يتسع لكل ما عرف أيضاً من تحصين الحدود والثغور والاماكن الواهنة تجاه العدو .

يستهدف الاسلام من الحث على اعداد هاتين الناحيتين تأمين السلم والاستقرار ، وذلك لإرهاب العدو ، حتى لا تحدّثه نفسه باستغلال ناحية من نواحي الضعف والتخاذل : « ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

كما يحثّ الاسلام على إنشاء المعامل الحربية لصنع الأسلحة ، ويذكّر بالحديد بصورة خاصة للاستفادة منه للأغراض العسكرية : « وأنزلنا الحديد فيه (بأس) شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله ، إن الله قوي عزيز » .

٣ ــ التنظيم العملي للقتال

آ) الاعفاء من الجندية

أسباب الاعفاء من الجندية في الاسلام محصورة في الضعف ، ويشمل الضعف المرض والعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق .

لم يجعل الاسلام من أسباب الاعفاء من الجندية حمل الشهادات العلمية ولا الانتساب الى الجامعات ولا حفظ القرآن الكريم ، ولا دفع البدل النقدي ، ولا البنوّة لحاكم كبير مما عهدناه في عصور الانحلال ، بل كان العمل في عصر النبي والعصور التالية له على عكس ذلك ، وما كان التفكير في جمع القرآن ، إلا الخوف من أن يذهب بذهاب القرّاء الذين كانوا أكثر القوم إقداماً وبسالة في حرب اليمامة ، وكان إقدامهم وجرأتهم على اقتحام صفوف الاعداء سبباً في أن يستمرّ القتل فيهم : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله » .

ب) إعلان الحرب

يحذّر الاسلام انتهاز غفلة العدو وأخذه على غرّة غدراً : « وإما تخافنّ من قوم خيانة . فانبذ اليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » .

إن المسلمين لا يخونون أحداً ولا يغدرون بأحد ، ويعلنون الحرب صراحة على أعدائهم ، ثم يشرعون بعد هذا الاعلان بالقتال .

ج) الدعوة للجهاد

حذر الاسلام التباطؤ في تلبية داعي الجهاد والتثاقل عنه : « يا أيهـا الذين آمنوا، ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ! فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً ، والله على كل شيء قدير » .

د) عقاب المتخلفين

عاقب الاسلام المتخلّف عن الجهاد عقاباً نفسياً ، اذ يهجر المتخلف أهلُه حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعاً ويقاطعونه ، وينظر اليـه المجتمع نظرة احتقار وازدراء : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لاملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ».

يتوب الله عليهم بعد كل هـذا العقاب ليتوبوا ولا يعودوا الى التخلف مرة أخـرى .

ان عقاب المتخلّف يقتصر عليه فقط ولا يشمل أهله وعشيرته ولا سكان قريته . كما حدث في القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى ، اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلّف وعشيرته ، وحتى بأهل قريته في بعض الأحيان . بحجّة أن هؤلاء يجب أن يسلموا المتخلّف أو ينالهم العقاب .

هـ) تطهير الجيش

يأمر الاسلام بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان ، حتى يكون الجيش كله مؤمناً بعقيدة واحدة يعمل لتحقيقها ويبذل كل ما يملكه في سبيلها ، وبذلك يستطيع الفوز في الحرب : « لو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً » .

و) أساليب القتال

ينظم الاسلام مواضعه الدفاعية ، ويوزع وحداته على تلك المواضع : « واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال » .

ويبتكر القتال بأسلوب الصف الذي لم تكن العرب تعرفه حينذاك ، بل كانت تقاتل بأسلوب الكرّ والفر : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

ان اسلوب الصف يتّفق مع أساليب القتال في العصر الحاضر ، فهو يؤمّن العمق والاحتياط ، ليستطيع القائد معالجة المواقف التي ليست في الحسبان .

ز) الضبط

يحثّ الاسلام على السمع والطاعة للقيادة العامة ، والثبات في المواقف وتجنب أسباب الفشل ، والاعتصام بالله وباليقين : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين »

كما حذر الاسلام من الفرار وبين سوء عاقبته : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيّزاً الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

ح) الكتمان

حذر الاسلام من اذاعة الاسرار العسكرية ، وجعل اذاعتها من شأن المنافقين ، وطلب الرجوع بها الى القيادة العامة ، كما طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من أنباء قبل الركون اليها والعمل بها : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ، لنغرينك بهم ولا يجاورونك فيها الا قليلا » .

ويقول القرآن : « واذا جاءهم أمر من الأمن او الخوف أذاعوا به ، ولو ردّوه الى الرسول والى اولي الامر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

ط) الهدنة (١) والصلح

أمر الإسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب اذا جنح اليها الأعداء، وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء : «وان جنحوا (للسلم) فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين» .

ي) الأسرى

خيّر الإسلام القائد بين أن يمنّ عليهم ويطلقهم من غير فدية او مقابل ، أو

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد .

الهدنة

اتفاق يبرم بين الفريقين المتحاربين بوقف القتال مدة يتفق عليها فيما بينهما . والهدنة اما هدنة تامة او محلية او جزئية . فالهدنة العامة يسري وقف القتال فيها على جميع القوات المتحاربة ويشمل جميع مناطق القتال ، والهدنة المحلية او الجزئية هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربة دون بعضها الآخر .

شروط الهدنة وآثارها

تعقد الهدنة في العادة كتابة ، ولكن لا يوجد ما يمنع قانوناً من عقدها شفهياً ، وينص عقد الهدنة على مبدأ قيامها وانتهائها ، ويتوقف القتال حال اعلان الهدنة ، كما ينص بعبارة واضحة على شروط الهدنة .

نقض الهدنة أو انتهاؤها

اختلف الشراح فيما بينهم على الآثار المترتبة على حصول اخلال من احد الطرفين يبيح للطرف بعقد الهدنة وحق الفريق الآخر في نقضها لهذا السبب والعودة الى اعمال القتال مباشرة .

وكان من رأي فريق من الشراح : أن أي اخلال يقع من أحد الطرفين يبيح للطرف الآخر العودة الى أعمال القتال مباشرة ودون سابق انذار .

أما الشراح المحدثون فيرون أن حصول اخلال يبيح للطرف الآخر ان يعلن الطرف المخل بنقض الهدنة ولا يبيح له العودة الى أعمال القتال مباشرة .

وتنتهي الهدنة بانتهاء المدة المحددة لها، فاذا لم ينص في اتفاقية الهدنة على تاريخ معين لانتهائها، جاز لكل من الطرفين استئناف القتال بعد اعلان الطرف الآخر وفقاً لما هو منصوص عليه في الاتفاقية من الشروط .

يأخذ منهم الفدية من مــال ورجال ، وذلك على حسب ما يرى من المصلحة : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقــاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما مناً بعد وإما فداء » .

ك) المحافظة على العهود

حثّ الاسلام بصورة خاصة على المحافظة على العهود ، وأوجب الوفاء بهـا ، وحرّم الخيانة فيها والعمل على نقضها ، وأرشد الى ان يكون القصد منها احلال الأمن والسلم محل الاضطراب والحرب ، وحذّر أن تكون وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق والوقيعة بالضعفـاء : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدهـــا وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً ، تتخذون ايمانـكم دخلاً بينـكم أن تكون أمة هي أربى من أمة » .

شروط القبول للجندية

لا يقبل في جيش المسلمين الا من تتوفّر فيه الشروط التالية : ـ

١ ـ البلوغ

اعتـــبر سن البلوغ السادسة عشرة كما هو الحال في أكثر الدول في الوقت الحــاضر .

ولا يقتصر التجنيد على الرجـــال البالغين ، بل يشمل النساء البالغات [١] أيضــاً ، فقد استصحب الرسول النساء في غزواته ، بــل كان يصحب معه أزواجه بالاقتراع .

ولم يعترض أحد عــلى اشتراك النساء في الحرب على عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، فلمــا جاء العباسيون ظهر بعض الفقهاء الجامدين ، فأضافوا الى

(١) يكون واجبهن في القتال لتموين المقاتلين والعناية بالمرضى والجرحى ونقلهم من الميدان وللاشتراك في القتال ان حزب الأمر واملت الضرورة القصوى ذلك .

شروط الخدمة العسكرية شرطاً خامساً وهو (الذكورة) ، فحرموا الجيش من عنصر فعّال يزيد في عدده ومعنوياته .

٢ ـ الاسلام

ليدافع عن بلاد المسلمين عن عقيدة واخلاص .

٣ ـ السلامة

تمتّع الجندي بالصحة الكاملة والعقل السليم ، ومن أسباب العجز عندهم المرض المزمن ، وهو الذي طال مرضه ، والعمى .

٤ ـ الاقدام

وهو أن يكون قوي البنية ، عارفاً بالقتال ، قادراً على استخدام سلاحه ، متحملاً مشاق السفر ، غير جبان .

النفير

يقسم النفير الى قسمين تبعاً لحالتين :

١ ـ في حالة الدفاع

أي عند اعتداء العدو على بلاد المسلمين ، فعند ذاك يكون النفير عاماً ، فلا يستطيع التخلّف عن الجهاد مسلم ، الا ويرمى بالنفاق ، ويعاقب بأشدّ العقاب .

ان الجهاد في هذه الحالة فرض عين كما يعبّر عنه الفقهاء .. والنفير العام معناه دعوة جميع القادرين على حمل السلاح للاشتراك في الحرب .

٢ ـ في حالة التعرض

أي في حالة دعوة قسم من الأمة للفتح ، وعند ذاك يكون النفير خاصاً ، وفي هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية ، كما يعبر عنه الفقهاء .. والنفير الخاص معناه دعوة بعض القادرين على حمل السلاح للاشتراك في الحرب .

البلاد العربية
عند ظهور الإسلام
البحر الأبيض
تدمر
دمشق
الجابية
الغساسنة
بصرى
مؤتة
المدائن
الحيرة
الكوفة
تنوخ
البصرة
الأبلة
الخليج الفارسي
فدك
تبوك
تيماء
نجد
خيبر
المدينة
هوازن
كندة
اليمامة
عمان
مكة
سليم
هذيل
اليمن
مأرب
صنعاء
حضرموت
عدن
البحر العربي
المقياس

الخلاصة

لقد أوضحنا القتال في الاسلام من الوجهة النظرية ، وسنرى التطبيق العملي لكل ما اوضحناه في جهاد الرسول .

ومن ذلك يتضح أن الاسلام يدعو للقتال كضرورة لحماية حرية التوحيد : توحيد الله وتوحيد الناس .

ان الاسلام لا يؤمن بالحروب التي تثيرها العصبية العنصرية ، كما يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع : حروب الاستعمار والاستغلال والبحث عن الاسواق والخامات واستعباد المرافق والرجال ، كما يستبعد الاسلام تلك الحروب التي يثيرها حب الامجاد الزائفة أو حب المغانم الشخصية .

ان السلم في الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هي الاستثناء ...

قبل نشوب القتال

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » .

القرآن الكريم

الموقف العسكري العام

المسلمون

١ ـ الدعوة سرّاً

بدأ العمل للتحشد منذ نزل الوحي على الرسول ، فأخذ يدعو الناس إلى توحيد الله وتزكية نفوسهم وتطهيرها ، وتوحيد الصفوف وفناء مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة .

عرض الرسول الإسلام على آل بيته وأصدقائه الذين يعتمد عليهم ، فآمن به الصفوة المختارة الذين كوّنوا الخيرة الأولى لجيش المسلمين . .

واستمرت الدعوة سراً ثلاث سنين حتى نزل قول الله : « وأنذر عشيرتك الأقربين » .

٢ ـ الدعوة علناً

إبتدأ الرسول يدعو قريشاً إلى الإسلام علناً ، وابتدأت قريش تظهر خصومتها للدعوة ، واخذت خصومتهم تشتد وتعنف كلما زاد عدد المسلمين .

إعتبرت قريش المسلمين عصاة ثائرين ، فاستباحت في الحرم الآمن دماء وأموال المستضعفين من المسلمين ممن لا أعوان لهم يدفعون عنهم الظلم والعدوان .

أسلم عمّار بن ياسر وأسلم أبوه وأمّه ، فكان المشركون يخرجونهم في الظهيرة الى العراء فيعذبونهم بحرّها ، فمات ياسر من العذاب ، وأغلظت امرأته القول لأبي جهل ، فطعنها بحربة فماتت هي ايضاً .

ولاقى مثل هذا العذاب ومثل هذا المصير كثير من المستضعفين .

ولم تكتف قريش بذلك ، بل شنّت حرباً من السخرية على الرسول وأصحابه ، فزعموا أن الرسول ساحر ، وزعموا أنه كاهن أو شاعر أو مجنون .

وسيطرت قريش على القبائل الوافدة إلى مكة للحج أو للزيارة أو لأغراض أخرى ، فخصّصوا جماعة منهم لاستقبال الوافدين لينفّروهم عن محمد ودعوته .

ولكنّ الرسول كان يذهب الى الحجيج في مجامعهم ، ويطلب منهم النصرة على مشهد من رجال قريش .

واشتدّت مقاومة قريش للمسلمين ، فأوعز الرسول الى المستضعفين منهم والى بعض أصحابه أن يهاجروا الى الحبشة ، وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعثه .

ورأت قريش انتشار الاسلام ، فعزمت على عقد معاهدة تعتبر فيها المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يعطف عليهم أو يحمي احداً منهم حزباً واحداً : لا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم شيئاً ، ولا يزوجونهم أو يتزوجون منهم ، وكتبوا ذلك في صحيفة علّقوها في جوف الكعبة توكيداً لنصوصها ، فاضطر الرسول ومن معه الى الالتجاء لشعب بني هاشم ، وانحاز اليهم بنو المطّلب كافرهم ومؤمنهم عدا أبا لهب ، فقد آزر قريشاً في خصومتها لقومه .

واشتدّ الحصار على المسلمين ، فقلّ غذاؤهم وكساؤهم وبلغ بهم الجهد أقصاه ، ومع ذلك لم تفتر خصومة قريش في حملتها على الاسلام وأصحابه وتأليبها العرب عليهم في كل مكان .

وتحمّل المسلمون هذه المحنـــة ثلاث سنوات ، حتى تيقظ ضمير بعض أفراد قريش ، فنقضوا صحيفة القطيعة .

٣ — بيعة العقبة الاولى

قدم سويد بن الصـــامت من الأوس الى مكة حاجاً ، فتصدى له الرسول ودعاه الى الإسلام ، فقال سويد : « ان هذا القول حسن » ثم انصرف الى المدينة

و أخبر قومه بما سمع ، ولكنه قتل يوم (بعاث) عند نشوب القتال بين قومه الأوس وأعدائهم الخزرج من أهل المدينة.

وخرج الرسول يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ، فرأى سبعة رجال من الخزرج عند العقبة ، فعرض عليهم الاسلام ؛ فأجابوه وصدّقوه .

فلمّا عاد هؤلاء الى المدينة ، ذكروا اسلامهم لقومهم ، ودعوهم الى الاسلام ، فانتشر الإسلام في المدينة .

وبعد عام واحد قدم الى مكة في موسم الحج اثنا عشر رجلاً ، فلقوا الرسول في العقبة . فبايعوه على الايمان بالله وحده والاستمساك بفضائل الأعمال والبعد عن الرذائل .

وبعث النبي مصعب بن عمير ليتمهّد انتشار الاسلام في المدينة ويقرأ على أهلها القرآن ويفقههم في الدين ، فدخلت في الاسلام جموع غفيرة من أهل يثرب .

انّ بيعة العقبة أول نجاح عسكري للرسول خارج مكة ، اذ انتشر الاسلام في يثرب ، فأصبح للنبي فيها جنود يعتمد عليهم في الملمّات ...

٤ ـ بيعة العقبة الثانية

لما انتشر الاسلام في المدينة ، خرج منها سبعون رجلاً من المسلمين مع قومهم المشركين يريدون لقاء الرسول في موسم الحج في مكة ؛ فلما وصلوا ، واعدوا الرسول أن يجتمعوا به ليلاً في العقبة .

ومضى ثلث الليل فأخذوا يتسللون جماعات صغيرة الى المثابة في العقبة ، حتى اجتمع هناك سبعون رجلاً من الأوس والخزرج معهم امرأتان : نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء أم عمرو بن عدي .

وجاء النبي ومعه عمّه العبّاس وهو حينذاك كافر ، ولكنه أراد أن يطمئن الى مصير ابن أخيه .

وتكلم العباس وتكلّم بعده الرسول وتلا القرآن ورغب بالاسلام ، ثم قال : « أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم » فبايعوه على ذلك وهم

يقولون : « لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا (١) فبايعنا يا رسول الله ، فوالله نحن ابناء الحروب ، واهل الحلقة (٢) ورثناها كابراً عن كابر » .

وامرهم الرسول ان يخرجوا اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم ، فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .. وبذلك بدأ الرسول بتنظيم أتباعه خارج مكة .

واستمع احد المشركـــين ـ وهو يتجول صدفة بين مضارب الخيام ومنازل الحجيج ـ ما دار في هذا الاجتماع ، فصرخ ينذر اهل مكة : ان محمداً والصبّاء معه قد اجتمعوا على حربكم .

لم يكترث المبايعون بانكشاف امرهم ، بل أرادوا مهاجمة قريش بأسيافهم ، ولكن الرسول امرهم بالعودة الى رحالهم .. اذ لم يأذن الله لهم بالقتال بعد ...

فلما اصبحوا جاءهم رجالات قريش فقـــالوا : « يا معشر الخزرج ، انه قد بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا، وانه والله ما من حي من العرب ابغض الينـا من ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم » .

ولكن مشركي الخزرج الذين لم يكونوا يعلمون ، بالبيعـة ، حلفوا لقريش : انه ما كان من هذا الشيء ، ما علموه ، فصدّقت قريش .

انّ بيعة العقبة الثانية نجاح عسكري آخر للرسول ..

٥ ـ التحشد في المدينة

امر الرسول مسلمي مكة بالهجرة الى اخوانهم في المدينة ، فهـاجر المسلمون بالتعاقب تاركين اموالهم واهليهم هناك .

واجتمع رجالات قريش في دار الندوة ، وقرروا ان يأخذوا مـن كل بطن

---

(١) أزرنا : يعني نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالازار .

(٢) الحلقة : السلاح عاماً ، وبعض اللغويين يخصونه بالدروع .

من قريش شاباً نسيباً وسطاً فتياً ، ثم يعطون كل فتى من هؤلاء سيفاً صارماً ، ويرسلونهم لاغتيال الرسول ، حتى يتفرق دمه في القبائل كلها ، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها ، فيرضون بالديّة .

ولكن الرسول علم بالمؤامرة ، فهاجر مع أبي بكر قبل تنفيذها ، واستطاع الوصول سالماً الى المدينة ، على الرغم من تشبّث قريش الشديد بإلقاء القبض عليه ...

وترامت اخبار المهاجر العظيم الى المدينة .. فكان اهلها يخرجون كل صباح لاستقباله ، فإذا اشتدّ الحرّ عادوا الى بيوتهم ، فلما وصل قريباً من المدينة ، خرج اهلها لاستقباله بالسلاح ، ولبست المدينة حلّة العيد .....

ان هجرة الرسول الى المدينة معناها اجتماع القائد بجنوده في قاعدتهم الامينة ...

٦ – انجاز التحشد

آ) بناء المسجد

انتخب الرسول موضعاً مناسباً لبناء مسجده في المدينة ، وبدأ ببنائه باللبن ، واشترك مع أصحابه في حمل اللبنات والأحجار على كواهلهم ، فتمّ بناء المسجد : فراشه الرمل والحصى ، وسقفه الجريد ، وأعمدته الجذوع .

وتمّ ببناء هذا المسجد بناء (الثكنة) الأولى في الاسلام ..

ب) الأخوّة

آخى الرسول بين اصحابه من المهاجرين والأنصار ، حتى يتعاونوا على أسباب العيش ويكون الجميع يداً واحدة تعمل لهدف واحد .

آخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فقال سعد لعبد الرحمن : « إني أكثر الانصار مالاً ، فاقسم مالي إلى نصفين ، ولي امرأتان ، فانظر أعجبهما اليك فسمّها لي ، أطلقها ؛ فإذا انقضت عدّتها ، فتزوجها » ..

هذا مثال من الايثار الذي كان نتيجة لهذا التآخي .

وظلّت عقود الاخاء مقدّمة على حقوق القرابة في توارث التركات الى موقعة بدر ، حيث استقرّ أمر المسلمين ، فألغي التوارث بعقد الأخوّة ورجع الى ذوي الرحم .

ان التآخي جعل المسلمين كرجل واحد ، يعمل لهدف واحد ، بإمرة قائد واحد .

ج) المعاهدات [1]

عقد الرسول معاهدة بين المسلمين من جهة واليهود المشركين من أهل المدينة من جهة أخرى ، وادعهم فيها وأقرّهم على دينهم وأموالهم .

---

(١) نص المعاهدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .. انهم امة واحدة من دون النـــاس . المهاجرون من قريش على ربعتهم (اي على امرهم الذي كانوا عليه)يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين (ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار واهل كل دار الى ان قـــال) وان المؤمنين لايـــتركون مفرماً (اي المثقل بالدين والعيال) بينهم ان يعطوه بالمعروف وفي فداء او عقل . ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة ظلم (اي طبيعته) او إثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، وان ايديهم عليه جميعاً ولو كان ولد احدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن . وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .. وان من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة (اي المساواة في المعاملة) غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء بينهم،وان كان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً .وان المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض (أي أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيا ينال دماءهم)بما نال دماءهم في سبيل الله . وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه . وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن . وانه من اعتبط (اي قتله بلا جنـــاية كانت منه او جريرة توجب قتله) مؤمناً قتلا عن بينة فانه قود به الا ان يرضى ولي المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه . وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ! ان ينصر محدثاً

وفي هذه المعـاهدة نظم الرسول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لكافة سكان المدينة من المسلمين والمشركين واليهود .

نظم بهـا الحياة الاقتصادية ، فالفقير يجد معـاونة من الغني في معيشته وفك ديونه وتحمل فدائه وديته .

ونظم بها الحياة الاجتماعية ، فالجار له حرمة من جـاره ، وسكان المدينة آمنون فيها من القتل والاغتيـال والغدر ، ولكل دينه الذي هو عليه ، والمجرم ينال عقـابه على جرمه دون أن يحول دون تنفيذ العقاب عليه حائل ، وليس هناك ما يفرّق بين الصفوف من دين أو أغراض أخرى .

هاتان النـاحيتان : الاقتصادية والاجتماعية ، واضحتان ومفهومتان في المعاهدة ، وانما يهمنا الناحية العسكرية فيها بالدرجة الاولى .

(اي جانياً) ولا يؤويه ، وانه من نصره وآواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فـان مرده الى الله والى محمد عليه الصلاة والسلام ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين مـا داموا محاربين . وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم او اثم فانه لايوتغ (اي يهلك ويفسد) الا نفسه واهل بيته . وان ليهود بني النجار ويهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم ويهود بني الاوس ، ويهود بني ثعلبة ولجفنة ولبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف . وان موالي ثعلبة كأنفسهم . وان بطـانة يهود كأنفسهم . وان لايخرج منهم احد الا باذن محمد ، وانه لاينحجر (اي لايلتئم جرح على ثأر) على ثأر جرح وانه من فتك فبنفسه واهـله الا من ظلم . وان الله على ابر هذا . وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة . وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه . وان النصر للمظلوم . وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة . وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها . وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخـاف فساده ، فان مرده الى الله والى محمد رسول الله . وان الله على اتقى مـا في هذه الصحيفة وابره ، وانه لاتجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر عـلى من دهم يثرب ، واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه . وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فان لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين ، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم . وان يهود الاوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة . وان البر دون الاثم لايكسب كاسب الا على نفسه . وان الله اصدق ما في هذه الصحيفة وابره ، وانه لايحول هذا الكتاب دون ظالم او آثم وان من خرج آمن ومن قعد امن بالمدينة الا من ظلم او اثم وان الله جار لمن بر واتقى .

لقد نصّت المعاهدة على قيادة محمد لكافة سكان المدينة : مسلمين ومشركين ويهود . فإليه يرجع الأمر كله ، وله أن يحكم في كل اختلاف يقع بين السكان ، وبذلك أصبح محمد القائد العام في المدينة .

كما نصّت المعاهدة على تعاون أهل المدينة في رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج ، وبذلك توحّدت صفوف أهل المدينة نحو هدف واحد .

كما أعلنت المعاهدة بصراحة أنه لا يجوز لمشرك من أهل المدينة أن يجير مالاً لقريش ولا نفساً ، وأنّ اليهود يعاونون المؤمنين في النفقة عليهم ما داموا محاربين، وبذلك أوشك الكفاح بين المسلمين وقريش أن يبدأ .

بهذه المعاهدة استطاع الرسول أن يجعل أهل المدينة كلهم على اختلاف دينهم يداً واحدة على أعدائهم .

لقد أنجز الرسول بهذه المعاهدة كافّة استحضارات تحشّد قواته ، فأصبحت جاهزة للدفاع عن الاسلام .

٧ – النتائج

لقد استطاع الرسول أن يلجأ إلى المدينة ويحشّد قواته فيها ، ويوّحد صفوف سكّانها على اختلاف ميولهم وأهوائهم ودياناتهم ، ويجعلهم كتلة متّحدة للدفاع عنها ضدّ الغارات الخارجية ، وكتلة واحدة للقضاء على الاختلافات الداخلية .

وعلى الرغم من أنّ المسلمين وحدهم – على قلّتهم يومذاك – هم جيش الرسول الذي يعتمد عليه في كفاح اعدائه ، الا ان الرسول استطاع ان يغرس فيهم عقدة راسخة يؤمنون بها كل الايمان ، وأن يجعل لهم أهدافاً واضحة كل الوضوح يبذلون في سبيل تحقيقها أرواحهم وأموالهم .

لقد كانت أهدافهم الدفاع عن الاسلام والعمل على حماية حرية انتشاره ، وفي سبيل الدفاع عن الاسلام وفي سبيل حماية حرية انتشاره بين الناس يرخصون كل غال ورخيص .

لقد تهيأ الآن للرسول جيش يجمعه هدف موحّد ، يأتمر بأمر قائد واحد ، يستند الى قاعدة أمينة ، وبذلك تهيأت للمسلمين – على رغم قلة عددهم – كل اسباب النجاح عند نشوب القتال .

العرب والروم والفرس

١ – العرب

الشعب العربي يمثل أقدم الشعوب السامية واكثرها نقاءً ، لانعزاله في الجزيرة العربيّة . ولم ينجح أحد الغزاة في دخول هذه الجزيرة .

والعرب قسمان: عدنانيّون أي عرب الشمال ، وقحطانيّون أي عرب الجنوب ، وهذا التقسيم لا يستند الى اساس عنصري ، بل الى ظروف زمانية ومكانية أدّت الى فروق في اللّهجة والثقافة .

وقد أيّدت الكشوف الأثرية وجود أربع دول متحضّرة على الأقل في الجنوب ، وهي معين وسبأ وحضرموت وقتبان .

كما تكوّنت في المنطقة الشمالية كثير من الدول العربية المتحضّرة ، كدولة اللحيانيين في منطقة (الحجر) على خليج العقبة ، ودولة الأنباط في جنوبي سوريا ، ومملكة تدمر في بادية الشام ، ودولة المناذرة على حدود العراق ، ومملكة الغساسنة في الشام ، ومملكة كندة في نجد .

وكانت لهذه الممالك حضارة راقية ، ولكن حضارة العرب قبل الإسلام تدهورت ، فانحطّ المستوى الديني ، وتحكمت فيهم بعض العادات ، كالعصبيّة والثأر ..

كانت أبرز وأقوى القبائل العربية قبيل الاسلام هي قريش التي كانت تسكن مكّة ، وكان الحكم بمكّة ، بيد الأشراف ورؤساء الأسر وأهل القوة واصحاب الأموال .

وقد اصبح لمكّة بسبب موقعها على الطرق التجارية ولسبب حرمتها الدينيّة

اهمية كبيرة ، كما ان الناس احترموا قريشاً ، لأنهم جيران بيت الله الحرام ، فلا يجترىء عليهم احد ، وهذا حفظ تجارتهم من تحرّش كثير من البدو.

ولما كانت مكة بوادٍ غير ذي زرع ، كان عامّة اهلها يشتغلون بالتجارة .

لم يكن عند العرب شعور ديني بالمعنى الصحيح ، فقد كانت آراؤهم الدينيّة ساذجة حينذاك ، فاعتقد البدوي ان في الدنيا قوى خارقة تسيطر عليه بتسليطها الجن والشياطين ، ويرون ان الجن لهم اتصـــال بالكهّان والسحرة ، لذلك كان هؤلاء يتكهنون عن المستقبل ، فاهتمّوا بالسحر والكهـانة ، واستعمل الكهنة لغةً مسجّعة مبهمة .

لقد كانت الجزيرة في فترة تدهور وانقسام سياسي، وفي فترة ركود حضاري، مرتبكة في سير حياتها الاجتماعية ، مضطربة في حالتها الاقتصادية ، منحطة في مستواها الديني .

في هذه الظروف ظهر الإسلام ، فهـــاجم الرسول النظام القبلي والفردية المتطرّفة وإهمال الدين ، وحمل على الاستغلال المادي والظلم الاجتماعي ، وبذلك كان ظهور الاسلام اكبر ثورة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقـــافية ظهرت في العالم عامة ، اذ جاء الإسلام دولة وديناً للناس كافة . .

٢ – الروم

كان الجيش الروماني مرتكزاً على الحـكم الاقطاعي ، وذلك أنّ كل نبيل يُعدّ قائداً لجماعته ، وكان هؤلاء النبلاء يُمنحون الأراضي والعقـارات الشاسعة للقيام بإعاشة أتباعهم . وقد أدى ذلك الى حدوث حروب داخلية ، خـاصة عندما تضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية ، فقد كان كل نبيل يطمع في توسيع ملكه وسلطته على حساب غيره من النبلاء ، بل كان بعض النبلاء ينقضون حتى على الحكومة المركزية في بعض الأحيان .

واعتمد الرومان على الغساسنة والقبائل العربيّة الأخرى في حماية حدودهم الجنوبيّة التي تحدّ الجزيرة العربية وحدودهم الجنوبية الشرقية التي تحدّ فارس

وقد اشتدّت الاختلافات بين طوائف المسيحيين قبيل الإسلام ، حتى شملت العامة والخاصة على حد سواء ، وحتى اشتغل الناس بالجدل فيها أكثر من اشتغالهم بكل عمل آخر ، وشمل هذا الجدل كافة طبقات الناس في مختلف الأماكن والأوقات .

إنّ المسيطر على الجيش الروماني حينذاك هو الارتزاق ، وكثيراً ما كانت أعطيات الجند تتأخر عن مواعيدها لارتباك الحالة الماليّة للدولة ،فيتذمر الجنود، ولم يكن للجيش هدف معيّن يوحّد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق .

وهكذا كان الجيش الروماني جيشاً مرتزقاً يقوده قادة من النبلاء يتولون مناصبهم بالوراثة لا بالكفاءة والمقدرة .

٣ – الفرس

كانت التشكيلات العسكرية للفرس مشابهة للتشكيلات العسكرية عند الرومان، فكان المرازبة والدهاقين يتولّون قيادة الجيوش ويتحكمون في الأراضي الشاسعة والعقارات الكبيرة .

كما اعتمدوا على المناذرة لحماية حدودهم الجنوبية المتاخمة للجزيرة العربية وحدودهم الجنوبية الغربية المتاخمة للرومان .

وكانت العقيدة المجوسيّة مسيطرة على الفرس واكثر اتباعهم ، ولم يكن للجيش هدف يوحّد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق ايضاً .. كما كانت قيادته وراثية وقادته يعتمدون على حسبهم ونسبهم وحظوتهم لدى الأكاسرة لا على قابلياتهم العسكرية وكفاءتهم في القتال .

٤ – النتائج

على الرغم من كثرة القبائل العربية قبيل الإسلام ، فإنها كانت متفرقة لا تخضع إلا لسيطرة رؤسائها الذين تسيطر عليهم اهواؤهم ورغباتهم الشخصيّة .

كما ان النظام العسكري في كل من الامبراطوريتين الفارسية والرومانية كان فاسداً .

ولم يكن لكل من هؤلاء العرب والفرس والروم أهداف يؤمنون بهـا ويضحّون في سبيل تحقيقها .

مناقشة الموقف العسكري للطرفين

أصبح واضحـاً من دراسة الموقف العسكري للطرفين ، أن المسلمين – على قلتهم – أقوى من أعـدائهم المشركين والروم والفرس – على كثرتهم – وذلك لأن المسلمين يمتازون على أعدائهم بعقيدتهم الراسخة وايمـانهم العميق بأهدافهم ، وبذلهم عن طيبة خاطر كل مـا يملكونه في سبيـل تحقيق تلك الأهـداف .

لقد رأينا في الحرب العالمية الثانية وفي كل حرب قديمة وحديثـة ، كيف أن المتحاربين يحاولون بشق الطرق اقناع جيوشهم بعدالة قضيّتهم ، ليدفعوا تلك الجيوش الى التضحية في سبيل تلك القضية .

بذل كل من الحلفاء ودول المحور في الحرب العالمية الثانية أقصى جهودهم لإقناع أممهم والشعوب الاخرى بسمو اهدافهم التي يحاربون من أجلها .

لقد فعل الحلفاء والمحور كل ذلك لغرض واحد : هو جعل جنودهم يقاتلون في سبيل هدف معين ، وجعل شعوبهم والشعوب الاخرى تؤمن بهذا الهدف ، وبذلك وحده يمكن أن يضحّي الجندي بنفسه في ساحات القتال وتضحي الأمة بما تملكه في سبيل تحقيق تلك الأهداف .

انّ كل جيش يحارب (بعقيدة) لتحقيق هدف (معيّن) . لا بد أن (يستقتل) في سبيل عقيدته وهدفه ، وبذلك يصعب قهره اذا لم يكن ذلك مستحيلا . وقد يفشل في معركة محـدودة ، ولكنّ النتيجـة مضمونة له على كل حال .

أمّا الجيش الذي لا عقيدة له ولا هدف ، فما أسهل ان تتحطم معنوياته عند الخطر .... اذا كانت لديه معنويات !!

وما أصدق نابليون حين يقول : « ان العامل المعنوي في الحرب اكثر أهمية من العامل المادي . نسبة ثلاثة الى واحد » ...

ان الموقف العسكري كان بجانب المسلمين نتيجة للاستحضارات الدقيقة الممتازة التي أنجزها الرسول . وقد كان الوقت بصالح المسلمين ايضاً لأنه كلما مرت الأيام ازداد المسلمون عدداً وقوة وازداد ايمانهم بعقيدتهم وتفانيهم في سبيلها .

ان قضية تغلب المسلمين القليلين على اعدائهم الكثيرين ، كانت معلومة النتائج من الوجهة العسكرية قبل نشوب القتال ، نظراً لأعداد قوات المسلمين على نظام رصين مكين ، ونظراً لأن نظام اعدائهم كان فاسداً من كافة الوجوه .

ولعل في توضيح الموقف العسكري للطرفين ما يعطي بعض الجواب للمؤرخين والمفكرين عن تساؤلهم : كيف تم الفتح الاسلامي بمثل تلك السرعة ، فاستطاع المسلمون في خلال ثلاثين سنة فقط من ظهور دعوتهم ، ان يكونوا امبراطورية تمتد من الصين شرقاً الى حدود فرنسا غرباً والى تركستان شمالاً والى البحر العربي جنوباً ... !

الدفاع عن العقيدة

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل
الله ، والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت »

القرآن الكريم

دوريات القتال

والاستطلاع الأولى (١)

الوضع العام

١ - المسلمون

استقر المهاجرون بالمدينة ، وآخى الرسول بينهم وبين الأنصار ، فأصبحوا إخواناً في الله.

ومعنى الإخاء ان تذوب العصبيات الجاهلية ، فلا حمية الا للإسلام ، وان تذهب فوارق النسب واللون والوطن . وقد ظلت عقود الاخاء هذه مقدمة على حقوق القرابة حتى توارث التركات الى موقعة بدر ، اذ بقي بعدها الاخاء المعنوي وانفصم الاخاء المادي في المواريث .

٢ - المشركون اليهود

آ - المشركون

يتربص الأعراب المجاورون المدينة الدوائر بالمسلمين، ويحاولون انتهاز فرصة سانحة للإيقاع بهم .

وتحاول قريش جهدها القضاء على المسلمين في موطنهم الجديد، بعد أن فشلت

---

(١) الدوريات
مفارز واجبها جمع المعلومات عن قوة العدو وتسليحه وعن الارض ، وهي نوعان :
دوريات استطلاع : وهي المفارز التي تحصل المعلومات دون قتال ، لذلك تكون صغيرة العدد سريعة الحركة .
دوريات قتال: وهي المفارز التي تحصل المعلومات بالقتال لذلك تكون قوية في عددها وعددها

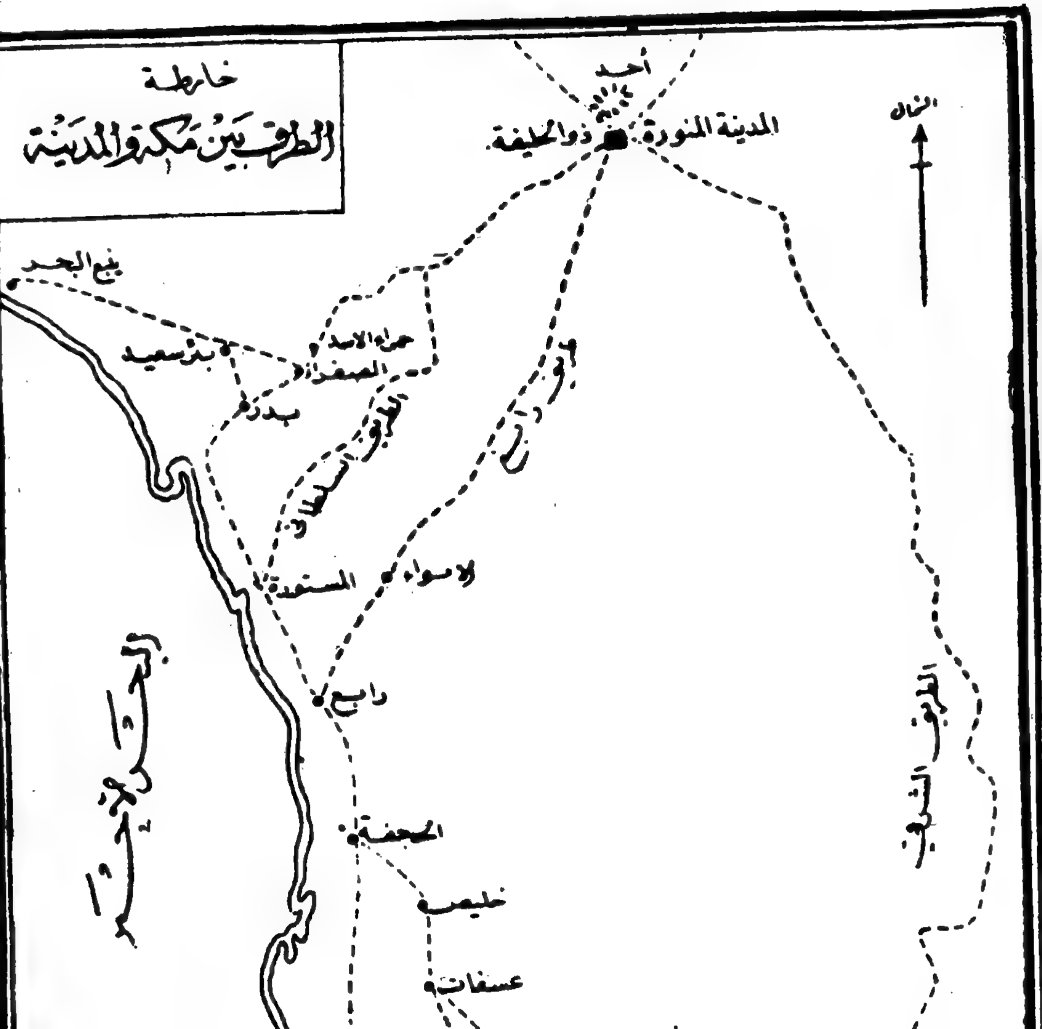
خارطة
الطريق بين مكة والمدينة
أحد
المدينة المنورة
ذو الحليفة
الشمال
ينبع البحر
حمراء الاسد
الصفراء
بئر سعيد
بدر
الطريق السلطاني
الابواء
المستورة
رابغ
البحر الأحمر
الجحفة
خليص
عسفان
جدة
الحديبية
بحره
مكة المكرمة
جبل عرفات
الطائف
الطريق الشرقي
المقياس
ميل

في القضاء عليهم بمكة ، كما يتمنى مشركو ومنافقو المدينة ان يتخلصوا من المسلمين الدخلاء

ب ـ اليهود

طمع اليهود اول وصول محمد الى المدينة ، ان يضموه اليهم ، فوادعوه وعاهدوه على حرّية نشر الدعوة الدين الجديد .

ولكنهم لم يلبثوا حين رأوا أمر المسلمين يستقر ويسمو ، ان بدأوا يقلبون للمسلمين ظهر المجن ويعملون للوقيعة بينهم ، ولم يتركوا وسيلة للدس وإثارة البغضاء بين المهاجرين والانصار ولا يقاظ الاحقاد الماضية بين الاوس والخزرج بذكر يوم (بعاث) ورواية ما قيل فيه من الشعر .... الا استغلوها .

الهدف الحيوي من الدوريات

اشعار المشركين واليهود بقوّة المسلمين لكي يُتركوا احراراً في نشر دعوتهم والدفاع عن عقيدتهم ضد المعتدين .

سير الحوادث
راجع الملحق (آ)

١ ـ سرية حمزة

آ) قوّات الطرفين

اولاً ـ المسلمون

دورية قتال بقوة ثلاثين راكباً من المهاجرين بقيادة حمزة بن عبد المطلب .

ثانياً ـ المشركون

قافلة تجارية لقريش يحميها ثلاثمائة راكب بقيادة أبي جهل بن هاشم .

ب) الهدف

الوصول الى (العيص) على ساحل البحر ، لتهديد طريق تجارة قريش بين مكة والشام .

ج)النتائج

وصلت قوّات المسلمين الى ساحل البحر الاحمر ناحية (العيص) على الطريق لتجارية الحيوية بين مكة والشام ، وهدّدت قافلة قريش التجارية فعلاً ، الا ان (مجدي بن عمرو الجهني) حجز بين الطرفين ، فعاد المسلمون دون قتال .

٢ - سرية عبيدة بن الحارث

آ) قوّات الطرفين

اولاً ــ المسلمون

دورية قتال بقوة ستين راكباً من المهاجرين بقيادة عبيدة بن الحارث

ثانياً ــ المشركون

أكثر من مائتي راكب وراجل بقيادة أبي سفيان .

ب) الهدف

الوصول الى (وادي رابغ) لتهديد تجارة قريش بين مكة والشام .

ج) النتائج

وصلت قوات المسلمين الى (وادي رابغ) على الطريق التجارية لقريش بين الشام ومكة ، ففرّ من المشركين مسلمان كانا يكتمان اسلامهما التحقا بقوّات المسلمين .

وعاد الطرفان دون قتال ، بعد أن أظهر المسلمون للمشركين قوّتهم .

٣ ـ سرية سعد

آ) قوّات الطرفين

اولاً ـ المسلمون

دورية استطلاعية بقوة ثمانية مهاجرين بقيادةسعد بن أبي وقاص .

ثانياً ــ المشركون

قافلة تجارية لقريش بحماية عدد غير معروف من رجالهم .

ب) الهدف

الوصول الى (الخرار) لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام .

ج) النتائج

لم يستطع سعد بن أبي وقاص اللحاق بالقافلة ، ففاتته ، لأن عيـــون قريش علمت بخروج المسلمين اليهم فأسرعوا بالحركة قبل أن يداهمهم الخطر.

٤ ـ غزوة وَدّان

آ) قوّات الطرفين

اولاً ـ المسلمون

دوريّة قتال بقوة مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً ـ المشركون

قوة من قريش ومن بني ضَمْرة .

ب) الهدف

الوصول الى (ودّان) لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام والعمل على التحالف مع القبائل المسيطرة على هذه الطريق .

ج) النتائج

وصلت قوّات المسلمين الى (ودّان) الا انها لم تصطدم بقريش ، بل لاقت بني ضمرة ، فعقد الرسول معهم حلفاً .

٥ ـ غزوة بُواط

آ) قوّات الطرفين

اولاً ـــ المسلمون

دورية قتال بقوّة مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً ـ المشركون

قافلة تجارية لقريش بحماية مائة راكب وراجل يقودهم أمية بن خلف

ب) الهدف

الوصول الى (بواط) من ناحية جبل (رضوى) على الطريق التجارية لقريش بين مكة والشام .

ج) النتائج

وصلت قوّات المسلمين الى (بواط) ، ولكن عيـــون قريش علمت بخروج تلك القوات ، فأسرعت قافلتهم بحركتها ، وسلكت طريقاً غير طريق القوافل المعبّدة ، ففاتت القافلة على دورية القتال .

وقد بقي المسلمون في (بواط) ما يقارب الشهر الواحد .

٦ ـ غزوة العُشيرة

آ) قوات الطرفين

اولاً ـ المسلمون

دورية قتال بقوة مائتي راجل وراكب بقيادة الرسول

ثانياً ـ المشركون

بنو (مدلج) وأحلافهم من بني ضمرة وقافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان

ب) الهدف

الوصول الى موضع (العشيرة) في منطقة (ينبع) على الطريق التجارية لقريش بـــين مكة والشام ، للتفاهم مع القبائـل وإظهار قوة المسلمين للمشركين .

ج) النتائج

أقام المسلمون شهراً في (العشيرة) ، فودعوا بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة .. اما قافلة قريش فتملـصت من المرور (بالعشيرة) .

وعاد المسلمون دون قتال.

٧ ـ غزوة بدر الاولى

آ) قوات الطرفين .

اولاً ـ المسلمون

دورية قتال بقوة حوالي مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً ـ المشركون

قوات خفيفة وسريعة أغارت على مراعي ضواحي المدينة واستاقت بعض إبل وأغنام المسلمين .

ب) الهدف

مطاردة قوات المشركين وتخليص الغنم والإبل المنتهبة .

جـ) النتائج

وصلت قوات المسلمين الى « وادي سفوان » قريباً من « بدر » فلم تدرك قوات المشركين ، فعادت أدراجها بدون قتال .

٨ ـ سرية عبدالله بن جحش

آ) قوات الطرفين

اولاً ـ المسلمون

دورية استطلاعية بقوة ثمانية مهاجرين بقيادة عبدالله بن جحش . تحركت الدورية في شهر رجب ، ومع قائدها رسالة مكتومة ، أمره الرسول وألا يفتحها الا بعد يومين من مسيره ، فإذا فتحها وفهم مـــا فيها ، مضى في تنفيذها غير مستكره أحداً من أفراد قوته على مرافقته !..

كان مضمون الرسالة : « اذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل (نخلة) بين مكة والطائف ، (فترصد) بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم » .

أطلع عبدالله قوته على كتاب الرسول هذا ، وأخبرهم أن الرسول نهـاه أن يستكره احداً منهم على مرافقته .. فلم يتخلف منهم احد . ومضى عبدالله بقوته هذه عدا سعداً بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان اللذين ذهبا يطلبان بعيراً لهما ضل ، فأسرتهما قريش ، حتى نزل ارض نخلة فمرت قافلة قريش ، فهاجمها المسلمون ، فقتل في هذه المعركة من المشركين عمرو بن الحضرمي وأسر المسلمون رجلين من قريش وفر الرابع الى قريش .

وعاد عبدالله بالقافلة والاسيرين الى المدينة .

ثانياً ـ المشركون

قافلة تجارية بحماية أربعة رجال من قريش بقيادة عمرو بن الحضرمي

ب) الهدف

الوصول الى (نخلة)واستطلاع أخبار قريش والحصول على المعلومات عنها ، كما نص على ذلك كتاب الرسول ، ولم يكن الهدف قتال قريش .

ج) النتائج

اولاً ـ أدى (اندفاع) عبدالله بن جحش الى القتال في الشهر الحرام ، بما يخالف تقاليد العرب حينذاك ، فانتهزتها قريش فرصة سانحة للدعاية ضد المسلمين . ولم يكن الرسول يريد (قتالا) ، بل كان يريد استطلاعاً .

ثانياً ـ وقع في هذه الغزوة أول قتيل من المشركين وأول غنيمة وأول أسيرين ، وقد فادى الرسول هذين الأسيرين ، فأسلم احدهما وعاد الثاني أدراجه الى مكة .

دروس من الدوريات

١ ـ الاستطلاع

استطاع المسلمون التعرّف على الطرق المحيطة بالمدينة المؤدية الى مكة خاصة الطريق التجارية الحيوية لقريش بين مكة والشام ، كما استطاعوا التعرف على قبائل المنطقة وموادعة بعضها .

٢ ـ القتال

أثبت المسلمون أنهم أقوياء يستطيعون الدفاع عن أنفسهم تجاه المشركين من قريش والقبائل المجاورة وأهل المدينة ، وتجاه اليهود .

وأن بإمكانهم الدفاع عن عقيدتهم عند الحاجة .

وقد أراد المسلمون من ذلك أن تترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم دون تدخل أعدائهم .

ب) تحالف المسلمون مع بعض القبائل المجاورة

٣ ـ الكتمان

ابتكر الرسول اسلوب (الرسائل المكتومة) للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن حركات المسلمين، والكتمان اكبر عامل من عوامل مبدأ (المباغتة(١)) أهم مبدأ من مبادىء الحرب. وقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الاسلوب الدقيق (الكتمان) قبل أن يفطن اليه الالمان ويستعملوه في الحرب العالمية الثانية .

٤ ـ الحصار الاقتصادي

هدد المسلمون أهم طريق تجارية بين مكة والشام ، فأصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك هذه الطريق ، مما أثّر أسوأ الاثر على تجارة قريش التي تعيش عليها ، وهدد مكة بالحصار الاقتصادي بمحاولة حرمانها من سلوك طريق مكة ـ الشام بأمان .

---

(١) المباغتة

هي احداث موقف لا يكون العدو مستعداً له ، والكتمان من جملة الوسائل المهمة التي تؤدي الى المباغتة .

الملحق (آ)

مجمل بيان دوريات القتال والاستطلاع الأولى

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	سرية حمزة	٣٠ راكباً من المهاجرين	حمزة بن عبدالمطلب	٣٠٠ راكباً	أبو جهل ابن هشام	العيص	رمضان من السنة الأولى للهجرة	حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني
٢	سرية عبيدة بن الحارث	٦٠ راكباً من المهاجرين	عبيدة ابن الحارث	اكثر من ٢٠٠ بين راكب وراجل	أبو سفيان	ماء بالحجاز بوادي زابغ	شوال من السنة الأولى للهجرة	عاد المسلمون بدون قتال
٣	سرية سعد بن أبي وقاص	٨ راكبين من المهاجرين	سعد ابن أبي وقاص	–	–	الخرار	ذو القعدة من السنة الأولى للهجرة	فرت قافلة المشركين

٤	غزوة ودان	٢٠٠ راكب وراجل	محمد	–	–	ودان	صفر من السنة الثانية للهجرة	حالف بني ضمرة
٥	غزوة بواط	٢٠٠ راكب وراجل	محمد	١٠٠ راكب وراجل	أمية بن خلف	بواط	ربيع الأول من السنة الثانية الهجرة	لم يدرك المسلمون القافلة لسلوكها طريقاً غير طريق القوافل المعبدة
٦	غزوة العشيرة	٢٠٠ راكب وراجل	محمد	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	أبو سفيان	العشيرة	جمادى الاولى من السنة الثانية الهجرة	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمره
٧	غزوة بدر الاولى	٢٠٠ راكب وراجل	محمد	–	كرز ابن جابر الفهري	وادي سفوان	جادى الآخرة من السنة الثانية الهجرة	لم يدرك المسلمون كرز بن جابر
٨	سرية عبدالله ابن جحش	٨ راكبين	عبدالله ابن جحش	٤ رجال	عمرو بن الحضرمي	نخلة	رجب من السنة الثانية الهجرة	١ – أول قتيل من المشركين ٢ – أول أسير من المشركين ٣ – اول غنيمة للمسلمين ٤ – اول استعمال للرسائل المكتومة

الصراع الحاسم بين عقيدتين

« اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها
تحاول ان تكذب رسولك ، اللهم
فنصرك الذي وعدتني »
« اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم
لا تعبد »

محمد رسول الله

غزوة بدر الكبرى

المعركة الحاسمة الاولى للاسلام

الموقف العام

١ ـ المسلمون

ازداد عدد المسلمين في المدينة وازدادوا قوة وتماسكاً ، لكن حالتهم الاقتصادية كانت مترديبة ، لان اكثر المهاجرين فروا بأنفسهم وعقيدتهم من مكة وتركوا اموالهم هناك، ولان الانصار شاركوا المهاجرين بأرزاقهم القليلة ، فلا عجب إذا رأينا المسلمين يفكرون جدياً في استخلاص اموالهم من قريش .

٢ ـ المشركون واليهود

اصبح للمشركين ثأر عند المسلمين في قتل عمرو بن الحضرمي ، فلا بد من الاخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش وحلفائها كرامتهم وهيبتهم عند العرب .

كما ان الطريق التجارية الحيوية بين الشام ومكة اصبحت تحت رحمة المسلمين وحلفائهم ، ومعنى ذلك موت تجارة قريش وتردي مركزها الاقتصادي ، كما ان انتشار نفوذ المسلمين وازدياد قوتهم يوماً بعد يوم لا يتفق مع احتكار قريش السيادة على العرب .

تلك هي العوامل المهمة التي جعلت قريشاً تفكر جدياً في انتهاز اول فرصة للقضاء على الدين الجديد ، وكان اليهود في المدينة يثيرون الحرب الباردة ضد المسلمين ويحاولون اختلاق المشاكل لهم ويقومون بواجب (الرتل الخامس) لقريش.

مواضع
بعض الغزوات
الشمال
تبوك
الحجر
خيبر
فدك
جبل احد
المدينة المنورة
ذو القصه
بدر
الابواء
رابغ
الجحفه
عسفان
مكة
الجعرانه
الحديبية
الطائف

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون

بلغت قوة المسلمين (٣١٥) رجلاً من المهاجرين والانصار بقيادة الرسول ، وكان معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة والاربعة على البعير الوحد .

٢ ـ المشركون

بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلاً اكثرهم من قريش ، معهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الإبل لركوبهم وحمل امتعتهم ، وكانت هذه القوة بقيادة عدد من رجالات قريش .

اهداف الطرفين

١ ـ المسلمون

آ) الاستيلاء على القافلة (١) التجارية لقريش بقيادة أبي سفيان ، التي كان يحميها بين ثلاثين الى اربعين رجلاً .

ب) البقاء في (بدر) بعد افلات القافلة حتى يتسامع المشركون بقوة المسلمين فيهابوهم ويتركوا لهم حرية نشر الدعوة لدينهم .

٢ ـ المشركون

آ) حماية القافلة التجارية القادمة من الشام .

ب) عند افلات القافلة تضاربت الآراء في القتال او العودة ، فتغلب

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي .

وسائل العنف الموجهة ضد الاموال

يبيح قانون الحرب للدولة المحاربة الالتجاء الى انواع معينة من وسائل العنف ضد الاموال ، فهو يجيز لها في حدود معينة اتلاف اموال الاعداء ومصادرتها ... الخ .

رأي القائلين بالقتال للأخذ بثأر عمرو بن الحضرمي للقضاء على قوات المسلمين ولتعرف العرب قوة قريش وسطوتها .

قبل المعركة

١ - المسلمون

آ) خرج أبو سفيان أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة في تجارة كبيرة إلى الشام ، وقد أراد المسلمون اعتراضها في غزوة « العشيرة » عند ذهابها إلى الشام ولكنها تملصت منهم .

وتحين المسلمون عودتها من الشام ، فبعث الرسول طلحة بن عبدالله وسعيد ابن زيد ينتظرانها ، حتى اذا وصلاإلى « الحوراء » على طريق الشام - مكة مكثا هناك ، فلما مرت القافلة بهم ، أسرعا إلى المسلمين يخبرانهم بأمرها .

ندب الرسول المسلمين للخروج ، وقال لهم : « هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » . وخف بعض الناس وثقل بعض ، لأنهم لم يظنوا أن الرسول سيخوض معركة حاسمة ضد المشركين ، بل ظنوا أن هذه الغزوة ستكون عبارة عن مناوشات طفيفة ، كما حدث في السرايا والغزوات السابقة ، وأراد جماعة لم يسلموا أن ينضموا الى المسلمين طمعاً في الغنيمة ، فأبى محمد عليهم الانضمام أو يؤمنوا بالله ورسوله .

ب) تحركت قوات المسلمين من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بالترتيبات التالية :

أولا - دورية استطلاعية أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونوايا قريش .

ثانياً القسم (١) الاكبر مؤلف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين ورايتها مع علي

---

(١) القسم الاكبر : تعبير عسكري يقصد له القوة الرئيسية من القطعات المتحركة لاغراض القتال .

ابن أبي طالب ومصعب بن هاشم ، وكتيبة الانصار ورايتها مع سعد بن معاذ وهاتان الرايتان سوداوان .

ثانياً – مؤخرة بإمرة قيس بن أبي صعصعة .

رابعاً – راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم .

ج) سلكت قوات المسلمين طريق القوافل بين المدينة وبدر البالغ طوله حوالي « ١٦٠ » كيلومتراً، وقد قسم الرسول الإبل المتيسرة وعددها سبعون بعيراً على أصحابه ، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي بعير واحد يعتقبونه : تماماً كما يفعل أي فرد من قواته .

قال شريكا الرسول في البعير : « نحن نمشي عنك ». فقال : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » . وأراد بذلك المساواة مع أي فرد من قواته .

د) انطلق المسلمون مسرعين خوفاً من افلات قافلة أبي سفيان منهم ، وبثوا عيونهم يتعرفون الاخبار ، فلما وصلوا ، قريباً من « الصفراء » بعث الرسول دورية استطلاعية قوتها رجلان الى « بدر » للحصول على المعلومات عن قريش وقافلتها ، فلما وصل المسلمون « وادي ذفران » جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم .

هـ) اخبر الرسول اصحابه بما بلغه من امر قريش طالباً مشورتهم فادلى ابو بكر وعمر برأييهما ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ! امض لما امرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى : انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى « برك الغماد (١) » لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

فسكت الناس فقال الرسول : اشيروا علي أيها الناس ، وكان يريد بكلمته هذه الانصار الذين بايعوه يوم العقبة على ان يمنعوه مما يمنعون منه ابناءهم ونساءهم ولم

---

(١) برك الغماد : موضع في اليمن . ويقال : هو اقصى حجر .

يبايعوه على صد اعتداء خارج مدينتهم ، فكان الرسول يخشى الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن يهاجمه في المدينة .

فلما احس الانصار ان الرسول يريد سماع رأيهم ، قام سعد بن معاذ وقال : « لكنك تريدنا يا رسول الله ؟ » فقال : « اجل ! »

قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك . فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً : انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

وارتحلوا جميعاً حتى إذا كانوا على مقربة من بدر) إنطلق الرسول أمام قواته وبصحبته أبو بكر ، حتى وقف على شيخ من العرب . فسأله عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم ، قال الشيخ : « لا أخبركما حتى تخبراني (ممن) أنتما ؟ » .

قال محمد : « إذا أخبرتنا أخبرناك » .

علم الرسول من شيخ العرب أن عير قريش قريبة منه ، فقال لشيخ العرب : « نحن من ماء » . ثم انصرف وصاحبه عنه والشيخ يقول : « ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ » وهكذا لم يخبره الرسول عن هويته حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين .

و) أرسل الرسول دوريتي استطلاع غرضهما الحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها .

الدورية الاولى مؤلفة من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من اصحابه ، استطاعت الوصول إلى ماء بدر ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقهما الرسول ، وعلم منهما أن قريشاً وراء الكثيب (بالعدوة القصوى) ولما أجابا : « بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش » . سألهما:

كم ينحرون يومياً ؟». فأجابا : « يوما تسعاً ويوماً عشراً» ، فاستنبط الرسول من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف ، وعرف من الغـلامين كذلك أن أشراف قريش جميعاً خرجوا لمنعه .

والدورية الثانية مؤلفة من رجلين من المسلمين وصلا ماء بدر ، فسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك » فعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا .

ز)تأهب المسلمون لخوض المعركة وعسكروا في أدنى ماء من بدر، فجاء الحباب بن المنذر الى رسول الله ، فقال : « أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمـــه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟».

قال : « بل هو الحرب والرأي والمكيدة » .

قال الحباب : « يا رسول الله . فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فنعسكر فيه ثم نعوّر (١) ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون » ..

أنفذ الرسول هذا الرأي ، فما حل نصف الليـــل حتى تحول المسلمون الى معسكرهم الجديد ، وامتلكوا مواقع الماء ، وأعلن الرسول لأصحابه : « أنه بشر مثلهم ، وان الرأي شورى بينهم ، وانه لا يقطع برأي دونهم ، وأنه في حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم »...

وانجزوا بناء الحوض وملأوه ماء ، ثم غوروا المياه الاخرى ، وتم كل ذلك ليلاً ، ثم أخذوا قسطهم من الراحة بقية الليل ، ليكونوا أقوياء في الصراع الوشيك .

---

(١) نعور : تروى هذه الكلمة بالعين المهملة . ومعناها على ذلك (نفسد) وذلك بأن يقذفوا في القلب احجاراً وتراباً فيفسدوها على اعدائهم . وتروى بالغين المعجمة. ومعناها عندئذ نجعلها تغور في الارض . وهو قريب من سابقه .

٣ - المشركون

علم أبو سفيان بخروج محمد لاعتراض قافلته حين رحلته إلى الشام ، فخاف أن يعترضه المسلمون حين عودته .

لقد كانت القافلة حوالي ألف بعير موقرة بالأموال ، اذ لم يبق أحد من قريش رجالا ونساء لم يساهم فيها بحظ حسب إمكانياته الاقتصادية، حتى قوّم ما تحطه القافلة بخمسين ألفاً من الدنانير .

ولما تأكد أبو سفيان من خروج محمد وأصحابه للتعرض لقافلته العزلاء الا من ثلاثين أو أربعين رجلا ، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه مسرعاً الى مكة ليستنفر قريشاً الى اموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها ، في أصحابه .

وصل ضمضم الى مكة ، فقطع اذن بعيره ، وجدع أنفه وحوّل رحله ، ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر ، وجعل يصيح : يا معشر قريش ! اللطيمة اللطيمة (١) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه .. لا أرى أن تدركوها . الغوث الغوث ...

ولم تكن قريش في حاجة الى من يستنفرها ، فقد كان لكل فرد منها في العير نصيب .

ولما فرغت قريش من جهازها واجمعت المسير، ذكرت ما كان بينها وبين بني (كنانة) من الحرب والحزازات ، فخشوا أن تضربهم (كنانة) من الخلف، وكاد هذا المحذور يقعدهم عن الخروج لولا أن جاء مالك بن جشعم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه » ...

إذ ذاك قررت قريش الخروج خاضعة لرأي دعاة الحرب وعلى رأسهم أبو جهل ، أشد الناس عداوة للمسلمين ، وعامر بن الحضرمي أخو عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون في (نخلة) والذي يحرص على الأخذ بثأره .

---

(١) اللطيمة : هي الابل تحمل الطيب .

ولم يتخلف من أشراف قريش غير أبي لهب الذي أرسل مكانه رجلاً آخر ، كما حشد هؤلاء كافة القادرين على حمل السلاح من قريش وحلفائهم .

وسبق أبو سفيان قافلته للحصول على المعلومات عن قوة المسلمين ومواضعهم، فلما ورد ماء بدر وجد عليه مجدي بن عمرو ، فسأله : « هل رأى أحداً من المسلمين ؟ » فأجاب مجدي : « لم أر الا راكبين أناخا الى هذا التل » ، واشار الى حيث أناخ الرجلان من المسلمين .

فحص أبو سفيان مناخهما ، فوجد في روث بعيريهما نوى عرفه في علائف يثرب فأدرك أن الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه منه قريب ، فرجع الى القافلة ليغيّر طريقها نحو الساحل ، تاركاً بدراً الى يساره ، وأسرع في مسيره حتى بعدت المسافة بين القافلة وبين قوات المسلمين ، وارسل أبو سفيان الى قريش يطلب منهم ان يعودوا أدراجهم الى مكة لنجاة قافلتهم من المسلمين .

وأرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي ليستطلع لهم قوة المسلمين ، فرجع إليهم ليخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ولا كمين لهم ولا مدد، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلاً مثله . وتضاربت آراء قريش ، فمنهم من يريد الرجوع منهم بنو زهرة الذين رجعوا فعلا ، ومنهم من يريد البقاء ، ومعنى ذلك الاصطدام بالمسلمين .

قال أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين : « والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم عليه ثلاثة ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

وقصد حكيم بن حزام عتبة بن ربيعة فقال : « يا أبا الوليد ! إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها . هل لك الى ان لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ؟ » .

قال عتبة : « وما ذاك يا حكيم » ؟ .
قال حكيم : « ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي » .

قال عتبة : « قد فعلت . أنت علي بذلك ، إنما هو حليفي فعلي عقله (١) وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية - يقصد أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر - أي يخالف بين الناس ويحملهم على عدم الوفاق - أمر الناس غيره » .
قال حكيم : « فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته نثل درعاً - أي أخرج درعه - من جرابها ، يهنئها - أي يتفقدها ويعدها للقتال - فقلت يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلني إليك بكذا كذا » ..

قال أبو جهل : « انتفخ والله سحره(٢) - يقصد ان عتبة جبن - حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى ان محمدا وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، تخوفكم عليه » ..
وبعث أبو جهل الى عامر الحضرمي فقال : « هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ،وقد رأيت ثأرك بعينيك ،فقم فانشد خفرتك(٣) » . فقام عامر الحضرمي فاكتشف ، ثم صرخ : « واعمراه !! واعمراه !!

ولما علم عتبة قول أبي جهل : « انتفخ والله سحره » قال: «سيعلم مصفر استه - أي الجبان - من انتفخ سحره ، أنا أم هو ! » .
ولم يبق من القتال مفر .

سير القتال

١ أنجز المسلمون قبل بدإ القتال ما يلي : -

---

(١) عقله : ديته .
(٢) سحر : الرئة وما حولها .
(٣) الخفر : بضم الخاء او فتحها هو العهد . وانشدها اي اذكرها .

ا ـ انتخب الرسول موضعاً مشرفاً على منطقة القتال في بدر وبنى فيه مقره ـ العريش ـ وأمن حراسة هذا المقر .

ب ـ جرى ترتيب المقاتلين في صفوف وساوى الرسول بين الصفوف بعد أن شجع أصحابه وحرضهم على الصبر في القتال .

وأمر الرسول أصحابه أن يصدوا هجمات المشركين وهم مرابطون في مواقعهم وقال لهم : « إذا اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى توذنوا »...

ج) كانت كلمة التعارف بين المسلمين وشعارهم في القتال: احد ..احد.

٢ ـ دخل المسلمون المعركة بالأسلوب الآنف الذكر : مقر قيادة كامل ، وسيطرة لقائد واحد واسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل ، هو اسلوب الصف .

٣ ـ أما المشركون فقد مارسوا اسلوب قتال (الكر والفر) بدون قيادة ولا سيطرة ، بحيث جرى قتالهم كأفراد لا كمجموعة موحدة .

٤ ـ بدأ المشركون بالهجوم اولا ،إذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذي بناه المسلمون قائلًا : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه او لأموتن دونه » . فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف ضربة أطارت نصف ساقه ، ومع ذلك حبا الى الحوض لاقتحامه ، وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه .

٥ ـ برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة الوليد بن عتبة ، فخرج اليهم فتية من الانصار ،ولكن الرسول أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي بن ابي طالب ، لأنهم من اهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ولأن شجاعتهم وممارستهم القتال معروفة ، لذلك فإن نجاحهم مضمون على رجالات قريش ، مما يرفع معنويات المسلمين ويضعضع معنويات المشركين .

بارز عبيدة عتبة وبارز علي الوليد ، وبارز حمزة شيبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله وكذلك فعل علي ، واما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، فكر علي وحمزة باسيافهما على عتبة ، فأجهزا عليه واحتملا صاحبهما .

ـ استشاط المشركون غضباً لهذه البدايـــة السيئة ، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهاجمتهم فرسانهم ، الا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة في مواضعها تصوب نبـالها على المشركين متوخية اصابة ساداتهم بالدرجة الاولى ، ولم يفطن المشركون لاسلوب المسلمين الجديد في القتال ، بمــا جعل رجالات المشركين تتهاوى بوابل نبال المسلمين المصوبة تصويباً دقيقاً والمسيطر عليها .

٧ ـ ونزل الرسول بنفسه يقود صفوف المسلمين ، واخذت هـذه الصفوف تقترب رويداً رويداً نحو فلول المشركين التي فقدت قادتهـا ... حتى تبعثرت صفوف المشركين

وحينذاك فقط أصدر الرسول أمره لقواته : « شدوا » ، ومعنى ذلك القيام بالمطاردة .

وبدأت مطاردة المسلمين لفلول المشركين ، وأخذوا يجمعون الغنائم والأسرى .

٨ ـ ابتدأت معركة بدر صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثـــانية للهجرة ، وانتهت مساءه وبقي المسلمون ثلاثـــة أيام في بدر بعد المعركة .. ثم غادروها عائدين الى المدينة .

خسائر الطرفين

١ ـ المسلمون

استشهد اربعة عشر مسلماً .

٢ ـ المشركون

قتل سبعون رجلا وأسر سبعون ايضاً

اسباب انتصار المسلمين

١ ـ قيادة موحدة

كان الرسول هو القائد العـــام للمسلمين في معركة (بدر) ، وكان المسلمون

يعملون كيد واحدة تحت قيادته : يوجههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم ، وهذا هو واجب القائد الكفء .

وكان ضبط المسلمين في تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعاً للضبط الحقيقي المتين، واذا كان الضبط أساس الجندية ، واذا كان الجيش الممتاز هو الذي يتحلى بضبط ممتاز ، اذا كان الامر كذلك ، فقد كان جيش المسلمين حينذاك جيشاً ممتازاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .

ان معنى الضبط فيما أرى ، هو اطاعة الاوامر وتنفيذها بحرص و أمانة وعن طيبة خاطر .

وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة رائعة وبشوق وطيبة خاطر ، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك ، لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالي .

ضبط للأعصاب في الشدائد ، وشجاعة نادرة في المواقف ، ومساواة لنفسه مع أصحابه ، واستشارتهم في كل عمل حاسم .

رأى الخطر محدقاً بأصحابه قبل المعركة، لأنهم قليلون وقريش تفوقهم عدداً وعُدداً .. فسيطر على أعصابه وتمالك نفسه وشجع أصحابه على الصبر في القتال .

وعندما اشتدت المعركة نزل يخوضها بنفسه ، وحسبك شهادة علي بن أبي طالب سيد الشجعان حيث يقول: « إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله وهو اقربنا الى العدو ».

ولم يؤثر نفسه بمال او راحة على اصحابه ، وقد رأيت كيف ساوى نفسه مع اصحابه حتى في اعتقاب الإبل والمشي على الأقدام .

وشاور اصحابه حين بلغه خبر خروج قريش ، وسمع رأي المهاجرين والأنصار في لقاء المشركين وقبِل مشورة احد اصحابه في تبديل معسكره في بدر حين نزل بأدنى ماء منها ، فانتقل بالمسلمين الى حيث اشار الحباب ، وغوّر القُلب

وبنى حوضاً عـلى القليب الذي اتاه . واستشار المسلمين في امر الاسرى بعد المعركة ، وعمل بالرأي الذي أبداه أبو بكر الصديق ومشايعوه .
تلك مزايا القائد المثالي في كل زمان ومكان .

ولا بد للقـائد من مقر يسيطر منه على المعركة ، فبنى العريش فوق رابية مشرفة على ساحة المعركة ، وكان لمقره حرس بإمرة آمر مسؤول .
كل ذلك جعل المسلمين يقـاتلون كرجل واحد لغـاية واحدة بقيادة قائد واحد . وهذا عامل مهم من عوامل النصر في كل حرب .

اما المشركون فلم يكن لهم قائد عـام . كان اكثر سراة قريش مع قوات المشركين ، ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجلان : عتبة بن ربيعة وابو جهل ، وقد رأيت كيف أنهما لم يكونا على رأي واحد وليس لهم هدف موحد ، بل انهما كانا اقرب الى العداوة منهما الى الاخاء .

لذلك فقد طغت الانانية الفردية على المصلحة الموحدة اثناء القتال ، وحاول كل رجل من رجالات قريش ان يظهر نفسه بطلاً لتتحدث العرب عنه ، دون ان يكترث بأثر ذلك على نتائج المعركة .

٢ - تعبئة جديدة

طبق الرسول في (مسير الاقتراب) من المدينة الى (بدر) تشكيلاً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء .

كانت له مقدمة وقسم اكبر ومؤخرة ، واستفـاد من دوريات الاستطلاع للحصول عـلى المعلومات ، وتلك هي الاساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء حتى في العصر الحاضر .

أما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب(الصفوف) بينما قاتل المشركون باسلوب الكر والفر ، ولا بد لنا من بيان الفرق بين الاسلوبين ، لمعرفة عـامل من اهم عوامل انتصار المسلمين .

القتال باسلوب الكر والفر ، هو ان يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو : النشابة منهم والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح ، مشاة وفرساناً ، فان صمد لهم العدو او أحسوا بالضعف نكصوا ، ثم أعـــادوا تنظيمهم وكروا ، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر او الفشل .

والقتال باسلوب الصفوف ، يكون بترتيب المقاتلين صفين او ثلاثة او اكثر على حسب عددهم ،وتكون الصفوف الامامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان ، وتكون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلحين بالنبـال لتسديدها على المهاجمين من الاعداء .

وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها ، حتى يفقد زخم المهـــاجمين بالكر والفر شدته .. عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو .

يظهر من ذلك ان اسلوب الصفوف يمتاز على اسلوب الكر والفر بأنه يؤمن الترتيب (بالعمق) فتبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية يعالج بهـا الموقف التي ليست بالحسبان ، كأن يصد هجوماً مقابلاً للعدو او يضرب كميناً لم يتوقعه ،او ان يحمي الاجنحة التي يهددهـــا العدو بفرسانـه او بمشاته ، ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة .

ان اسلوب الصفوف يؤمن السيطرة عـلى القوة بكاملهـا ، ويؤمن احتياطاً للطوارىء ، ويصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد ، اما اسلوب الكر الفر ، فيجعل القائد يفقد السيطرة ولا يؤمن له إي احتياط للطوارىء .

ان تطبيق الرسول لاسلوب الصفوف في معركة بدر عامل مهم من عوامل انتصاره عـلى المشركين ، والتاريخ العسكري يحدثنا بأن سر انتصار القـادة العظام كالاسكندر وهنيبال قديماً ونابليون ومولتكه ورومل وورونشتد حديثاً ، هو أنهم طبقوا اسلوباً جديداً في القتـــال غير معروف أو قاتلوا باسلحة جديدة غير معروفة .

استعرض الرسول أصحابه قبل القتال ، فعندما رآهم يتزاحمون ويدنو بعضهم من بعض جعلهم صفوفاً وأخذ يعدل صفوفه .

وبعد ذلك خطبهم حاثاً لهم على الجهاد ، وامرهم أن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون في مواقعهم،بتسديد النبال الى صدور العدو، كما أمرهم ألا يحملوا إلا بأمر منه .

فلما تهاوت رجال قريش وضعف زخم هجومهم ، أصدر الى المسلمين أمره بالهجوم ، ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين .

لقد سيطر الرسول على الصفوف في دفاعها وهجومها ومطاردتها ، حتى لم يقدم أحد للمبارزة إلا بأمر منه ، ولم يقم المسلمون بأي عمل إلا بأمر منه ايضاً،

وبذلك أمن السيطرة والاحتياط اللازم .. تماماً كما في الحروب الحديثة .

لقد طبق الرسول في بدر اسلوباً جديداً في القتال ، فانتصر ...

٣ .. عقيدة راسخة

رأيت كيف كان جواب المهاجرين والانصار للرسول حين استشارهم في قتال قريش .

لقد علم المسلمون بأن قريشاً تفوقهم في العدد والمدد ، وأن عدد قوات قريش ثلاثة امثال عدد المسلمين ، ومع ذلك اعتزموا الصمود . كما علموا أن قافلة قريش فاتتهم ، فلم يبق هناك كسب مادي يرجونه ، ومع ذلك صمموا على القتال .

لقد كان للمسلمين اهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها ، هي أن تترك الحرية الكاملة لهم لبث دعوتهم ، حتى تكون كلمة الله هي العليا .

فما هي أهداف قريش من حربها ، الا أن تنحر الجزور وتطعم الطعام وتشرب الخمر وتعزف القيان ، فتسمع العرب بمسيرها ، فيهابونها ابداً بعدها ، كما يقول احد زعمائهم ابو جهل .

وهل نستطيع تسمية ذلك اهدافاً أم ذلك طيش وغرور وعصبية جاهلية ؟

في هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء ، والاخوة بالاخوة ...

خالفت بينهم المبادىء ، ففصلت بينهم السيوف .

كان ابو بكر مع المسلمين. وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين. وكان عتبة ابن ربيعه مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع محمد .

وعندما استشار الرسول عمر بن الخطاب في مصير الاسرى ، قال عمر : « أرى ان تمكنني من فلان - قريب عمر - فاضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل بن ابي طالب فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم » . فما الذي يدفع لمثل هذا القول الا عقيدة راسخة وإيمان عظيم ؟ وهل يقاتل اصحاب هذه العقائد الراسخة كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم الا أهواء الجاهلية وعصبية الأنانية وحب الظهور ؟

٤ - معنويات عالية

وشجع الرسول اصحابه قبل القتال واثناءه ، وقوى معنوياتهم حتى لا يكترثوا بتفوق قريش عليهم بالعدد ، ولم تكن معنويات الذين مارسوا الحرب وعرفوها من المسلمين عالية فحسب ، انما كانت معنويات الاحداث الصغار الذين لم يمارسوا حرباً ولا قتالاً عالية ايضاً .

قال عبد الرحمن بن عوف : « اني لفي الصف يوم بدر ، اذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ، فكأني لم آمن بمكانهما ، اذ قال لي احدهما سراً من صاحبه : يا عم ، أرني أبا جهل . فقلت : يا ابن أخي ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته ان اقتله او اموت دونه ...

« قال لي الآخر سراً من صاحبه مثله ، فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه مثل الصقرين : فضرباه حتى قتلاه ، وهما ابنا عفراء ، وقد استشهد هذان البطلان في بدر » .

فإذا كانت معنويات الفتيان الأحداث بهذا المستوى الرفيع ، فكيف تكون معنويات الرجال ؟

لقد اثبتت كافة الحروب في كافة ادوار التاريخ، ان التسليح والتنظيم الجديدين والقوة العددية غير كافية لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية بالاضافة الى كل ذلك .

لقد كان تنظيم وتسليح الايطاليين في الحرب العالمية الثانية ممتازاً ، كما كان عددهم ضخماً ، فلم يغن عنهم كل ذلك ، لأن معنوياتهم كانت منحطة .

لذلك كانوا عبئاً ثقيلاً على حلفائهم الالمان في كل معركة اشتركوا فيها معهم . بل كان الحلفاء يعتبرون المناطق التي تشغلها القوات الإيطالية فراغاً عسكرياً لا يُكترث به !!

ان المعنويات العالية التي كان يتحلى بها المسلمون في بدر ، من أهم أسباب نصرهم في تلك المعركة الحاسمة .

لقد كانت معركة بدر صراعاً حاسماً بين عقيدتين .. وكانت الجولة الاولى فيها للاسلام .

دروس من بدر

١ - الاستطلاع

إستفاد الطرفان من دوريات الاستطلاع في الحصول على المعلومات وليحولوا دون مباغتتهم ، وكان حصول الطرفين على المعلومات عن القوات ومواقعها جيداً ومفيداً .

وظهر لنا فائدة استنطاق الاسرى الذي أجراه الرسول مع غلامي قريش قبل المعركة في معرفة عدد قريش ، كما كان استنتاج أبي سفيان من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعا موقع بدر ومعرفته هويتهما رائعاً حقاً .

إن تشبث الطرفين للحصول على المعلومات،حرم الطرفين من مبدإ المباغتة، فلم يستفد أحد الطرفين من هذا المبدإ الحيوي في هذه المعركة.

٢ ـ القيادة

برزت مزايا الرسول في القيادة بمعركة بدر : الشجاعة وضبط الأعصاب وعقد المؤتمرات الحربية قبل وأثنـــاء وبعد المعركة ومساواة أصحابه مع نفسه بكل شيء،كما طبق الرسول لأول مرة شروط انتخـــاب المقر الملائم للمعركة وأمن حراسته .

٣ ـ الضبط والمعنويات والعقيدة

ظهر بوضوح أثر الضبط المتين والمعنويات العالية والعقيدة الراسخة في انتصار المسلمين على قريش ، وستبقى هذه المزايا حيوية لكل انتصار في كل حرب.

٤ ـ القضايا التعبوية

آ) في مسير الاقتراب

كانت ترتيبـــات المسلمين في مسير الاقتراب ملائمة جـداً ، مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، وراية لكل من المهاجرين والأنصار، وراية عامة للقوات كلها.

كما كانت دوريات الاستطلاع أمـام الرتل تحول دون مباغتته وتزوّده بالمعلومات عن قريب .

إن ترتيبات المسلمين في مسير الاقتراب تشابه تماماً ترتيبات القوات النظامية الحديثة في مسير الاقتراب في حرب الصحراء .

ب) في القتال

استخدم المسلمون لأول مرة (اسلوب الصف) في قتالهم ضد قريش ، بينما جمدت قريش على اسلوب الكر والفر ، وبذلك استطاع الرسول السيطرة على قوته والاحتفاظ باحتياط للطوارىء .

لقد كان أسلوب الصف في القتال أسلوباً جديداً ، بينما كان أسلوب الكر والفر أسلوباً بالياً .

جـ) كلمة التعارف

كانت كلمة التعارف في القتال بين المسلمين : احد.. احد ، وبذلك استطاعوا أن يتعارفوا في المعركة .

ان ظروف المعركة ليست ظروفاً اعتيادية ، ومن الضروري ان يكون هناك اسلوب واضح للتعارف بين المقاتلين ، خاصة وان المسلمين والمشركين حينذاك كانوا يتشابهون في كل شيء : في الاشكال والقيافة وفي التسليح والتنظيم ، مما يزيد اهمية كلمة التعارف ويجعل لها قيمة أعظم مما لو كان الطرفان المتحاربان يختلفان في أشكالهم وقيافتهم وتسليحهم وتنظيمهم .

٥ ـ القضايا الادارية

آ) الأرزاق

كان المشركون ينحرون بين تسعة إبل وعشرة يومياً لتأمين الطعام الحار للمقاتلين ، وكانت هذه الإبل من سراة قريش ، اما المسلمون فقد كانوا يكتفون غالباً بالتمر والسويق ، لأن حالتهم الاقتصادية كانت متردية حينذاك .

ب) المـاء

بنى المسلمون حوضاً من الماء في (بدر) وملأوه بالماء واستفادوا منه يوم القتال أما بقية مياه بدر فغوروها لئلا يستفيد منها المشركون .

أما المشركون فكانوا محرومين من الماء يوم القتال ، مما جعل شجعانهم يحاولون اقتحام حوض المسلمين فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً .

لقد كان لنقص الماء عند المشركين يوم القتال أثر كبير في اندحارهم .

جـ) الغنائم

جمع الرسول غنائم المعركة وقسمها بالتساوي بين المسلمين من أهل بدر ومن

عاونهم على إحراز النصر : جعل للفارس سهمين يستعين بالسهم الزائد على إعاشة فرسه وإعدادها للحرب ، وجعل للراجل سهماً واحداً ، وجعل للورثة حصة من استشهد ببدر ، وجعل حصة لمن تخلف بالمدينه فلم يشهد (بدراً) وإنما كان قائماً بعمل للمسلمين ، ولمن حرّضه حين الخروج الى بدر وتخلف لعذر قبله الرسول .

ان النصر في الحرب لا يحرزه المقاتلون فقط ، بل يتعاون على احرازه المقاتلون في الخطوط الأمامية والعاملون في الخلف لتهيئة اسباب النصر للمقاتلين، لذلك لم ينس الرسول العاملين في الخلف حين قسّم الغنائم بين الناس .

د) الأسرى (١)

أولاً - أمر الرسول بقتل أسيرين لشدة عداوتهما للمسلمين ، إذ اعتبرهما مجرمين لا أسيرين.

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي
الواجبات نحو الاسرى

يجب معاملة الاسير طبقاً لمبادىء الانسانية وحمايته من الاعتداء والاهانة وحب الاستطلاع عند الجمهور . ويجوز تشغيل الاسرى بإعمال على ألا يكون العمل خطيراً او ضاراً بالصحة او متصلاً اتصالا مباشراً باعمال القتال .

اما القواعد الخاصة باطلاق سراح الاسرى ، فتنص على ان الدولة لا تلزم باطلاق سراح الاسرى بعد اعطاء كلمة الشرف، ولا هم يلزمون بقبوله ، وانما الاسير ان يقبله مختارا اذا سمحت له قوانين دولته به ، وواجب على دولة الاسير ألا تطلب اليه الاخلال بوعده او تقبله منه اذا هو عرض الالتحاق بخدمة جيشها من جديد ، فاذا أخل بكلمة الشرف التي اعطاها والتحق بالجيش ثم أسرته الدّولة التي أطلقت سراحه او دولة حليفة لها ، جاز محاكمته على اخلاله ، والعقوبة في العادة هي الاعدام ...

ان كلمة الشرف التي يعطيها الاسير ، هي ألا يعود لحرب القوات التي اطلقته ولا يساعد في اعمال العدوان ضدها من اي ناحية وباي وجه .

وتنتهي حالة الاسر باطلاق سراح الاسير بلا قيد او شرط او بعد اعطائه كلمة الشرف ، كما تنتهي بتبادل الاسير مع زميل له بجيش العدو او الافتداء بالمال .

لقد كانا عنيفين بعداوتهما للمسلمين حريصين على التنكيل بهم ، شديدين في إيذاء المستضعفين منهم ، وكانا من ألدّ خصوم الدعوة .

ثانياً - أمـــا الاسرى الباقون وعددهم ثمانية وستون فقد وزّعهم الرسول على صحابته قائلاً : « إستوصوا بالأسارى خيراً » .. ثم فادى أغنيـاء الأسرى بالمال ، فكان الواحد منهم يدفع ما بين ألف درهم الى أربعة آلاف .

أما فقراء الأسرى ، فأطلق سراح بعضهم دون مقابل ، كما كلف المتعلمن منهم بتعليم أطفـــال المسلمين القراءة والكتـابة ، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الاطفال .

و) القتلى (١) والجرحى (٢)

حفر المسلمون قليباً دفنوا فيه قتلى المشركين ، وهذا ما يطابق تعاليم الحرب في وجوب دفن قتلى الأعداء .

كما اعتنى المسلمون بجرحى المشركين، فضمدوا جراحـــاتهم اسوة بجرحى المسلمين .

ز) التهذيب

إستفاد المسلمون من الاسرى المتعلمين لتهذيب أطفالهم، فكان هؤلاء الأطفال النواة الأولى لكتاب الوحي وحملة الثقافة الاسلامية فيما بعد .

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي
الواجبات نحو القتلى

يفرض على الفريقين المتحاربين معاملة جثث القتلى بالاحترام اللازم وعدم تشويهها ، ويجب دفنها بعد اخذ البيانات المساعدة لتحقيق شخصية صاحب الجثة .

ويجب على القائد الذي يسيطر على ميدان القتال ، ان يأخذ الاحتياطات اللازمة بعد كل حركة ، لحماية القتلى من النهب وسوء المعاملة .

(٢) الواجبات نحو الجرحى

يجب احترام وحماية الجرحى والعناية بهم كجرحى قواتنا واعتبارهم اسرى حرب بعد شفائهم.

القاعدة الأمينة

« وإما تخافن من قوم خيانة
فانبذ اليهم على سواء، إن الله
لا يحب الخائنين »

القرآن الكريم

تطهير المدينة

وفرض الحصار الاقتصادي على قريش

الموقف العام

١ ـ المسلمون

كان المسلمون قبل (بدر) يخشون مواطنيهم غير المسلمين من أهل المدينة، فلا تبلغ بهم الجرأة إلى الاعتداء على من يعتدي على مسلم منهم، فلما عادوا منتصرين، انقلب الموقف تماماً، فأصبح سلطانهم مهيباً في المدينة وما حولها.

أما في المدينة فقضوا على اكثر أعدائهم (كأفراد)، كأبي عفك الذي كان يهجو المسلمين ويحرّض قومه على الخروج عليهم، وكعصماء بنت مروان التي كانت تعيب الاسلام وتؤذي النبي وتحرّض عليه، وكعب بن الأشرف الذي قال حين علم بمقتل سادات مكة: « هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس. والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها »، وهو الذي قصد مكة لما تيقن الخبر يحرض على محمد وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب، فلما رجع إلى المدينة جعل يشبب بنساء المسلمين.

وسترى كيف قضوا على أعدائهم (كجماعات) ...

٢ ـ المشركون واليهود

آ) عزمت قريش على أخذ ثأرها من المسلمين مهما يكلفها الأمر من جهود وضحايا ومال، وفي سبيل ذلك أخذت تستعد لليوم الموعود.

ب) عقدت اكثر القبائل التي على طريق مكة ـ الشام التجارية التي تتاخم الساحل معاهدات مع المسلمين، فسيطر المسلمون على هذه الطريق، فلا يمر أحد منها إلا باذنهم.

ومع ذلك فقد بدأت بعض القبائل ترى مـــا يهدد مصيرها في قوة النبي وأصحابه ، خاصة وأنها حرمت من فوائد اقتصادية كانت تجنيها من مرور تجارة قريش في رحلة الصيف إلى الشام ، فأخذت تفكر في التعرض بالمسلمين .

ج) أمـــا مشركو المدينة فقد أعلن أكثرهم إسلامهم ، لأنهم رأوا أمر المسلمين ينمو ويشتد ويستقر .

د) ولكن يهود المدينة ازدادوا حقداً على المسلمين ، وأخـــذ بعضهم يجاهر بعدائه لهم وينقل أخبارهم للمشركين ويؤوي أعداءهم ويدلهم على عورات المسلمين . لذلك فقد أصبح بقاؤهم داخل المدينة خطراً محدقاً بالمسلمين . .

الهدف الحيوي

١ ـ تطهير المدينة من اليهود ، حتى تكون المدينة (قاعدة أمينة) لحركات المسلمين القـــادمة ، فلا تنكشف حركاتهم للأعداء كما انكشفت في السابق ، فيستطيعون بعد ذلك ترك المدينة بحراسة قليلة دون أن يتعرضوا لخطر كبير .

٢ ـ حرمان قريش من الاستفادة من الطرق التجارية التي تربط العراق من جهة والشام من جهة أخرى بمكة ،وطن قريش ، للقضاء على أهم مورد لتجارة قريش بفرض هذا الحصار الاقتصادي عليها .

حصار بني قَينُقَاع

(راجع الملحق ـ ب)

١ ـ أسباب الحصار

آ) الأسباب غير المباشرة

تجسس اليهود على المسلمين لصالح المشركين ، ونقلهم كافة المعلومات عن نوايا المسلمين وحركاتهم إلى قريش ، وإظهـــار عداواتهم بوضوح للمسلمين .

ب) الأسباب المباشرة

تعرض اليهود بامرأة مسلمة تبيع حليتها في سوق بني قينقـــاع ، فاستغاثت المرأة ، فوثب أحد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، ثم لجأ اليهود إلى حصونهم يحتمون بها .

٢ ـ قوات الطرفين

آ) المسلمون

كافة مسلمي المدينة بقيادة الرسول .

ب) اليهود

كافة بني قينقاع الساكنين داخل المدينة .

٣ ـ الهدف

القضاء على بني قينقاع في المدينة ليستقر الأمر فيها للمسلمين ولتكون المدينة قاعدة أمينة للمسلمين يرتكزون عليها في الحركات المقبلة .

٤ ـ الحوادث

طلب الرسول إلى بني قينقاع أن يكفوا أذاهم عن المسلمين وأن يحفظوا عهد الموادعة لئلا ينزل بهم مـــا نزل بقريش ، فاستخف بنو قينقاع بوعيده قائلين « لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمنّ انا نحن الناس » .

لم يبقَ بعد هذا التحدي الصـــارخ أمام المسلمين إلا مقاتلة بني قينقـــاع ، فحاصروهم في قلاعهم خمسة عشر يوماً ، حتى اضطروهم على التسليم ورضوا بما يصنعه الرسول في رقابهم ونسائهم وذريتهم وأموالهم ، فجاء عبد الله بن أبيّ إلى الرسول وقال : « يا محمد أحسن في مواليّ » وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عليه الرسول ، فكرر ابن أبي مقالته ، فأعرض عنه الرسول ، فأدخل ابن أبيّ يده في جيب درع الرسول ، فتغير لون النبي وقـــال له : « أرسلني » . وغضب حتى رأوا لوجهه ظللاً .

ألح ابن أبيّ في رجـــائه قائلاً : «والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ : أربعمائة حاسر (١) وثلاثمائة دارع (٢) قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة . إني والله امرؤ أخشى الدوائر » ..

فقال الرسول : هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها » .

وسار بني قينقاع تاركين وراءهم السلاح وأدوات الذهب الذي كانوا يصوغونه حتى بلغوا وادي القرى (٣) ، وبقوا هناك زمناً ثم احتملوا ما معهم وساروا صوب الشمال حتى بلغوا (اذريعات) (٤) على حدود الشام وبها أقاموا، ولم يبقوا فيها طويلا حتى هلك أكثرهم ، وبذلك تخلص المسلمون من (الرتل الخامس) الذي كان يعيش بين ظهـــرانيهم .

فرض الحصار الاقتصادي على قريش

(راجع الملحق – ب –)

١ – غزوة بني سليم

آ) قوات الطرفين

أولا – المسلمون

دورية قتال بقوة مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً – المشركون

بنو سليم وغطفان

ب) الهدف

القضاء على مقاومة سليم وغطفان في عقر دارهم في (قرقرة الكدر) الواقعة على الطريق التجارية الحيوية بين مكة والشام .

---

(١) الحاسر : الذي لا درع له .

(٢) الدارع : لابس الدرع .

(٣) وادي القرى : موضع جنوبي خيبر وبين المدينة المنورة وخيبر .

(٤) اذريعات : موضع كائن في منطقة شرقي الأردن حالياً بين اجنادين والشام .

ج) الحوادث

بلغ المسلمين أن جمعاً من غطفان وبني سليم اعتزم الاعتداء عليهم ، فخرج الرسول وبإمرته مائتا راكب وراجل من المسلمين إلى - قرقرة الكدر (١) - ليأخذ عليهم الطريق . فلما وصل إلى ذلك المكان رأى آثار النعم ولم يجد أحداً ، اذ فرت جموع بني سليم وغطفان لما سمعت بقدوم المسلمين ، فجمع المسلمون ما وجدوا من إبل ، وقسمها عليهم الرسول بالتساوي ، وبقي في منازل القوم ثلاثة ايام لإظهار قوتهم وعدم اكتراثهم بعدوهم ، ثم عادوا أدراجهم إلى المدينة.

٢ - غزوة السويق

آ) قوات الطرفين

اولا - المسلمون

قوة مطاردة خفيفة بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

مائتا فارس من قريش بقيادة أبي سفيان .

ب) الهدف

مطاردة أبي سفيان للقضاء على قوته .

ج) الحوادث

خرج ابو سفيان بمائتي فارس من مكة ، وقرر ان يباغت المدينة بغارة خاطفة ليرد لقريش بعض سمعتها التي خسرتها يوم (بدر) ويلحق بالمسلمين ما يستطيع من الخسائر ، وحتى يبر بنذره الذي قطعه على نفسه بعد بدر ، ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً .

وصل أبو سفيان بقوته مساكن بني النضير بأطراف المدينة ، في جنح الليل ،

---

(١) الكدر : بضم الكاف وسكون الدال . قال الواقدي : بناحية المعدن قريب من الأرحضية بينها وبين المدينة ثانية . وقال غيره ماء لبني سليم .

ونزل على سلام بن مشكم من سادة اليهود ، فعرف منه اخبار المسلمين ، وتدارس معه أجدى الطرق لإيقاع الأذى بهم والإفلات بعد ذلك سالماً من مطاردتهم ، وهكذا هجم أبوسفيان برجاله على وجبة يقال لها ـ العُرَيض (١) ـ على مقربة من المدينة وحرقوا بيتين في العريض ونخلا ، ووجدوا رجلا من الانصـــار وحليفاً له في حرث لهما ، فقتلوهما . ثم انكفأ أبو سفيان بقوته هارباً خائفـــاً أن يطلبه النبي وأصحابه .

ندب محمد أصحابه فخرجوا في أثره ، حتى بلغوا ـ قرقرة الكدر ـ وأبو سفيان ومن معه جـــادون في الفرار يتزايد خوفهم فيتخففون من أرزاقهم التي يحملونها ، حتى تمكنوا من النجاة . وعثر المسلمون في طريق المطاردة على هذه الأرزاق واكثرها من السويق (٢) فسموا هذه الغزوة (بغزوة السويق) ، ولما رأى محمد ان القوم امعنوا في الفرار ، عاد وأصحابه إلى المدينة .

٣ ـ غزوة ذي أمر

آ) قوات الطرفين

أولا ـ المسلمون

أربعماية وخمسون بين راكب وراجل بقيادة الرسول

ثانياً ـ المشركون

بنو ثعلبة ومحارب .

ب) الهدف

للقضاء على بني ثعلبة ومحارب قبل التعرض على اطراف المدينة .

ج)الحوادث

بلغ محمداً ان جمعاً من بني ثعلبة ومحارب قد تجمعوا ـ بذي أمر (٣) ـ يريدون

---

(١) العريض : اسم موضع ، وقال ياقوت : هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي .

(٢) السويق : ان تحمص الحنطـــة والشعير ثم تطحن ، وقد تمـــزج باللبن والعسل والسمن تلتّ به .

(٣) ذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان .

أن يتعرضوا بأطراف المدينة ، فخرج الرسول في أربعمائة وخمسين من المسلمين بين راكب وراجل ، فلقي رجلا من ثعلبة ، فسأله عن القوم فدله الرجل على مواضعهم . وأخبره انهم سيهربون إلى رؤوس الجبال ان سمعوا بمسير المسلمين .

وما لبث بنو ثعلبة ومحارب أن فرّوا إلى رؤوس الجبال عند سماعهم بمسير المسلمين .

وعاد المسلمون بعد ان بقوا في ديار القوم شهراً كاملا بدون قتال .

٤ ـ غزوة بحرَان (١)

آ) قوات الطرفين

أولا ـ المسلمون

ثلاثمائة مقاتل بين راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً ـ المشركون

بنو سليم .

ب) الهدف

القضاء على بني سليم قبل إنجاز استحضاراتهم لقتال المسلمين .

جـ) الحوادث

بلغ محمداً ان جمعاً كبيراً من بني سليم يتهيئون لقتاله ، فخرج بثلاثمائة رجل من المسلمين أغذوا السير ليباغتوا بني سليم في ديارهم ، حتى إذا وصلوا دون بحران بليلة ، لقيهم رجل من بني سليم ، فسأله محمد عنهم فأخبره أنهم تفرقوا وعادوا أدراجهم حين سمعوا بخروجه اليهم .

وعاد الرسول بأصحابه إلى المدينة بعد ان بقي في ديار القوم حوالي شهرين .

---

(١) بحران : قيده جماعة بفتح الباء وقيده اخرون بضمها وقال ياقوت : موضع بين الفرع والمدينة ، وقال الواقدي بين الفرع والمدينة ثمانية برد .

٥ - سرية زيد بن حارثة

آ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة مائة راكب بقيادة زيد بن حارثة

ثانياً - المشركون

قافلة تجارية لقريش بقيادة صفوان بن أمية .

ب) الهدف

حرمان قريش من الاستفادة من طريق مكة - العراق التجارية بعد حرمانهم من الاستفادة من طريق مكة - الشام التجارية .

ج) الحوادث

قطع الرسول على قريش طريق مكة - الشام التجارية ، مما أثر أسوأ الأثر على اقتصاديات قريش ، خاصة وأن مكة تعيش على التجارة لأنها بواد غير ذي زرع .

قال صفوان بن أمية لقريش : « إن محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندري أين نسلك ؟ وان أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وانما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف والى الحبشة في الشتاء » ..

قال له الأسود بن عبد المطلب : « تنكّب الطريق على الساحل ، وخذ طريق العراق » ، ثم دلّه على فرات بن حيان من بني بكر بن وائل ليكون رائدهم في هذه الرحلة ، وتجهز صفوان من الفضة والبضائع بما قيمته مائة ألف درهم ، وكان بمكة حين تدبير قريش خروج تجارتها رجل من يثرب هو (نعيم بن مسعود) فقدم المدينة يحمل انباء هذه القافلة وطريق مسيرها ، واجتمع في مجلس الشرب

ـ قبل تحريم الخمر ـ بسليط بن النعمان ، فباح له بخبر القافلة ، فأسرع سليط الى النبي يروي له القصـــة ، وما لبث النبي أن بعث زيد بن حـــارثة بمائـــة راكب يتعرضون القافلة ، فلقيها زيد عند ماء يقال له (القردة) وهو ماء من مياه نجد ، ففر المشركون مذعورين ، واصاب المسلمون القافلة ، واسروا دليلها فرات ابن حيان ، فلما جيء به إلى المدينة دخل الإسلام ...

وهكذا حُرم المشركون من طريق مكة ـ العراق ، كما حُرموا من قبل من طريق مكه ـ الشام فأصبح الحصار الاقتصـــادي مطبقاً عليهم من كافة الطرق المؤدية الى الشام والعراق .

دروس من حركات التطهير

١ ـ القاعدة الامينة

القاعدة الامينة ، هي المنطقة الحيوية التي يمكن الاعتماد عليها في كل حركة عسكرية لإدامة القطعات المحاربة بالرجال والمواد ، ولتكون الملجأ الحصين الذي تلجأ اليه عند اسوإ الاحتمالات .

ولا بد من وجود (قاعدة امينة) لكل حركة عسكرية ناجحة ، لترتكز عليها القوات في كافة صفحات القتال .

ولا بد من وجود (قاعدة امينة) لكل دعوة ناجحة ايضاً ، لتكون الملجأ الحصين لأصحاب الدعوة والدعاة ، ولتنتشر منها الدعوة الى الخارج .

لقد اصبحت المدينة اول قاعدة امينة للاسلام بعد ان هاجر اليها الرسول ، ولكنها لم تكن قاعدة امينة . حقاً قبل اجلاء بني قينقاع عنها .

لقد كان موقف يهود المدينة يختلف تماماً عن موقف مشركيها .

كان مشركو المدينة يمتّون بصلة القربى والنسب الى الانصار ، اما اليهود فلا نسب ولا قربى لهم مع سكان المدينة من غير اليهود .

وقد أسلم اكثر مشركي المدينة بعد بدر ، والذين بقوا على شركهم قليلون ، لذلك فخطر هؤلاء على المسلمين قليل .

أما يهود المدينة فقد زادهم انتصار المسلمين في (بدر) حقداً على حقدهم ، فأصبحوا يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتجسسون عليهم ويحرّضون أعداءهم للفتك بهم ، ويؤذونهم بالقول والعمل .

لقد كان بقاء اليهود بالمدينة بعد انتصار المسلمين في بدر خطراً داهماً لا بد من القضاء عليه لتكون المدينة قاعدة أمينة حقاً للاسلام ، ولترتكز عليها قواتهم للحركات المقبلة ، ودعوتهم للمستقبل القريب .

لقد ضعفت شوكة اليهود بعد جلاء بني قينقاع عنها ، فقد كان اكثر اليهود المنتسبين الى المدينة يقيمون بعيداً عنها (بخيبر) وبأم القرى ، وهكذا طهّر المسلمون داخل المدينة من أخطر اعدائهم ، واصبحت المدينة قاعدة امينة للاسلام .

٢ ـ الحصار الاقتصادي

تعتمد قريش في حياتها على تجارتها بالدرجة الاولى ، وهي تستورد بعض المواد التي تتيسر في الحبشة والشام ، كالمواد الغذائية والمنسوجات ، وتصدر اليها بعض المواد الاولية ، كالجلود والصوف والطيب الذي يردها من الهند ، وطريق مكة ـ الشام أهم طريق تجارية لقريش ، لاهمية تجارة الشام ، ولانها طريق برّية يسهل قطعها بالابل سفن الصحراء .

ان قطع المسلمين لطريق مكة ـ الشام أثر أسوأ الاثر في الحياة الاقتصادية لقريش ، لذلك حاولوا أن يستفيدوا من طريق مكة ـ نجد ـ العراق ـ الشام الطويلة ، حتى لا تموت تجارتهم نهائياً ، الا ان المسلمين حرموا قريشاً من هذه الطريق الجديدة ايضاً .

ان فرض الحصار الاقتصادي على قريش ، جعلهم امام مسلكين : محاولة القضاء على المسلمين لتنفتح امامهم الطرق التجارية المقطوعة ، او الاستسلام قبل ان تموت قريش جوعاً .

ان هدف المسلمين من غزواتهم بعد بدر على بني سليم وغطفان وبني ثعلبة وبني محارب وعلى قافلة قريش ، كان لحرمان هذه القبائل من التعرّض بالمسلمين وللسيطرة على طريق مكة ـ الشام وطريق مكة ـ نجد ـ العراق ، ولم يكن هدف المسلمين الحصول على الغنائم ، لأن الذين يحاولون السلب يعودون بسرعة الى قواعدهم خوفاً على استرداد ما غنموه ، ولا يبقون اياماً بل شهوراً في ديار اعدائهم كما فعل المسلمون .

لقد بقي المسلمون ثلاث ليال في ديار بني سليم في المرة الاولى وشهرين في المرة الثانية ، وشهراً كاملاً في ديار بني ثعلبة وبني محارب ، فهل يبقى كل هذه المدة خائف من عدوه او طالب للسلب والنهب ؟

ان الهدف الاول من الحصار الاقتصادي على قريش هو التأثير المادي والمعنوي عليها لتعيد النظر في موقفها ضد المسلمين ، وما غزوات الرسول للقبائل في هذه الفترة إلا للتخلص من تهديدها ولتأمين هدف الرسول من ضرب الحصار الاقتصادي على قريش .

لقد كانت غزوات هذه الفترة (حرباً باردة) كما يطلق عليها اليوم ، وكان لا بد من تطهير (القاعدة الامينة) لتأمين النصر من هذه الغزوات .

(* *)

الملحق (ب)

الغزوات والسرايا بين بدر وأحد

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين او اليهود	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	حصار بني قينقاع	مسلمو المدينة	محمد	بنو قينقاع من اليهود في داخل المدينة	–	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	تطهير المدينة من اليهود
٢	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	محمد	بنو سليم وغطفان	–	قرقرة الكدر على طريق مكة – المدينة	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	عاد المسلمون بالغنائم دون قتال لفرار المشركين وبقوا ثلاث ليال في ديار المشركين
	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة	محمد	٢٠٠ فارس	ابو سفيان	مطاردة قريش من المدينة حتى قرقرة الكدر على طريق المدينة – مكة	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	١ – ظهور تجسس اليهود على المسلمين بالمدينة وايوائهم اعداءهم ٢ – فرار قريش وعودة المسلمين من المطاردة دون قتال .

٤	غزوة ذي امر	٤٥٠ راكبا وراجلا	محمد	بنو ثعلبة ومحارب	—	ذو أمر (موضع في نجد)	محرم من السنة الثانية للهجرة	فر المشركون وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر كامل وعادوا بدون قتال
٥	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	محمد	بنو سليم	—	بحران على الطريق بين مكة والمدينة	ربيع الاول من السنة الثانية للهجرة	عاد المسلمون بدون قتال بعد ان بقوا بديار اعدائهم حوالي شهر
٦	سرية زيد بن حارثة	١٠٠ راكب	زيد ابن حارثة	قافلة قريش	صفوان بن أمية	القردة (ماء في نجد)	—	غنم المسلمون القافلة

النصر للمغلوب

« ولا تهنوا ولاتحزنوا
وأنتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين » .

القرآن الكريم

غـــزوة أُحُـــد

الموقف العام

١ ـ المسلمون

سيطر المسلمون على الطرق التجـارية المؤدية الى الشام والى العراق سيطرة تامة ، ومنعوا قوافل قريش من سلوك هاتين الطريقين ، فلم يبق امـام قريش الا التجارة مع الحبشة وهي تجارة غير رابحة بالنسبة الى التجارة مع الشام ، وبذلك حلت بتجـارة قريش – التي تعتمد عليها في حياتها كل الاعتماد – نكبة قاضية .

كما سيطر المسلمون على المدينة وجعلوا منها قاعدة امينة لدعوتهم وحركاتهم العسكرية المقبلة .

٢ ـ المشركون واليهود

آ) قريش

حرصت قريش منذ نكبتها الكبرى في (بدر) على الاخـذ بثأرها من المسلمين ، وصمّمت على الاستعداد عسكرياً لاستعادة كرامتها وشرفها .

ولم تغنها غزوة (السويق) شيئاً بل زاد فرارها المشين امام مطاردة المسلمين لها عاراً جديداً على عارها ببدر ، كما اثارت سرية زيد بن حارثة كوامن حقدهـا على المسلمين .

وقرر كبراء قريش تخصيص ربح تجارة قافلة ابي سفيان التي جرت من اجلها معركة بدر ، لانجاز استحضارات معركة الثأر القادمة وادامتها بالمواد والسلاح

ب) مشركو المدينة وما حولها

اصبح مشركو المدينة ضعفاء جداً لاسلام اكثرهم وتظاهر الآخرين منهم بالاسلام . كما هابت القبائل المجاورة قوة المسلمين فحالف اكثرهم المسلمين ، وانكمش الآخرون في ديارهم خائفين .

ج) اليهود

لم يبق داخل المدينة بعد طرد بني قينقاع احد من اليهود ، اما اليهود الذين يسكنون في ضواحي المدينة ، فقد خافوا بطش المسلمين خاصة بعد جلاء بني قينقاع وقتل كعب بن الاشرف فتظاهروا بالمحافظة على عهودهم،ولو انهم اخفوا نقض تلك العهود .

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون

قوات المسلمين ستمائة وخمسون راجلاً وخمسون فارساً بقيادة الرسول .

٢ ـ المشركون

قوات المشركين ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها واحابيشها ومائة من بني ثقيف ، بينهم سبعمائة دارع فقط ، ومع القوة مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير ، وهذه القوات بقيادة ابي سفيان ، وقد استصحب أكثر زعماء قريش نساءهم للتشجيع ورفع المعنويات .

أهداف الطرفين

١ ـ المشركون

أخذ ثأراتهم من المسلمين في معركة بدر وسرية زيد بن حارثة ، لاستعادة كرامتهم وشرفهم بين العرب .

٢ ـ المسلمون

الدفاع عن المدينة وصد قريش عنها ، لتتوفر لهم الحرية الكاملة لنشر الدعوة، الى الاسلام بحرية وسلام .

قبل المعركة

١ ـ المشركون

آ) بعد انجاز قريش استحضاراتها الحركة،سلكت طريق مكة ـ المدينة حتى وصلت موضعاً قريباً من المدينة يسمى (الصمغة) فاطلقت إبلها وخيلها ترعى زروع الأنصار هناك ، وتابعت سيرها حتي بلغت العقيق ، ثم نزلت عند بعض السفوح من جبل (أحد) على خمسة أميال من المدينة .

ب) كان على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل،وكان اللواء عند طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار .

ج) نظم المشركون قوتهم للقتال بأسلوب الصف وأمنوا حماية ميمنة الصفوف وميسرتها بالفرسان .

و) وبذلت نساء قريش ـ خاصة هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ـ أقصى جهودهن لتشجيع قريش وبعث الحماس في نفوسهم لأخذ ثأراتهم من المسلمين .

٣ ـ المسلمون

آ) أرسل العباس عم الرسول رسالة مع أحد الرجال ، يخبر بها الرسول عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد قواتها . فأسرع الرجل بالرسالة حتى قطع الطريق بين مكة والمدينة بثلاثة أيام ، فوجد الرسول ماكثاً بمسجد قباء ، فدفع اليه بالرسالة .

ب) قرأ أبي بن كعب الرسالة على الرسول ، فطلب إليه ألا يبوح بمضمونها لأحد وعاد الرسول الى المدينة .

جـ) أرسل النبي رجلين من اصحابه لمعرفة الموضع الذي وصلته قريش ، فوجدها قاربت المدينة وأطلقت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها .

د) خشي المسلمون عاقبة هذه الغزوة ، لأن قريشاً أكملت استحضارها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ حروبها ، فبات المسلمون من أهل المدينة وعليهم السلاح بالمسجد وفي مدخل المدينة لحراستها .

هـ) جمع الرسول أهل الرأي من المسلمين صباح يوم الجمعة ١٥ شوال من السنة الثالثة للهجرة لاخذ رأيهم في كيفية لقاء العدو .

كان رأي النبي أن يتحصنوا بالمدينة وان يدعوا قريشاً خارجها ، فإذا دخلتها قريش قاتلهم فيها قتال الشوارع في منطقة يعرفها المسلمون كل المعرفة ولا تعرفها قريش ، مما يساعد المسلمين على ضرب قريش وإيقاع الخسائر الفادحة بها ، وكان رأي كبار الصحابة مثل هذا الرأي ، كما كان هذا رأي عبدالله بن أبيّ .

ولكن الرجال الذين لم يشهدوا (بدراً) ـ خاصة الشباب منهم ـ تحمسوا للخروج وأيدهم رجال اشتركوا ببدر ، كي لا يرمى المسلمون بالجبن لاضطرارهم الى القتال داخل المدينة ؛ فراى الرسول ان الأكثرية تؤيد الخروج ، فقال لهم : «إني اخاف عليكم الهزيمة » ، فأبوا مع ذلك إلا الخروج ، فنزل على راي الأكثرية ، لأن الشورى كانت اساس نظامه الذي لا يحيد عنه .

و) امر الرسول صحابته ان يتهيئوا للخروج ، ودخل داره وتقلد سيفه وارتدى عدة القتال ، ثم خرج الى الناس .

شعر القوم انهم استكرهوا الرسول على رايهم ، واظهروا الرغبة في النزول على رأيه ، إلا ان النبي وجد غضاضة في الاضطراب بين شتى الآراء والتردد في قرارانة ، فقال : « ماينبغي لنبي لبس لامته (١) ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » .

ثم طلب اليهم الصبر عند البأس .

---

(١) اللامة : الدرع . وقد يسمى السلاح كله لامة .

ز) تقدم محمد بألف رجل ، حتى نزل الشيخين (موضع في ضواحي المدينة) وهناك رأى مع المسلمين مفرزة لا يعرف اهلها ، فلما سأل عنها علم أن افرادها من اليهود حلفاء عبد الله بن أبي ، فرفض معاونتهم له الا ان يسلموا او يعودوا أدراجهم ... فعادوا الى المدينة .

وانسحب بعدهم عبد الله بن أبي مع ثلاثمائة من أنصاره ، فبقي النبي مع سبعمائة من اصحابه يستعد بهم لقتال ثلاثة آلاف .

ح) عسكر المسلمون بالشعب من موضع (احد) في عدوة الوادي ، جاعلين ظهورهم الى جبل احد ، وكانت مجمل خطة الرسول للقتال ما يلي :

اولاً ـ وضع خمسين من الرماة بإمرة عبدالله بن جبير في موضع على طريق تقريبية تؤدي من الجبل الى خلف قواته ، وكان هدفه من وضع هذه القوة هو حرمان العدو من الالتفاف على قواته من الخلف ، ولتكون هذه القوة قاعدة امينة لقواته : تحمي ظهره وتستند اليها وتستر انسحابه عند الحاجة .

واصدر لهذه القوة الامر الجازم التالي : « احموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف ان يجيئوا من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وان رايتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا ، عنا وانما عليكم ان ترشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل » .

ثانياً نظم إصحابه صفوفاً للقتال بهم بأسلوب الصف ، وتخيّر الأشداء ليكونوا طليعة الصفوف .

ثالثاً ـ أصدر أوامره بألا يقاتل احد إلا بأمر منه .

رابعاً أخذ يشجّع أصحابه ويحثّهم على الصبر في القتال .

ط) ولبعث التنافس الشريف في إظهار البطولة ، أخذ الرسول سيفاً بيده ، فقال مخاطباً أصحابه : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فقام اليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام أبو دجانة سماك بن حرشه فقال : « وما حقه يا رسول الله ؟ » فقال الرسول : « أن تضرب به العدو حتى ينحني » .

وكان ابو دجانة رجلاً شجاعاً له عصابة حمراء، إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل، فأخذ السيف وأخرج عصابته الحمراء التي كانوا يسمونها « عصابة الموت » وعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين على عاداته إذ يختال عند الحرب، فلما رآه الرسول يتبختر قال: « انها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » ..

ي) بهذه الخطة وبهذا الاندفاع كان وضع المسلمين قبل نشوب القتال.

سير القتال

١ – بدء المناوشات

آ) قامت مفرزة من قوات قريش بقيادة أبي عامر عبد عمرو بن صيفي الأوسي بالهجوم على قوات المسلمين، فنشبت الحرب، وكان أبو عامر هذا قد انتقل من المدينة الى مكة يحرض قريشاً على قتال محمد، ولم يكن شهد (بدراً) مع قريش، فخرج الى (أحد) في خمسة عشر رجلاً من الأوس ومن عبيد أهل مكة، وكانت المفرزة التي كانت بامرته مؤلفة من هؤلاء فقط، وكان يزعم لقريش أنه اذا نادى أهله المسلمين من الأوس الذين يحاربون في صفوف محمد، استجابوا له وانحازوا معه ونصروا قريشاً !..

خرج ابو عامر منادياً: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر! فأجابه الأوس المسلمون: « ولا أنعم الله بك عيناً يا فاسق! ».. ثم هاجوه. ونشب القتال بين الطرفين بعد أن أذن الرسول للمسلمين بالقتال.

ب) حاول أبو عامر وحاول عكرمه بن أبي جهل أن يلتفا على أجنحة المسلمين، ولكن المسلمين رشقوهم بالحجارة، ولم يكن من السهل الالتفاف على أجنحة المسلمين لاستنادها على هضاب جبل (أحد)، ففشلت محاولات التفاف المشركين.

حـ) هتف حمزة بن عبد المطلب بكلمة التعارف للمسلمين في أحد: «أمت

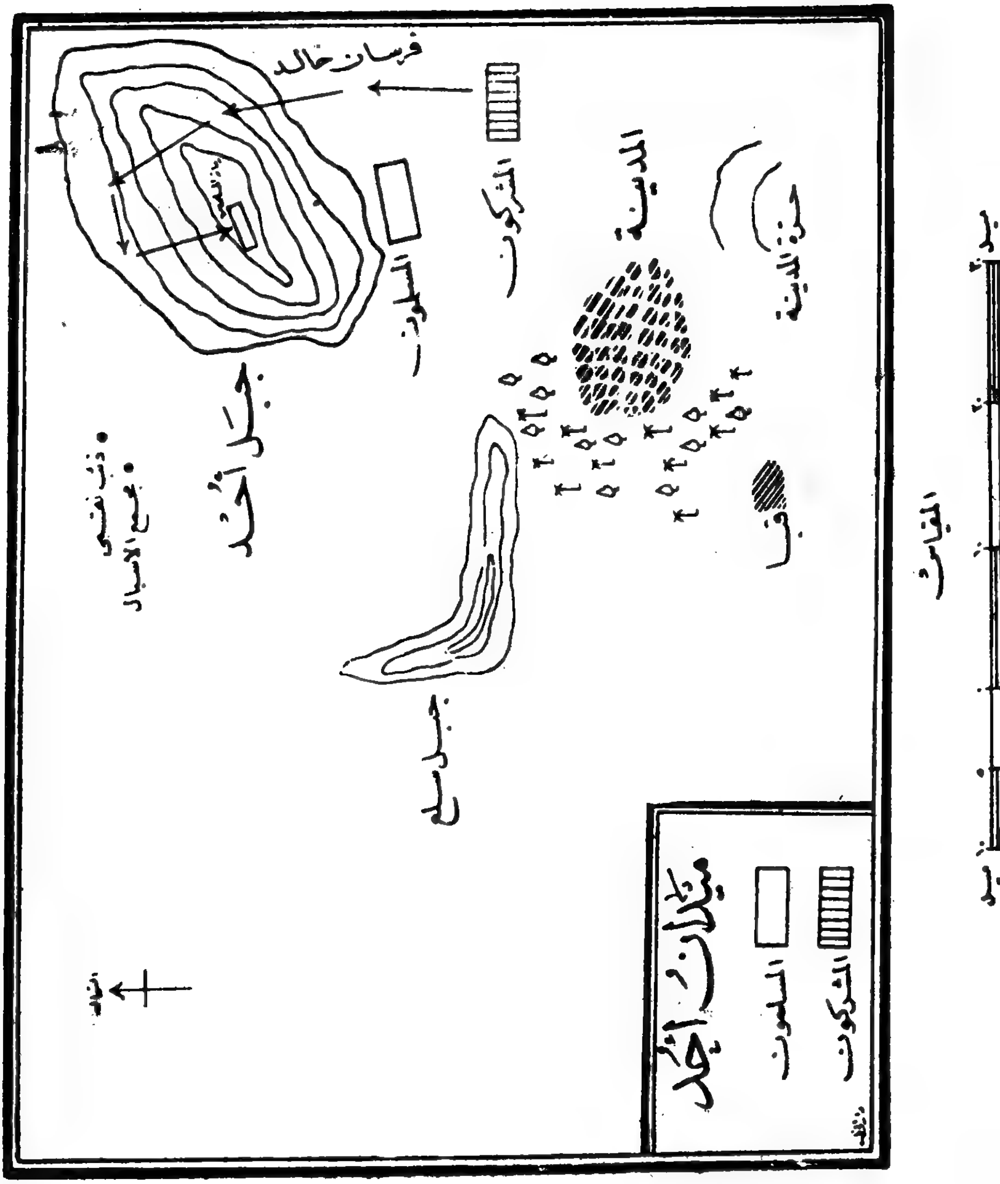

ميدان أحد
المسلمون
المشركون
فرسان خالد
المدينة
جبل أحد
جبل سلع

(٨)

مت » . ثم اندمع الى قلب جيش المشركين . ونادى حامل لواء المشركين طلحة ابن أبي طلحة : « من يبارز ؟ » فخرج اليه علي بن أبي طالب ؛ فقتله .

واندفع أبو دجانة وفي يده سيف النبي وعلى رأسه عصابة الموت ، فجعل لا يلقى احداً الا قتله ، حتى شق صفوف المشركين ، ثم رأى انساناً يحث المشركين على القتال ، فحمل عليه بالسيف ، فاذا بهند بنت عتبة تولول ، فارتد عنها ابو دجانة مكرماً سيف الرسول ان يضرب به امرأة .

٢ - إشتداد القتال (الصفحة الاولى)

آ) اندفعت قريش الى القتال يثور في عروقهـــا طلب الثأر لمن مات من اشرافها وساداتهـا منذ عام ببدر ، وكان من ورائهم نساؤهم للتشجيع والحث على الاستبسال ، وقد أعدت غير واحدة منهن مولى وعدته الخير الوفير لينتقم لها ممن فجعها ببدر في أب او أخ او زوج او عزيز ، وكانت هند بنت عتبة قد وعدت وحشياً الحبشي مولى جبير خيراً كثيراً ان هو قتل حمزة كما قال له جبير ابن مطعم مولاه ، وكان عمه قد قتـــل ببدر : « ان قتلت حمزة عم محمد ، فأنت عتيق » . وتربص وحشي بين الصفوف يترصد حمزة ، حتى رآه في عرض الناس يحطم ابطال المشركين ، فصوّب اليه حربته وقذفه بها ، فأصابت بطن حمزة اسفل سرته وخرجت من بين رجليه ، فاستشهد على اثرها .

ب) على الرغم من الخسارة الفادحة التي لحقت بالمسلمين باستشهاد حمزة ، فإن قواتهم بقيت مسيطرة على الموقف تماماً ، وأخذ لواء المشركين يسقط بين حين وآخر : حمل عثمان بن أبي طلحة اللواء بعد ان قتل علي طلحة بن أبي طلحة ، فلما لقي هذا مصرعه ، حمله أبو سعيد بن أبي طلحة ، فقتله علي بن أبي طالب او سعد بن أبي وقاص .

وتعاقب حملة لواء المشركين من بني عبد الدار ، حتى قتل منهم تسعة . ثم حمله مولى لهم ، وحملته امرأة بعد ذلك لتفرق المشركين عنه .

جـ) زحفت صفوف المسلمين على صفوف المشركين بعد تصدعها، فانهزم

المشركون حتى أحاط المسلمون بنساء المشركين وحتى وقع الصنم الذي احتملوه للتبرك به فوق الجمل الذي كان يحمله .

واخذ المسلمون يطاردون المشركين حتى ابعدوهم عن معسكرهم ، ثم عادوا يجمعون الغنائم .

ورأى الرماة الذين امرهم الرسول الا يبرحوا اماكنهم ولو رأوه وأصحابه يقتلون ، فقال بعضهم لبعض : لِمَ تقيمون هاهنا في غير شيء وقد هزم الله عدوكم ، وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكرهم ؟ » ...

واختلفوا فيما بينهم ، أيتركون مواضعهم أم يبقون فيها ، فأصرّ قائدهم عبد الله بن جبير على البقاء وعصاه اكثرهم وانطلقوا ، ولم يبق معه غير نفر دون العشرة ! واشترك المنطلقون في النهب .

٣ - هجوم المشركين المقابل (الصفحة الثانية)

آ) انتهز خالد بن الوليد فرصة ترك رماة المسلمين لمواضعهم ، وكان على ميمنة خيل المشركين ، فهجم على مواضع الرماة التي تركوها ، واستطاع اجلاء الباقين منهم عن مواضعهم : لقلة عددهم وعدم امكانهم الصمود في موضعهم الواسع بالنسبة لعددهم الذي اصبح قليلاً .

ولم يفطن المسلمون لهذه المباغتة ، وصاح خالد يعلن لقريش بأنه التف وراء المسلمين ، فعادت قوات قريش المهزومة للقيام بهجوم مقابل جبهوي ، بينما قام خالد بالإلتفاف من الخلف ، فأصبح المسلمون محاطين من كافة جوانبهم ، وتحرج موقفهم للغاية ، خاصة وان صفوفهم لم تكن رصينة في مواضعها لتستطيع الصمود ، اذ تبعثر افرادها لجمع الغنائم .

ب) كانت هذه الحركة مباغتة تامة للمسلمين لم يكونوا يتوقعونها ، فتبعثر اكثرهم وبقي القليل منهم بجانب الرسول يقاتلون ليشقوا لهم طريقاً من بين قوات قريش التي أطبقت عليهم من كل جانب ، واستشهد كثير من المسلمين وهم يحاولون شق طريقهم ، واستطاع المشركون أن يصلوا قريباً جداً من موضع

الرسول ، فرماه أحدهم بحجر كسر انفه ورباعيته ، وتمالك الرسول نفسه وسار مع اصحابه الباقين ، فإذا به يقع في حفرة حفرها ابو عامر ليقع فيها المسلمون ، فأسرع اليه علي بن ابي طالب واخذ بيده ... ورفعه طلحة بن عبيدالله حتى استوى .

ج) اخذ المشركون يديبون زخم هجومهم للقضاء على الرسول واصحابه، ونادى احدهم : بأنه استطاع قتل محمد ، ولكن أصحابه استماتوا في الدفاع عنه.

كانت ام عمارة نسيبة الخزرجية قد خرجت اول النهار ومعها سقاء لها فيه مـــاء ، تدور على المسلمين لتسقي منهم من استسقى ، فلما احاط المشركون بالمسلمين وأصبح الخطر الداهم محدقاً بالرسول نفسه ، ألقت نسيبه سقاءها واستلت سيفاً وأخذت تذود عـن محمد بالسيف وترمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح اليها . وصد ابو دجانة بجسمه النبال المنهالة صوب محمد ، فحنى ظهره عليه والنبل يقع فيه . ووقف سعد بن أبي وقاص الى جانب محمد يرمي بالنبـل دونه ، محمد يناوله النبل ويترصد له اصاباته .

ورمى الرسول بنفسه عـن قوسه ، حتى تحطمت القوس . وتساقط المسلمون حوله صرعى واحداً بعد الآخر مستقتلين في الدفاع عنه .. حتى استطاعوا شق طريقهم عبر صفوف قريش الى رابية مشرفة من روابي جبل أحد، وتركت هذه الاستماتة أثرها في قريش ، فتوقف زخم الهجوم قليلاً ، واستفاد المسلمون من هذه الفرصة السانحة ، فصعد الرسول بهم الى جبل أحد . وفي طريق صعوده رآه كعب بن مالك الذي كان بعيداً عنه مع المسلمين الذين تفرقوا عنه لهول صدمة مبـاغتة قريش لهم ولانتشار اشاعة قتل الرسول ، فنادى كعب بأعلى صوته : « يامعشر المسلمين . أبشروا . . هذا رسول الله » ، فلما سمعت قريش صيحة كعب لم يصدقها أكثرهم وحسبها صيحة أريد بهـــا شد عزائم المسلمين ، الا أن بعضهم اندفع وراء محمد وصحابته ، وتقدم ابي بن خلف وهو يقول . « اين محمد؟ لا نجوت ان نجا » . فطعنه الرسول بحربة الحارث بن الصمة طعنة جعلته يتقلب على فرسه ويعود أدراجه ليموت في الطريق .

د) وصل المسلمون الى هضبة مرتفعة من جبل أحد ،ولكن خـــالد بن الوليد وصل بفرسانه قريباً منهم ، فقام المسلمون عليه بهجوم مقابل واستطاعوا صد قواته .

ﻫ) ذهبت كافة محاولات قريش للقضاء على المسلمين أدراج الرياح ، اذ تجمعوا حول الرسول واصبحوا تحت قيادته ، بعد ان فرقهم جمع الغنائم وصدمة المباغتة عنه ، فأصبحوا متفرقين وبدون قيادة .

وبلغ الإعياء برجال قريش حداً بالغا ، وفشلت محاولاتها المحمومة المتكررة للقضاء على المسلمين نهائياً ، فقررت انهاء القتال ..

وقبل العودة اشرف ابو سفيان على الجبل ، فنـــادى : « أفيكم محمد ؟ » فلم يجيبوه . فقـــال : « أفيكم ابن ابي قحافة ؟ » فلم يجيبوه . فقـال : « أفيكم عمر بن الخطاب ؟» فلم يجيبوه . ولم يسأل الا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قريش ان قيام الإسلام بهم .فقال : « أما هؤلاء فقد كفيتموهم » .. فلم يتمالك عمر ان اجاب : « ياعدو الله ، ان الذين ذكرتهم احياء وقد ابقى الله لك ما يسوؤك ، وان محمداً يسمع كلامك الآن .. »

ولما انصرف ابو سفيان ومن معه نادى : «وان موعدكم بدر للعام القابل ».

فقال الرسول لرجل من اصحابه : « قل نعم ، هو بيننا وبينك موعد ».

وصدق الله العظيم : « ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسّونهم باذنـه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما اراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » .

عودة الطرفين

١ - المشركون

عـــاد المشركون ادراجهم الى مكة،فلما وصلوا موضع (الروحاء)(١) على طريق المدينة ـ مكة سمع ابو سفيان بخروج المسلمين لقتاله ، فخاف ان يكون الرسول قد جاء من المدينة بقوات جديدة ، فمر به معن الخزاعي ، وكان قد مر بمحمد ومن معه ، فسأله ابو سفيان عن المسلمين ، فأجـــابه معن و كان لا يزال مشركاً: « ان محمداً قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله قط ، وقد اجتمع معه من كان قــد تخلف عنــه ، وكلهم اشد ما يكون عليكم حنقاً ومنكم للثأر طلباً .. »

فكتّر ابو سفيان ان انكسار قواته اذا اصطدم بالمسلمين ثانية معنـاه خسارة انتصاره في أحد والقضاء على قريش قضاء لا تقوم لها من بعده قائمة ابداً ، فلجأ الى الحيلة،وبعث معركب من بني عبد القيس يقصدون المدينة ان يبلغوا محمداً: ان ابا سيفان قد قرّر السير اليهم ليستـأصل بقيتهم،ثم سارع بالرجوع الى مكة .

٢ ـ المسلمون

بعد عودة المشركين ووصول الرسول وصحـابته الى المدينة ، قرّر الرسول القيام بحركة جريئة تخفف من وقع الهزيمة في أحدوترد الى المسلمين معنوياتهم ، وتدخل الى روع اليهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى المسلمين سلطانهم بيثرب قوياً كما كان ..

لذلك خرج بأصحابه الذين اشتركوا بأحدفقط يوم الاحد ١٦ شوال من السنة الثالثة للهجرة ، اي في اليوم الثاني من يوم احد ، لمطاردة قوات قريش ، فلما وصل موضع (حمراء الأسد) وهي على مسافة ثمـــانية اميال من المدينة وعلى طريق المـدينة ـ مكة . جـاءه من يخبره بأن قريشاً قرّرت السير اليه ،

---

(١) : موضع بالقرب من حمراء الأسد ، وهذه على طريق المدينة ـ مكة ولبعد عن المدينة ثمانية اميال .

فلم تتضعضع معنويات المسلمين، وقرروا لقاء قريش، وبقوا ينتظرون هناك هذا الوعيد ثلاثة ايام ، فلما علموا بانسحاب قريش عادوا ادراجهم الى المدينة . وبهذه الحركة الجريئة استرد المسلمون كثيراً من مكانتهم التي فقدوها في أحد .

خسائر الطرفين

١ ـ المشركون

قتل من قريش اثنان وعشرون رجلاً .

٢ ـ المسلمون

استشهد من المسلمين سبعون رجلاً .

اسباب النكبة

١ ـ ألنصر أم اندحار ؟

لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة غزوة احد نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً ، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة بالأرواح في هذه المعركة .

ونبدأ المناقشة من الوجهة العسكرية البحتة ، لإظهار حقيقة نتائج غزوة أحد .

لقد انتصر المسلمون في ابتداء المعركة حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم والاحاطة بنسائهم واموالهم وتعفير لوائهم في التراب ، ولكن التفاف خالد بن الوليد وراء المسلمين وقطع خط رجعتهم وهجوم المشركين من الأمام ، جعل قوات المسلمين تطبق من كافة الجوانب على قوات المسلمين . هذا الموقف في المعركة جعل خسائر المسلمين تتكاثر ، ولكن بقي النصر بجانبهم الى الاخير .

لأن نتيجة كل معركة عسكرياً لا تقاس بعدد الخسائر بالارواح فقط ، بل

تقـــاس بالحصول على هدف القتال الحيوي وهو القضاء المبرم على العدو مادياً ومعنوياً .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً .

إن حركة خالد كانت مباغتة للمسلمين بلا شك وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب وهم متفوقون بالعدد الى خمسة امثال المسلمين ؛ كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجه القضاء الاكيد على كافة قوات المسلمين ،ولا يمكن أن يعد التفاف قوة متفوقة تفوقاً ساحقاً على قوة صغيرة اخرى من جميع جوانبها ، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد إعطاء خسائر عشرة بالمائة من موجودها ، إلا انتصاراً لتلك القوة الصغيرة .

ولا يمكن اعتبار فشل القوة الكبيرة في القضاء على القوة الصغيرة مـــادياً ومعنوياً في مثل هذا الموقف الحرج للغاية ، إلا فشلاً لها .

ولم تستطع قريش أن تؤثر على معنويات المسلمين ايضاً وإلا لما استطاعوا الخروج لمطاردتها بعد يوم فقط من يوم أحد ، دون أن تتجرأ قريش على لقائها بعيداً عن المدينة، خاصة وأن الرسول قد خرج للقاء قريش بقوته التي اشتركت (فعلا) بمعركة أحد ، دون أن يستعين بغيرهم من الناس .

ان نجاة المسلمين من موقفهم الحرج الذي كانوا فيه بأحد ، نصر عظيم لهم . لأن أول نتائج إطباق المشركين عليهم من كافة الجهات كان الفناء التام .

٢ ـ اسباب خسائر المسلمين

إن أسباب كثرة خسائر المسلمين في معركة (أحد) هي ما يلي :

ا) عدم المطاردة(١)

لم يقم المسلمون بالمطاردة في الصفحة الأولى من المعركة بعد انهزام المشركين

---

(١) المطاردة : تعبير عسكري يقصد به تعقيب القوات المادية المنسحبة لاحداث الخسائر فيها ومحاولة قلب انسحابها الى هزيمة .

بعيداً عن معسكرهم ، بل انشغلوا بالغنائم - ولو انهم قاموا بالمطاردة فوراً بعد انهزام المشركين ، لقضوا على قواتهم بسهولة ،ومن بعد ذلك يعودون لجمع الغنائم .

ب) مخالفة الاوامر

ا تنفيذ الاوامر هو الضبط العسكري الذي يعتبر روح الجندية والسبب المباشر لكل انتصار في كل معركة ، ومخـــالفة الرماة في ترك مواقعهم والاسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك ، اذ كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف ، مما أدى الى الإطباق عليهم من كافة الجهات .

ج) المباغتة

المباغتة مبدأ ، من أهم مبادىء الحرب ، ومعناها ضرب العدو من مكان أو في زمان أو بأسلوب لا يتوقعه ، بحيث يمكن تحطيم قوى العدو المادية والمعنوية. كان قيـــام ابن الوليد بالالتفاف وراء قوات المسلمين في الوقت الذي انهزم فيه المشركون مباغتة تامة للمسلمين ، فارتبكت صفوفهم بدرجة لم يفرقوا معها بين قوات عدوهم وبين قواتهم ، فقتل بعضهم بعضاً ، كما تحطمت معنويات الكثير منهم ، واصبحوا لا يعرفون ما يصنعون .

ان هذه المباغتة أتاحت الفرصة لقريش للقضاء على المسلمين وإبادة قواتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا الاستفادة من موقفهم الممتاز هذا ، فضيعوا هذه الفرصة السانحة لجعل معركة أحد حاسمة في نتائجها .

دروس من أحد

١ - الحصول على المعلومات

حصل المسلمون على المعلومات الكافية عن نوايا قريش وقوتها وحركتها من رسالة العباس عم النبي ، في وقت مبكر من حركة قوات قريش باتجاه المدينة لغزو المسلمين .

كما ارسل المسلمون دوريات استطلاعية قبـــل معركة أحد ، فعرفوا مواضع قوات قريش ، وأرسلوا دوريات استطلاعية بعد المعركة ، لمعرفة اتجاه حركة عودة المشركين .

لقد كان عمل المسلمين في الحصول على المعلومات مفيداً في منع المشركين من مباغتتهم في المدينة .

٢ ـ القيادة

كان لقريش في معركه أحد قائد عام هو أبو سفيان ، ولم تظهر شخصية هذا القـائد في المعركة ، كما كانت سيطرته ضعيفة على ما يظهر بدرجة أن نساء المشركين مثّلوا بشهداء المسلمين دون رغبته ، فلم يستطع أن يفعل شيئاً .

ولو كانت قيادة أبي سفيان على شيء من الكفاءة لاستطاع إبادة المسلمين بعد تطويقهم التام .

اما قيادة الرسول ، فقد ظهرت بشكل ظاهر في هذه المعركة .

انتخب الموقع المناسب للمعركة واضطر قريشاً الى قبول المعركة فيه ، ونظم خطة القتال ، فانتخب مواضع الرماة لحمـــاية ظهور المسلمين ، وخصص لهذه المواضع قوة كافية للدفاع عنها بإمرة قائد مسؤول .

إن كل ذلك على أهميته لا يعتبر شيئاً بالنسبة الى ظهور عبقرية قيادته في اثناء القتال خلال الصفحة الثـانية من معركة أحد ، حين طوق المشركون المتفوقون بالعدد الى خمسة امثال المسلمين قوة المسلمين القليلة ، بعد ان انهارت معنويات الكثيرين منهم لما تطاير خبر مقتل الرسول في المعركة فلجأوا الى الهضاب بعيداً عن ساحة المعركة ، وبقي مع الرسول شرذمة قليلة من المسلمين .

لقد استطاع الرسول بهذا الموقف الحرج للغاية بالنسبة للمسلمين الموفّق للغاية بالنسبة للمشركين ، أن يسيطر عـــلى اعصابه في معركة يائسة جداً ، ويقود الباقين من المسلمين لشق طريقهم من بين القوات المتفوقة المحيطة بهم ، ثم يحتل موضعاً مشرفاً ، ويقوم بإعادة تنظيم قواته الباقية ويعيد اليها معنوياتها ، ويصد

بها هجمات مقابلة شديدة للمشركين ، فيحيل الهزيمة الأكيدة الماحقة الى نصر ، لأنه اضطر قريشاً الى اليأس من القضاء على المسلمين، بعد ان كان فناء المسلمين امراً «حتماً»، ثم اضطرهم الى الانسحاب من المعركة بعد اليأس من إبادة المسلمين .

ولم يكتف بذلك بل خرج في اليوم الثاني من المعركة ، لمطاردة قوات المشركين .حتى اضطرهم إلى استعمال الحيلة بإرسال المعلومات الكاذبة للمسلمين عن اعتزامهم إعادة الكرّة على قوات الرسول ، فلم يكترث بهذا التهديد وسيطر على اعصابه وقرر لقاء المشركين مهما تكن الظروف والأحوال .

هذه قيادة عبقرية ، ظهرت للرسول بهذه المعركة ، اقل نتائجها انه جعل النصر الى جانب المسلمين المغلوبين .

٣ ـ القضايا التعبوية

آ) مخالفة الاوامر

اخطأ رماة المسلمين في مخالفتهم لأوامر الرسول وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم؛ ولولا انسحابهم لما استطاع خالد بن الوليد ضرب مؤخرتهم، ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين .

ان مخالفة الاوامر في أحد ، درس في نتائج كل مخالفة عسكرية للاوامر في الحرب،وان نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس في النفوس ،لكي لايعود احد لمثلها ابداً .

ب) عدم المطاردة

بعد كل هجوم ناجح لا بد من مطاردة عنيفة للقضاء على العدو .

وقد اخطأ المسلمون في عدم مطاردتهم للمشركين بعد فرار المشركين من مواضعهم وابتعادهم عن معسكرهم والتفاف المسلمين حول نساء المشركين ومواشيهم وإبلهم في الصفحة الاولى من يوم أحد،ولو قام المسلمون بالمطاردةالى

مسافة عشرة اميال على الأقل لأوقعوا بالمشركين خسائر فادحة . ولانتهت معركة أحد الى نتائج في مصلحة المسلمين .

ج) اسلوب القتال

لقد جرى القتال بين الطرفين باسلوب الصفوف ، وبذلك استطاعت قريش أن تسيطر على المعركة بشكل أفضل من سيطرتها على المعركة التي تجري باسلوب الكر والفر .

٤ - القضايا الادارية

آ) الادامة والنقلية

كان المشركون متفوقين على المسلمين بإدامة قواتهم واعاشتها وتسليحها وفي نقليتها تفوقاً محسوساً مما كان له اثر طيب على سير القتال لصالح المشركين .

ب) الدفن

دفن المشركون قتلاهم وتركوا قتلى المسلمين .

ولم يكتفوا بذلك بل مثلوا بهم أشنع تمثيل . فقد انطلقت هند بنت عتبة والنسوةاللاتي معها يمثلن بالشهداء : يجدعن الآذان والانوف .. الخ .

أحد في التاريخ

لقد أجمع المؤرخون على اعتبار نتيجة أحد نصراً للمشركين على المسلمين .
ولكن الحقائق العسكرية لا تتفق مع ما أجمع عليه المؤرخون .
لقد كان بإمكان المشركين القضاء على قوات المسلمين في معركة أحد ، بعد ان استطاعوا إحاطتهم من كافة الجوانب بقوات متفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً .
ومع ذلك استطاع محمد أن يشق طريقه بين القوات المحيطة به ، ويخلص تسعة اعشار قواته من فناء اكيد .

ان فشل المشركين في القضاء على قوات المسلمين بعد احاطتهم بقواتهم المتفوقة يعتبر اندحارا لهم .

وان نجاح المسلمين في الخروج من تطويق المشركين بخسائر عشرة بالمئة من قواتهم القليلة يعتبر نصرا لهم .

وبالإضافة الى نجاح المسلمين في التخلص من الفناء التام في معركة أحد ، فقد نجحوا في معرفة المنافقين بين صفوفهم قبل المعركة وبعدها ، مما اتاح لهم القيام بالتطهير العام في صفوفهم بعد (أحد) على هدى وبصيرة .

وبذلك تظهر الفائدة العظيمة لغزوة أحد للمسلمين .

ان نتيجة معركة أحد نصر (تعبوي)(١) للمشركين على المسلمين ، ولكنها فشل (سوقي) للمشركين . ولا يعدّ النصر التعبوي شيئاً يذكر الى جانب الفشل السوقي .

---

(١) التعبية : الأعمال العسكرية في المعركة .
السوق : وهو الاستفادة من المعارك للحصول على الغرض من الحرب .
ذلك هو تعريف السوق والتعبية بصورة موجزة الغاية تعطي (فكرة) للمدنيين فقط ، اذ ان لكل من هذين الاصطلاحين تعريفات كثيرة طويلة تستغرق كثيرا من كتب فن الحرب .
ومن ذلك يتضح ان السوق يعني نتائج الحرب كلها بينما التعبية تعني نتائج معركة واحدة محلية.

إعـــادة النظــام

«وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين»

القرآن الكريم

بعد أحُد

الموقف العام

١ ـ المسلمون

كان لا بدّ للمسلمين من أن يقوموا بالتطهير التام في المدينة وخارجها ، حتى يستعيدوا سمعتهم الممتازة بين العرب .

لقد استطاعوا أن يجعلوا من المدينة (قاعدةأمينة) للإسلام قبل غزوة أحد، ولكن هذه الغزوة خلقت لهم مشاكل داخلية وخارجية : مشاكل داخلية من اليهود الذين هم أشــدّ عداوة للذين آمنوا في السراء والضراء ، ولكن السراء تضطرهم على إخفاء نواياهم ، بينما يعلنون هذه النوايا صريحة في الضراء .

وداخلية ايضاً من المنــافقين الذين تظاهروا بالإسلام ، فانكشفت طوايا نفوسهم قبل معركة أحد وبعدها عندما رأوا الخطر محدقاً بالمسلمين .

ومشاكل خارجية من قريش بالدرجة الأولى إذ أخذت تشن حرب دعاية ضد المسلمين ، لتظهر نتائج غزوة أحد بمظهر يرفع من قيمتها ويحط من قيمة المسلمين.

وخــارجية أيضاً من القبائل المجاورة ، أولئك الأعراب الذين يستخذون للاقوياء ، فيظهرون بمظهر المسالم الوادع ، ويبطشون بالضعفاء بطشاً لا هوادة فيه ولا رحمة .

لقد كان على المسلمين أن يعيدوا الكرّة للقيام بالتطهير العام ، حتى يعيدوا النظام الى صفوفهم ، وحتى يستعيدوا السيطرة الكاملة على المدينة وما حولهـــا وعلى المشركين من قريش والقبائل الأخرى .

٢ - المشركون

طارت قريش فرحاً بنتائج أحد على الرغم من أنّ نتائجها لم تكن في صالحهم. إذ لم يكن انتصارهم فيها إلا انتصاراً تعبوياً، بينما كانت نتائجها فشلاً سوقياً عليهم أي أنّ انتصارهم كان ظاهرياً فقط بينما كانت حقيقته فشلاً لهم.

ولكنهم لم يقدّروا حقيقة هذه النتيجة، فراحوا يتباهون بنصرهم، ويعلنونه للعرب في كل مكان. وكما لم تقدّر قريش نتيجة أحد على حقيقتها، فإن القبائل البدوية المجاورة للمدينة لم يقدّروا هذه الحقيقة، فطمعوا بالمسلمين وظنوا انهم أصبحوا في متناول أيديهم غنيمة باردة.

٣ - اليهود

ظنّ اليهود أن المسلمين أصبحوا ضعفاء بعد أحد، فلا بدّ من انتهاز الفرصة لأخذ ثارات إخوانهم بني قينقاع وثأر كعب بن الأشرف...

وأخذوا يحيكون المؤامرات ويخلقون المشاكل للمسلمين.

اهداف الطرفين

١ - المسلمون

الكفاح ضد تدخّل اليهود والمشركين في حرّية نشر عقيدتهم، والدفاع عن أنفسهم وأموالهم ضد المعتدين.

٢ - المشركون واليهود

القضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم.

سير الحوادث

١ - سرية ابن سلمة

آ) قوات الطرفين

أولاً ـ المسلمون

دورية قتال بقوة مائة وخمسين راكباً وراجلاً بقيادة أبي سلمة بن عبدالأسد.

ثانياً ـ المشركون

قبيلة بني أسد بقيادة طليحة وسلمة ابني خويلد .

ب) الهدف

منع بني أسد من الهجوم على المسلمين في المدينة .

ج) الحوادث

بلغ الرسول بعد شهرين من غزوة أحد ، أنّ طليحة وسلمة ابني خويلد يحرضان قومهما بني أسد لغزوة المدينة ونهب أموال المسلمين فيها .

قرر محمد إرسال دورية قتال بقوة مائة وخمسين مسلماً بين راكب وراجل، فيهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص بقيادة سلمة بن عبد الأسد للقضاء على بني أسد قبل قيامهم بغزوة المدينة ، وأمرهم بالسير ليلاً والاستخفاء نهاراً وسلوك طريق غير مطروقة ، حتى لا يطلع أحد على أخبارهم ونواياهم، فيباغتوا بذلك بني أسد في وقت لا يتوقعونه .

وسار ابو سلمة حتى وصل ديار بني أسد دون أن يعرفوا عن حركته إليهم شيئاً فأحاط بهم فجراً فلم يستطع المشركون الثبات وولوا الأدبار .

وأرسل ابو سلمة مفرزتين من قواته لمطاردتهم ، فعادتا بالغنائم ، ثم عادابو سلمة بقوته الى المدينة .

٢ ـ دورية عبدالله بن أنيس

آ) قوات الطرفين

أولاً ـ المسلمون

دورية استطلاعية بقوة مسلم واحد هو عبدالله بن أنيس .

ثانياً ـ المشركون

بنو لحيان من هذيل بقيادة خالد بن سفيان الهذلي .

ب) الهدف

منع الاعراب من غزو المسلمين قبل انجاز تحشدهم وقيامهم بالغزو .

ج) الحوادث

علم الرسول أن خالد بن سفيان الهذلي يقوم بتحشيد قوة كبيرة من الأعراب القيام بغزو المدينة ، حتى ينال شيئاً من غنائمها وخيراتها ، فأرسل عبدالله بن أنيس ليستطلع خبر خالد ويتأكد من صحة المعلومات التي سمعها الرسول .

سار عبدالله فصادف خالداً بعيداً عن قومه ومعه بعض النساء ، فسأله خالد : من الرجل ؟ فأجـــابه : انا رجل من العرب سمع بك ويجمعك لمحمد ، فجاءك لذلك ! .. فلم يخف خالد نواياه ، ولما رآه عبدالله في عزلة عن الرجال وليس معه الا أولئك النسوة ، استدرجه للسير معه ، فلما سنحت له الفرصـــة حمل عليه بالسيف ، فقتله ...

وعـــاد عبدالله من المدينة بعد ان تفرّقت جموع الاعراب المتشدة لغزو المسلمين ، لأنها فقدت قائدها .

٣ ـ غزوة بني النضير

آ) قوات الطرفين

أولاً المسلمون

مسلمو المدينة بقيادة الرسول

ثانياً ـ اليهود

بنو النضير .

ب) الهدف

التخلص من بني النضير لتآمرها على اغتيال الرسول.

ج) الحوادث

ذهب النبي الى منازل بني النضير في ضواحي المدينة ليستعين بهم في دية قتيلين معاهدين للمسلمين قتلها عمرو بن أمية خطأ دون أن يعلم بعهدهما .

فلما فاوضهم الرسول ، أظهروا الرضا بمعونته ، فجلس الى جنب جدار من بيوتهم مع عشرة من أصحابه بينهم أبو بكر وعمر وعلي .

وفي أثنـــاء تبسط بعضهم معه في الحديث ، رأى ان بعضهم يأتمرون به ، فيذهب أحدهم الى ناحية ، ويبدو عليهم كأنهم يذكرون مقتل كعب بن الأشرف ، ثم يدخل أحدهم (عمرو بن جحاش) البيت الذي كان الرسول مستنداً الى جداره .

حينذاك رابه أمرهم وزاده ريبة ما كان يبلغه سابقاً من حديثهم عنه والتآمرهم به . فترك موضعه بالقرب من الجدار ، وقفل راجعاً الى المدينة وحده .

ولما استبطأه أصحابه ، قاموا للتفتيش عنه ، فرأوا رجلاً مقبلاً من المدينة أخبرهم بأن النبي هناك ، فأسرعوا يلحقون به ، فلما ذكر ما رابه من أمر اليهود ومن اعتزامهم الغدر به ، تنبّهوا من حركات اليهود التي تدل عـــلى مؤامرتهم للقضاء على حياة الرسول .

وقد عرف – بعد – ان عمر بن جحاش هو الذي أراد قتل النبي بإلقـــاء حجر الرحى عليه من فوق سطح الجدار الذي كان الرسول تحته .

استدعى الرسول محمد بن مسلمة وقال له : « اذهب الى يهود بني النضير وقل لهم ، ان رسول الله ارسلني اليكم أن اخرجوا من بلادي ! لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم ما هممتم به من الغدر بي . لقد اجلتكم عشراً ، فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه » ...

لم يجد اليهود مناصاً من الخروج ، فأخذوا يتجهزون للرحيل ، الا ان منافقي المدينة وعلى رأسهم عبدالله بن ابي ارسلوا اليهم : « ان اثبتوا ونحن ننصركم على محمد وصحبه » ...

عند ذاك عادت لليهود ثقتهم بأنفسهم ، واستقر رأيهم على القتال ، وارسلوا

النبي من يقول له : « لن نخرج فافعل مابدا لك » .. ثم احتموا بحصونهم ونقلوا الحجارة الى شوارعهم واقاموا منها متاريس وخنادق للاحتماء وراءها في القتال ، وكدسوا ارزاقاً تكفيهم لمدة سنة في حصارهم ، وكان المـــاء متيسراً لديهم باستمرار . تحرك المسلمون بقيـــادة الرسول الى ديار بني النضير ، فحاصروهم عشرين ليلة ، كانوا اثناءها يحتلون شارعاً بعد شارع وداراً بعد دار ...

ولما رأى الرسول اصرار اليهود على القتال مستفيدين من حصونهم القوية ، امر اصحابه ان يقطعوا نخل اليهود وان يحرقوه (١) حتى لا تبقى اليهود عـــلى حماسها في القتال طمعاً بالمحافظة على اموالها .

وجزع اليهود وانتظروا عبثاً اسراع عبدالله بن ابي او القبـــائل الاخرى لنجدتهم ، فسألوا محمداً ان يؤمنهم على اموالهم ودمائهم وذراريهم ،حتى يخرجوا من المدينة .

وافق الرسول على مصالحتهم بشرط ان يخرجوا من المدينة ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من مال او طعام او شراب ليس لهم غيره ، فخرج بعضهم الى خيبر وبعضهم الى ضواحي الشام ، وتركوا للمسلمين وراءهم مغانم كثيرة من سلاح بلغ خمسين درعاً وثلاثمائة واربعين سيفاً ، وغلالاً عظيمة ، كما اصبحت ارضهم للمسلمين .

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي .

الاحتلال الحربي

دخول قوات الدولة المحاربة اقليم العدو ووضعها هذا الإقليم تحت سيطرتها الفعلية ، والدولة بهذا الاجراء تنقل ميدان القتال الى ارض العدو، والعدو يتحمل – نتيجة لهذا الاحتلال – كل اضرار الحرب الماديةوما يترتب على قصف القنابل من خسائر او تستلزمه الإجراءات العسكرية من اتلاف مزارع او نسف جسور ، وهو الذي يتحمل فوق هذا الاضرار المالية الجسيمة التي تترتب على قيام الحرب في اقليمه، فارضه الداخلة في ميدان القتال يتعطل زرعها ، ومبانيه واملاكه وتجارته يتعطل استغلالها،أضف الى كل ذلك مـــا تملكه الدولة المحاربة من حقوق مالية في الارض المحتلة من بينها حقها في أن تفرض الضرائب فيها وأن تلزم سكانها بدفع الإعانات الجبرية ، وان تستولي منهم على ما تحتاج اليه لجيوش الاحتلال .

٤ ـ غزوة ذات الرقاع

آ) قوات الطرفين

أولاً المسلمون

أربعمائة راكب وراجل بقيادة الرسول

بنو ثعلبة وبنو محارب من غطفان

ب) الحوادث

القضاء على بني ثعلبة وبني محارب المتحشدين للقيام بغزو المدينة ، وأخـــذ ثار شهداء المسلمين في بئر معونة (١) .

اتصل بالنبي أن جماعة من غطفان بنجد يحتشدون للقيام بغزو المدينة، لذلك

---

(١) حديث بئر معونة .
يراجع سيرة ابن هشام

قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فعرض عليه رسول الله الاسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام. وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك » . فقـــال رسول الله : « اني اخشى عليهم اهل نجد » قال ابو براء : انا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك .

بعث الرسول المنذر بن عمرو في اربعين رجلاً من اصحابه من خيار المسلمين .. فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فلما نزلوها بعثوا بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى علا الرجل الذي جاء بالكتاب ، فقتله ... ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم فأجابوه الى ذلك ، فخرجوا حتى اغشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم ، فلما راوهم اخذوا سيوفهم، ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم لا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق .

خرج بأربعمائة راكب وراجل حتى نزل (نخلا)(١) حيث اجتمع بنو محـــارب وبنو ثعلبة من غطفان .

وعلى الرغم من ضخامة عدد هؤلاء الاعراب ، إلا أن مبـــاغتة الرسول لهم أربكتهم ، فتفرقوا تاركين وراءهم نساءهم وأموالهم .

احتمل المسلمون ما استطاعوا من غنائم ، وعادوا أدراجهم الى المدينـــة ، ولكنهم كانوا في طريق عودتهم حذرين من قيام المشركين بهجوم مقابل عليهم ، فتناوبوا الحراسة ليلاً وبقوا حذرين نهاراً ، إلا أن المشركين لم يقوموا بعمل ما !

وعاد الرسول بصحابته إلى المدينة بعد غياب خمسة عشر يوماً .

٥ - غزوة بدر الآخرة

آ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

الف راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

اكثر من ألفي رجل من قريش بقيادة أبي سفيان .

ب) الهدف

كسر معنويات قريش والتغلب عليها لاظهار قوة المسلمين للمشركين واليهود .

جـ) الحوادث

خرج الرسول بعد أن مضى عام كامل على يوم أحد مع أصحابه الى بدر ، ليلاقي قريشاً هنـــاك ، كما وعد أبا سفيان حين سمعه يقول : « يوم بيوم بدر، والموعد العام المقبل في بدر » .

كان العام عام جدب ؛ وكان أبو سفيان يودّ لو يؤجل اللقاء الى عام آخر ،

---

(١) نخلا : قال ياقوت : منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين . وكان هذا المنزل شجرة يعبدها العرب تسمى (قرات الرقاع) لذلك سميت هذه الغزوة باسم (قرات الرقاع)

فبعث رجلاً الى المدينة يقول للمسلمين : « إن قريشاً جمعت جيشاً لاقبل لجيش في العرب بمواجهته لتحاربهم به حتى تقضي عليهم قضاء لا يعد ما تم (بأحد) إلى جانبه شيئاً » . ولكن الرسول لم يكترث بهذا الوعيد ، وأصر على الخروج .

وصل المسلمون بدراً، وانتظروا قريشاً هناك، ولكن المشركين الذين خرج بهم أبو سفيان من مكة تردّدوا بين الأقدام والاحجام ، فآثروا السلامة وعادوا أدراجهم الى مكة بعد أن قطعوا مسيرة مرحلتين منها .

وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن طال انتظارهم للمشركين ثمانية أيام ببدر ، وقد محت غزوة بدر الآخرة كل أثر سيىء لمعركة أحد داخل المدينة وخارجها على حد سواء

٦ ـ غزوة دومة الجندل

آ) قوات الطرفين

أولاً ـ المسلمون

ألف راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً ـ المشركون

القبائل البدوية التي تقطن منطقة دومة الجندل .

الهدف

منع القبائل القاطنة في منطقة دومة الجندل من قطع الطرق ونهب القوافل ، والقضاء على تحشدها لمهاجمة المدينة .

ب) الحوادث

خرج الرسول بألف من المسلمين، يكمن بهم نهاراً ويسير ليلاً ، حتى يباغت قبائل دومة الجندل في وقت لا يتوقعونه .

تقع دومة الجندل على الحدود بين الحجاز والشام، وقد قطع المسلمون المسافة بين المدينة وبينها بخمس عشرة مرحلة ، فلما وصلها الرسول فرت القبائل خوفاً

من لقاء المسلمين، كما فر أهل دومة الجندل، فلم يجد المسلمون أحداً منهم، فأرسلوا دوريات قتال واستطلاع للحصول على التماس بالمشركين وللحصول على المعلومات عنهم، حتى يقوم المسلمون بمطاردتهم، ولكن ذهبت جهود هـذه الدوريات أدراج الرياح.

وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن أقاموا في دومة الجندل بضعة أيام.

٧ ـ غزوة بني المصطلق

آ) قوات الطرفين

أولاً ـ المسلمون

قواتهم تقدر بألف مسلم بين راكب وراجل بقيادة الرسول.

ثانياً ـ المشركون

بنو المصطلق بقيادة الحارث بن أبي ضرار.

ب) الهدف

القضاء على تحشدات بني المصطلق قبل قيامهم بالتعرض بالمدينة.

ج) الحوادث

بلغ محمداً أن بني المصطلق وهم فرع من خزاعة يحشدون جموعهم في منطقة (المريسع) قرب مكة للهجوم على المدينة وقتل الرسول، لذلك اسرع بالخروج ليأخذهم على غرّة.

جعل لواء المهاجرين لأبي بكر، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة، ونزل المسلمون على ماء قريب من بني المصطلق يقال له (المريسع) ثمّ أحاطوا ببني المصطلق، ففر من جاء لنصرتهم وقتل من بني المصطلق عشرة ومن المسلمين رجل واحد .. ثم سلم بنو المصطلق، فأخذوا أسرى.

وكان لعمر بن الخطاب في الجيش أجير يقود فرسه، فازدحم بعد انتهاء المعركة مع أحد رجال الخزرج على الماء. فاقتتلا ...

صاح الخزرجي . يا معشر الانصار .

ونادى أجير عمر : يا معشر المهاجرين .

وسمع عبدالله بن أبي النداء ، وكان قد خرج مع المنافقين في هـــذه الغزوة متظاهراً بالاسلام ، فانتهزها فرصة ليشعلها فتنة عمياء بين المهاجرين والأنصار .

ولما علم الرسول بالحادث قرر الرحيل فوراً قبل أن يستفحل الأمر ، وانطلق بالناس طيلة يومهم حتى أمسوا ، وطيلة ليلتهم حتى أصبحوا ، وصدر يومهم الثاني حتى آذتهم الشمس ، فلما نزل الناس لم يلبثوا حين مست جنوبهم الارض أن ناموا من فرط تعبهم .

وأنسى التعب المسلمين فتنة ابن أبي ، وعــادوا الى المدينة ومعهم الاسرى والغنـــائم .

وظن المسلمون ان الرسول سيعاقب عبدالله بن أبي ، وتقدم ابنه عبدالله بن أبي يطلب من الرسول أن يأمره بقتل أبيه .

ولكن الرسول عفا عنه قائلاً لولده المؤمن : « إنا لا نقتله بل نترفق بــه ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

دروس من غزوات التطهير

١ - المسير الليلي

قام الرسول بالمسير ليلاً في أكثر هذه الغزوات حتى يحول دون انكشاف نواياه واتجاه حركة قواته ، فيؤمن مباغتة أعدائه مباغتة تامة .

لقد كانت القبائل التي قام بغزوها قوية ولهـــا حلفاء وأنصار ، فلو أنهـــا عرفت بمسيره لسارعت بالاستعداد لاقائه واستعانت بحلفائها وأنصارها لمعاونتها يوم اللقاء .

ولكن المسير الليلي حال بينها وبين ذلك كله ، فاستطاع الرسول بقواتـــه

القليلة بالنسبة لقوات تلك القبائل ، أن يتغلب عليها ويقضي على نواياها العدوانية ، ويلقي الرعب في نفوسها ونفوس القبائل الأخرى التي تسمع بانتصار الرسول .

إن الضربة الأولى ، لها أثر حاسم في نفسية الأعراب فاذا امكن التغلب عليها في المعركة الأولى تشتت شملها ، والا فما أصعب القضاء عليها !

لقد عرف الرسول نفسية القبائل هذه ، فحاول القضاء على معنوياتها بضربة مباغتة بالمسير الليلي .

٢ - الهجوم فجرا

استطاعت سرية ابي سلمة القيام بهجوم فجري على بني أسد ، فكان هـــذا الهجوم مباغتة كاملة أثرت على معنوياتها ، وأجبرتها على الفرار .

إن الهجوم الفجري يؤمن المباغتة ،لأن العدو يكون بين نائم لا يفيد للقتال أو مستيقظ يقوم بعمل ما ، وهؤلاء جميعاً غير متهيئين للقتال .

ولكن الهجوم فجراً يحتاج الى قوة مدربة حتى تستطيع معرفة أهدافهـــا ، فلا يصطدم بعضها ببعض ، فيؤدي ذلك الى خسائر في الارواح .

كما يحتاج الهجوم فجراً الى قيادة مسيطرة والى ضبط شديد لتنفيذ الأوامر .

إنّ نجاح المسلمين بهذا الهجوم معناه وصولهم الى درجة عالية في التدريب والضبط .

٣ - قتال المدن والشوارع

نقل بنو النضير الحجارة الى الشوارع ، وجعلوا منها متاريس للقتال وراءها . كما دافعوا عن الشوارع والدور دفاعا مستميتاً .

وقام المسلمون بتطهير الشوارع والدور والانتقال من شارع الى آخر ومن دار الى اخرى ، حتى ضيقوا الحصار على اليهود ، وأجبروهم على التسليم .

إن قتال المدن والشوارع سهل على المدافع ، لانه يعرف الطرقات ومداخل البيوت ومخارجها كما أنّ الشوارع والدور تقدّم حماية للمدافعين ، لذلك فمهمة

قتال المدن والشوارع ليست سهلة على المهاجم وتحتاج الى قيادة مسيطرة وضبط متين وتدريب جيد .

إن نجاح المسلمين في قتال المدن والشوارع ضد اليهود يدل بوضوح على أن مستوى قيادتهم وضبطهم وتدريبهم كان راقياً جداً .

٤ - الابداع (١)

الابداع هنا معناه سرعة الخاطر في اعطاء القرار الجازم الصحيح في المواقف الحرجة ، مع تحمل مسؤولية ذلك القرار مهما تكن النتائج .

وقد كان عمل عبدالله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان الهذلي الذي حشد بني لحيان لمهاجمة المدينة ، ابداعاً ممتازاً أدى الى تشتيت قبيلته ، وبذلك قام عبدالله ابن أنيس وحده مقام قوة كبيرة كان عليها أن تتحرك لمهاجمة بني لحيان ،فتبذل جهوداً ووقتاً ومالا في معركة غير معروفة النتائج :

وكان عمل الرسول في تحريكه قواته بعد غزوة بني المصطلق، لما علم بمحاولة عبدالله بن أبي إثارة الفتنة بين المهاجرين والانصار ، واستمرار المسير الشاق لمدة ثلاثين ساعة ... - كان عمل الرسول إبداعاً ممتازاً إذ لولا مسارعته بالحركة مع قواته حتى انهكها التعب لما استبعدنا بتاتاً نجاح عبدالله بن أبي في فتنته .

ان مزية الابداع من أعظم مزايا القائد الكفوء .

٥ - المعنويات

حاول المشركون والمنافقون أن ينالوا بدعاياتهم المضرة من المسلمين بعد أن عجزوا عن أن ينالوا منهم في ساحات القتال .

لقد حاول المشركون أن يؤثروا على معنويات المسلمين، كي لا يطمئنوا الى إرسال دعاتهم خارج المدينة ، وبذلك يجعلون الدعوة تنحصر في محيط ضيق لا يتسع لآمالها القريبة والبعيدة .

---

(١) الابداع :
سبق العدو بالعمل لارغامه على تبديل الخطة التي اتخذها وارغامه للانقياد الى رغائبك .

الملحق (ب)

غزوات التطهير

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	سرية أبي سلمة	١٥٠ بين راكب وراجل	أبو سلمه بن عبد الأسد	بنو أسد	طليحة وسلمة ابني خويلد	ديار بني أسد	ذو الحجة من السنة الثالثة للهجرة	فرار بني أسد
٢	سرية عبدالله ابن انيس	دورية استطلاعية بقوة شخص واحد	عبدالله ابن أنيس	بنو لحيان من هذيل	خالد ابن سفيان الهذلي	نخلة	—	قتل خالد بن سفيان الهذلي فتشتت بنو لحيان
٣	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	محمد	اليهود من بني النضير	—	ضواحي المدينة	ربيع الاول من السنة الرابعة للهجرة	اجلاء بني النضير عن المدينة

٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	محمد	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	–	ذات الرقاع بنجد	جمادى الآخرة من السنة الرابعة للهجرة	فرار بني محارب وبني ثعلبة
٥	غزوة بدر الآخرة	حوالي ألف راكب وراجل	محمد	٢٠٠٠ من قريش	أبو سفيان	بدر	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	عادت قريش أدراجها إلى مكة خوفاً من لقاء المسلمين
٦	غزوة دومة الجندل	ألف راكب وراجل	محمد	قبائل دومة الجندل	–	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة	فر المشركون
٧	غزوة بني المصطلق	ألف راكب وراجل	محمد	بنو المصطلق	–	المريسع	شعبان من السنة الخامسة للهجرة	فر المشركون

غدر بنو عضل والقار بمعاونة هذيل بستة من الدعاة في (الرجيع) ، وكان بنو عضل والقار هم الذين طلبوا من الرسول إرسال بعض دعاته إليهم ليعلموهم الاسلام .

وغدر عامر بن الطفيل من بني عامر مع بعض الأعراب بأربعين داعياً من دعاة الاسلام في بئر معونة بنجد وقضى عليهم إلا رجلاً عاد الى المدينة يحمل أخبار الشهداء .

فهل أثرت هذه الخسائر على معنويات المسلمين ؟

ان استشهاد الدعاة لم يؤثر على معنويات المسلمين ، لانهم استمروا على إرسال دعاتهم وخرجوا لأخذ ثارات هؤلاء الدعاة ، حتى لا يعود المشركون الى الغدر بالمسلمين مرة أخرى .

وحاول المنافقون التأثير على معنويات المسلمين بأسلوب آخر هو اسلوب الدعاية السيئة ، فاختلقوا حديث الافك بعد غزوة بني المصطلق . ولم ينجح هذا الاسلوب ايضاً بالتأثير على معنويات المسلمين ، فلم يبق امام المشركين واليهود والمنافقين الا ان يحشدوا كل قواتهم في صعيد واحد لمحاولة القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً ، كما سنرى ذلك في غزوة الخندق .

هـــازم الأحزاب

« إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل
منكم ، وإذا زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
هنالك ابتُلِيَ المؤمنون وزلزلوا زلزالا
شديدا »

القرآن الكريم

غـــزوة الخندق

الموقف العام

١ ـ المسلمون

نجح المسلمون في إعادة النظام الى صفوفهم بعد (أحد) ، وتخلصوا من يهود بني النضير ، وبذلك قوي مركزهم في المدينة قاعدتهم الأمينة ، كما أثروا على معنويات قريش وكافة القبائل التي طمعت في مهاجمة المدينة .

لقد استعادوا في هذه الفترة سمعتهم ، وأصبح سلطانهم مهيبـاً في المدينة وخارجها على حد سواء .

٢ ـ المشركون واليهود

لم تستطع قريش لقاء المسلمين في بدر الصغرى ، لأنها قدّرت أن قوة المسلمين أكبر من أن تستطيع القضاء عليها وحدها .

كما لم تستطع القبائل أن تهاجم المدينة كما أرادت ، إذ هاجمها المسلمون على انفراد وفي عقر دارها وتغلبوا عليها بالتعاقب .

وكان اليهود أضعف من أن يفكروا بالتعرض وحدهم بالمسلمين ، ولكنهم يترقبون الفرص .

وكان لا بد من تجمع قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود في صعيد واحد للقضاء على المسلمين ، اذ أصبح المسلمون بدرجة من القوة يصعب معهـا القضاء عليهم اذا لم تحشد كافة قوى أعدائهم ، وفعلاً قام الموتورون من يهود بني النضير بمهمة تحشيد قوات المشركين واليهود حول المدينة ، ونجحوا بتحشيد أكبر قوة متفوقة للقضاء على الدين الجديد .

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون

ثلاثة آلاف رجل بقيادة الرسول .

٢ ـ المشركون

عشرة آلاف عدا اليهود من بني قريظة، منهم أربعة آلاف من قريش وستة آلاف من بني سليم وأسد وفزارة وأشجع وغطفان .

كانت قريش بقيادة أبي سفيان .

وكانت غطفان بقيادة عيينة بن حصن والحارث بن عوف .

وكانت أشجع بقيادة مسعر بن رخيلة .

أهداف الطرفين

١ ـ المسلمون

الدفاع عن الاسلام .

٢ـ المشركون واليهود

القضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم وذراريهم .

التوقيت

كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة واستمر الحصار حوالي شهر واحد .

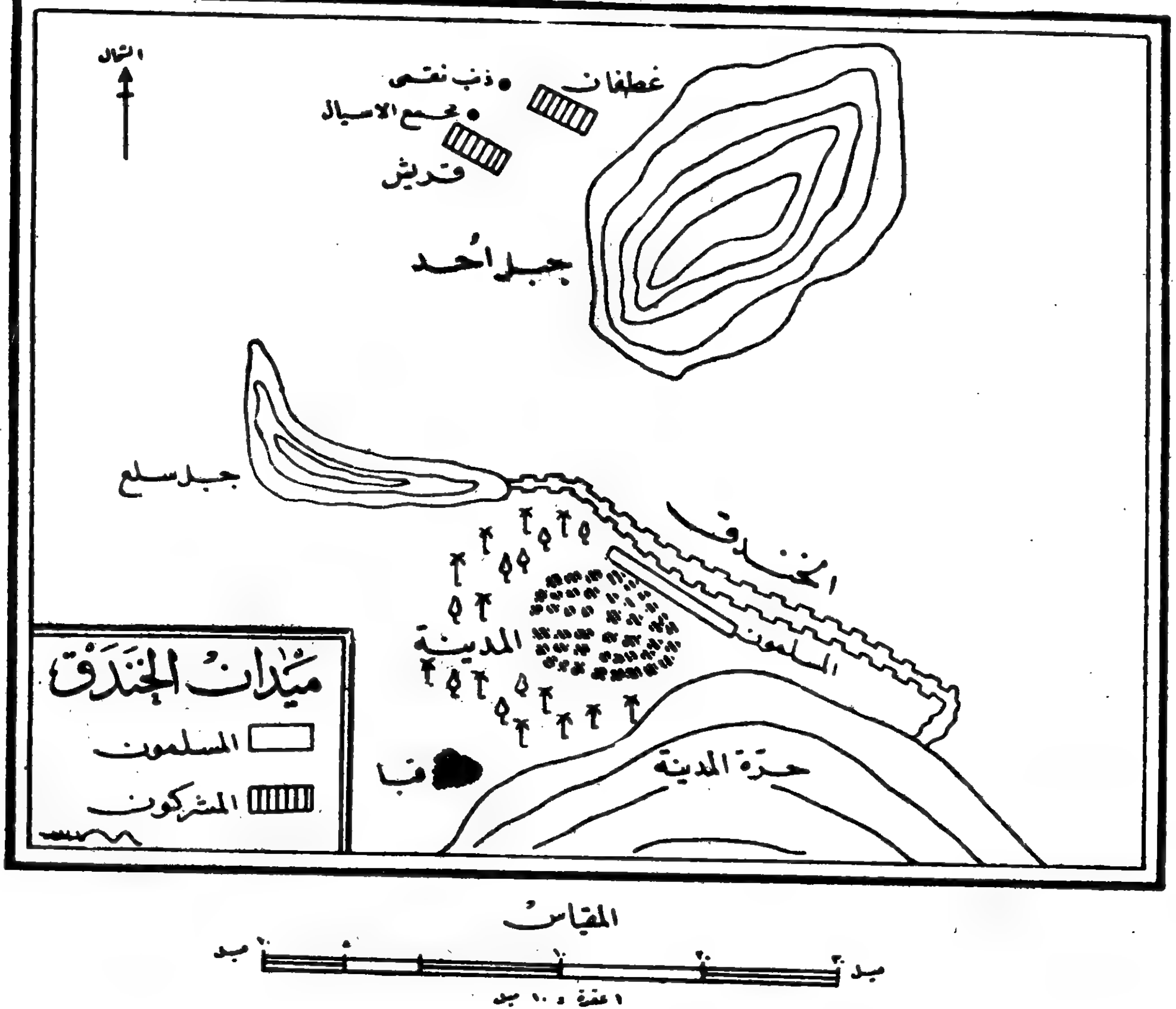
الشمال
غطفان
ذنب نقمى
مجمع الاسيال
قريش
جبل أُحد
جبل سلع
الخندق
المسلمون
المدينة
حرة المدينة
قبا
ميدان الخندق
المسلمون
المشركون
المقياس

قبل المعركة

١ - المسلمون

آ) قرر المسلمون البقاء في المدينة وحفروا خندقاً عميقــاً يحيط بشمال المدينة . ويقع بين حرة المدينة وجبل سلع ؛ لأن هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة المكشوفة ؛ إذ ان جهات المدينة الاخرى محاطة ؛ بالبساتين الكثيفة والعوارض الطبيعية الاخرى، وذلك يحول دون امكان اجراء القتال بقوات كبيرة في اطراف المدينة عدا الشمالية منها ، حيث انها مكشوفة كما اسلفنا ، لذلك اشار سلمان الفارسي بحفر الخندق ، في هذه المنطقة ، ولم يكن حفر الخنـــادق للأغراض الدفاعية معروفاً عند العرب من قبل .

قسم الرسول منطقة الحفر على اصحابه : لكل عشرة منهم أربعون ذراعاً ، واشتغل هو بالحفر ايضاً ، كأي فرد منهم ، بل كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم بعض العقبات أثناء الحفر ، كظهور الصخور ، فيحضر بنفسه لتفتيتها .

وكان العمل يستمر طيلة النهار ، ثم يأوي المسلمون ليلاً الى دورهم ليأخذوا قسطاً من الراحة ، وقد سيطر الرسول بنفسه على العمل . فلا يذهب أحد لعمله الخاص الا بموافقته .

ب) جمع الرسول النساء والاطفـــال في بيوت قوية البنيان في منطقـــة امينة داخل المدينة لإفادة من مناعتها لحمايتهم ، وهجروا البيوت الواهنة .

ج) - بعد انجاز حفر الخندق ، احتل المسلمون مواضعهم خلف الخندق واستفادوا من مناعة جبل سلع لحماية جناحهم الايسر من الالتفـــاف لقطع خط رجعتهم .

٢ - المشركون واليهود

آ) - قصـــد نفر من اليهود قريشاً في مكة منهم سلام بن ابي الحقيق وحيّ بن أخطب ، فدعوهم الى حرب الرسول ، ووعدوهم أنهم سيكونون معهم في القتال .

فلما وافقت قريش ، قصد اليهود غطفان وغيرها من القبائل ، ودعوهم الى حرب الرسول أيضاً ، وأخبروهم أن قريشاً معهم على ذلك ، فوافقت غطفان والقبائل الاخرى .

ب) ـ لما وصلت قريش وغطفان والقبائل الاخرى الى ضواحي المدينة ، استطاع حيّ بن أخطب التأثير على اليهود من بني قريظة ، فنكثوا عهدهم مع المسلمين وانضموا الى الاحزاب .

ج) ـ كانت مواضع قتال الاحزاب في ضواحي المدينة كما يلي (راجع المخطط) .

أولاً ـ قريش في موضع مجمع الاسيال .

ثانياً ـ غطفان وقبائل نجد في موضع ذنب بني نقمي .

ثالثاً ـ بنو قريظة في حصونهم في ضواحي المدينة .

سير القتال

١ ـ تحرّج موقف المسلمين كثيراً ، خاصة بعد انضمام بني قريظة للاحزاب ، فقد كان بامكان هؤلاء اليهود التسلل الى داخل المدينة والتعريض بالنساء والاطفال خاصة وانهم يعرفون تفاصيل مسالكها لانهم من اهلها ، مما يؤثر على معنويات المسلمين الذين يقاتلون في ساحة المعركة ، لأنهم أصبحوا غير مطمئنين على مصير عوائلهم وذراريهم وأموالهم .

كما كان بامكان اليهود القيام بحركة جريئة لقطع خط رجعة المسلمين الى داخل المدينة . وبذلك يفسحون المجال للاحزاب لاقتحام الخندق دون مقاومة تذكر .

لذلك كان وقع نكث بني قريظة لعهدهم شديداً على نفوس المسلمين .

أرسل اليهود رجلاً منهم الى داخل المدينة ، فاستطاع التسلل الى الدور التي تجمّع بها النساء والاطفال ، ولكن هذا اليهودي لم يعد الى قومه ليخبرهم عن

مواضع النساء والاطفال وعن درجة مناعتها وحمايتها ، لأن امرأة مسلمة رأته يستطلع المواضع ، فاستطاعت قتله مستفيدة من عمود خشبي .

ان هذا اليهودي كان دورية استطلاع للحصول على المعلومات عن مواضع النساء والاطفال . حتى يقوم بهجوم مباغت عليهم بعد التأكد من عدم تيسر الحماية لهم ، ليضطروا المسلمين الى الانسحاب من مواضعهم الاصلية لنجدة اهليهم وانقاذ أموالهم .

ان قتل هذا اليهودي خلص المسلمين من خطر داهم ، اذ جعل اليهود يفكرون أن في داخل المدينة حراساً أشداء من المسلمين ، وليس من السهل التخلل من هذه الحراسة الشديدة . لذلك قبع اليهود في حصونهم لا يفكرون بالخروج.

٢ - تحركت مفرزة من فرسان قريش فيهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل ، ومروا ببني كنانة واستثاروا حميتهم للقتال ، فلما وصلت هذه المفرزة الى الخندق واستطاعوا منطقة ضيقة فيه ، فعبروها بخيولهم ؛ فخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين للقائهم ، واتجهوا فوراً الى الثغرة التي عبر المشركون منها لقطع خط رجعة المشركين أولاً ولمنع الامدادات من الاحزاب اليهم ثانياً، ثم نازل علي بن أبي طالب عمر بن عبد ود فقتله ، كما قتل المسلمون رجلين من المشركين ، وعادت بقية فرسان قريش هاربة الى قواعدها .

٣ - قامت مفرزة من المشركين بالهجوم على المسلمين باتجاه دار الرسول ، فقاتلهم المسلمون النهار كله حتى الليل ، فلما حانت صلاة العصر تحرّج موقف المسلمين لاقتراب المشركين من منزل الرسول، حتى لم يستطع المسلمون ان يُصلوا، ولكنهم استطاعوا مع الليل صد مفرزة المشركين خائبة على اعقابها .

٤ - حاول الرسول ان يرد بعض الاحزاب عن المدينة لقاء ثلث الثمار ، وكاد ان يصل في مفاوضاته مع قادة غطفان الى هذا الاتفاق ، ولكن سادات الاوس والخزرج اقترحوا الا يعطوا المشركين شيئاً من ثمارهم ، فوافق الرسول على اقتراحهم هذا .

٥ - أثّر بقاء الاعراب مدة طويلة حول المدينة على معنوياتهم خاصة وان

الموسم شتاء ، وان الاعراب لا يطيقون الصبر طويلاً على الحصار ولا على قتال مديد بصورة عامة ، لذلك اخذوا يبدون تذمرهم من بقائهم مدة طويلة دون جدوى .

٦ - جاء نعيم بن مسعود الى الرسول ، واخبره انه أسلم ولا يعلم قومه باسلامه ، فقال له الرسول : « إنما انت رجل واحد . فخذّل عنا ما استطعت ، فان الحرب خدعة (١) » ...

خرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية ، فقال لهم : « عرفتم ودي إياكم ، وقد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد وليسوا كأنتم : البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون ان تتحوّلوا منه ، وان قريشاً وغطفان ان رأوا نهزة (٢) وغنيمة اصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهناً من اشرافهم حتى تناجزوا محمداً » .

قالت بنو قريظة : « أشرت بالنصح ولست عندنا بمتهم » . ثم خرج نعيم الى قريش ، فقال لهم : « بلغني ان قريظة ندموا ، وقد ارسلوا الى محمد : هل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأجابهم : ان نعم . فان طلبت قريظة منكم رهناً من رجالكم ، فلا تدفعوا لهم رجلاً واحداً » ...

وجاء نعيم غطفان فقال لهم : « انتم اهلي وعشيرتي » . وقال لهم مثل ما قال لقريش ... وحذرهم .

---

(١) خدع الحرب - راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي .

يجوز للدولة المحاربة أن تلجأ ، في حربها الى الخدع بشرط الا تصل فيها الى حد الغدر والخيانة ، ومن امثلة خدع الحرب القيام بمناورات كاذبة ، وايقاع العدو في كمين وتضليله (بالمعلومات الكاذبة) اخفاء لما تنوي القيام به من حركات عسكرية ، كما يعتبر من الخدع المشروعة العمل بواسطة الاعوان والمأجورين على اثارة الشغب في دولة العدو او نشر الاخبار الكاذبة لغرض اضعاف القوة المعنوية .

(٢) نهزة : بضم النون وسكون الهاء - الفرصة .

ارسل ابو سفيـــان وسادة غطفان الى قريظة عكرمـــة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان في ليلة سبت ، وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهـــار السبت ، ولكن قريظة اعتذروا بأنهم لا يقاتلون يوم السبت ؛ ثم طلبت قريظة رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأي هجوم !

قالت قريش وغطفان : لقد صدق نعيم ... !!

ولما رُفض طلبُ قريظة قالت : لقد صدق نعيم ! وتفرّقت قلوب الاحزاب وزالت الثقة بينهم .

٧ - ارسل الرسول حذيفة بن اليمان ليلاً ليستطلع اخبار الاحزاب ، فرأى قريشاً تشد رحالها متجهة الى مكة ، فلمـــا علمت غطفان بارتحال قريش دون علمها ، عادت ادراجها مع القبائل الاخرى الى مواطنها .

وحينذاك علم الرسول ببصيرته النافذة ان المشركين فقدوا فرصتهم الثمينة ، وان مثل هذه الفرصة لن تعود اليهم مرة اخرى ؛ واذا لم يستطع المشركون بعد تجمعهم الضخم هذا ان يقضوا على المسلمين ، فكيف يستطيعون القضـــاء عليهم بعد تفرّقهم ؟

خسائر الطرفين

١ - المسلمون

ستة شهداء

٢ - المشركون

ثلاثة قتلى .

أسباب فشل الاحزاب

١ - قيادة غير موحدة

لم تكن للاحزاب قيادة موحّدة تستطيع السيطرة على جميع القوات المتيسرة وتوجيهها للعمل الحاسم في الوقت الحاسم .

كان لكل قبيلة قائد بل عدة قواد ، ولم يستطع هؤلاء القـادة تنظيم خطة موحدة للهجوم على المسلمين ، وقد كان من المستحيل اتفاقهم على قـائد منهم ليسيطر على الجميع ، لان هذا القائد سينال شرفاً عظيماً يمتاز به على الآخرين ، ولا يمكن للآخرين ان يقبلوا بهذا الامتياز .

لقد كانت النعرة الجاهلية لا الهدف المشترك هي التي تسيطر على القيـادة . ولا يمكن ان تنجح مثل هذه القيادة في أي موقف بأي معركة حتى ولو كانت لها كل الظروف المؤاتية – كما في غزوة الخندق بالنسبة للاحزاب واليهود .

٢ – المباغتة بالخندق

لقد كان حفر الخندق مباغتة تامة للاحزاب ، فلم تكن العرب تعرف هـذا الاسلوب، كما لم تكن تعرف اسلوب القتال المناسب للتغلب على مثل هذا الموقف.

لذلك بقي القتال مستكناً طول مدة الحصار ، عدا محاولات قليلة قـام بها المشركون لمحاولة اجتياز الخندق باءت كلها بالفشل ...

٣ – الطقس

كان موسم القتال شتاء ، وكان الاعراب في العراء يعيشون في غير مواطنهم التي يستفيدون فيها من موادهم المتيسرة للتدفئة وللأعاشة وللسكنى ..

لذلك لم يستطيعوا البقاء لحصار المدينة مدة طويلة .

٤ – إنعدام الثقة

كانت الثقة بين الاحزاب انفسهم من جهة وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى واهنة جداً ، بل لم تكن هناك ثقة بينهم على الاطلاق .

قريش تريد القضاء على المسلمين بالافادة من جهود القبائل واليهود .

والقبائل تريد الاسلاب بالدرجـة الاولى من أي مصدر كان ، ولو وقعت أموال أحلافهم بني قريظة بيدهم لأخذوها أيضاً .

واليهود لا يثقون بالجميع ويريدون القضاء على المسلمين بدماء قريش والقبائل الاخرى .

وهكذا انعدمت الثقة بينهم لتفرّق الأهداف والمقاصد .

٥ ـ الصبر على الحصار

يحتاج الصبر على الحصار إلى قوّات مدرّبة لها أهداف معلومة وقيادة مسيطرة، أما القبائل فلا صبر لها على الحصار ، لانها اعتادت على التنقل بين فترة وأخرى ، كما انها لا تطيق صبراً على فراق وطنها واهلها مدة طويلة .

لذلك تذمّر الاعراب من طول مدة الحصار - على قصرها ، وآثروا الارتحال.

دروس من غزوة الخندق

١ ـ القيادة

عالجنا اسلوب القيادة المرتبك عند الاحزاب واليهود ، مما كان له أسوأ الأثر على نتيجة معركتهم .

وبقدر ما كانت قيادة الاحزاب واهنة ، كانت قيادة المسلمين كفوءة حازمة رشيدة .

قرّر الرسول البقاء في المدينة ، وأمر بحفر الخندق ، وانتخب منطقة الحفر في السهول الكائنة شمال المدينة ، ووزّع اعمال الحفر بالتساوي بين أصحـــابه ، وسيطر على العمل ، فلا يستطيع احد ترك واجبه إلا بأمر منه ، حتى انجز أعمال حفر الخندق قبل وصول المشركين .

واشتغل هو بنفسه بالحفر كبقية اصحابه تماماً ، بل استأثر دونهم بالمحـــلات الصلبة التي لم يستطع أصحابه التغلب عليها — كفلق الصخور القاسية ! !

ثم قسّم واجبات احتلال الموضع بين أصحابه ، بحيث لا يغفل أحد عن شبر من الخندق ليلاً ونهاراً ، على الرغم من برودة الطقس، وقد كان هو بنفسه لا يترك مقره إلا ليقوم بتفتيش الحراس وليشجعهم ويرفع من معنوياتهم .

وأهم من ذلك كله سيطرته على أصحابه عندما تأزّم الموقف حين وصلت الاحزاب الى ضواحي المدينة بقوات متفوقة على المسلمين ، وحين نكثت قريظة بعهدها ، فأصبح الخطر يهدد المسلمين من الداخل والخارج .

٢ ـ تعبئة جديدة

إستفاد المسلمون من حفر الخندق للدفاع عن المدينة ، وهذا الاسلوب الجديد من أساليب القتال يدخل في أساليب العرب الحربية لأول مرة في التاريخ .

إنّ القائد العبقري هو الذي يستخدم اسلوباً جديداً أو سلاحاً جديداً في القتال ، والخندق هو الاسلوب الجديد الثاني الذي استخدمه الرسول في القتال بعد ان استخدم اسلوب الصفوف في معركة بدر كما رأينا .

لقد أخذ الرسول بفكرة حفر الخندق من سلمان الفارسي ، لذلك قال فيه كلمته الخالدة : « سلمان منا أهل البيت » . ليشجع التفكير المفيد ويشيد بالعاملين للمصلحة العامة ويقطع دابر العصبيّات .

٣ ـ الحرب خدعة

رأينا أثر الاشاعات التي بثها نعيم بن مسعود في تفريق كلمة الاحزاب ، ولا يمكن نجاح الاحزاب او غيرهم إلا بجمع الكلمة ، فلما تفرقت كلمتهم ، فشلوا .

إن الحرب الحديثة تعتمد على بث الاشاعات لتصديع الصفوف وبلبلة الافكار، وقسم بث الاشاعات من أهم اقسام شعب الاستخبارات في تشكيلات الجيوش .
وبقدر ما كانت الاشاعة تعمل عملها في صفوف الاحزاب ، فان الاشاعة لم يكن لها أي أثر في صفوف المسلمين .

حاول المنافقون أن يبثوا سموم إشاعاتهم لتحطيم معنويات المسلمين ، ولكن محاولتهم فشلت .

وعندما أرسل الرسول بعض اصحابه لمعرفة موقف بني قريظة ، وعاد هؤلاء اليه بعد أن تأكدوا من صحة اشاعة نكث بني قريظة بعهودها ، حرصوا على ان

يخبروا الرسول بهـــذا الخبر بكلام لا يفهمه غير الرسول نفسه (بالرموز) حتى لا يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين .

لقد عرف المسلمون اثر الاشاعة على المعنويات قبل أربعة عشر قرناً .

المبادأة (١)

٤ – غزوة الخندق هي المعركة الحاسمة الثانية بعد معركة بدر الكبرى ، فلو نجح المشركون واليهود في هذه المعركة لتغير وجه التاريخ الإسلامي .

لقد استطاع اليهود ان يجمعوا الاحزاب حول المدينة ، وعاونهم اليهود من بني قريظة ، للقضاء على المسلمين . وهذا التحشد فرصة لا تعود أبداً ، خاصة اذا فشلت الاحزاب .

ان معنى فشل الاحزاب بعد هذا التحشد الهـــائل ، انهم لن يجتمعوا مرة اخرى ، وانهم لا يستطيعون القضاء على المسلمين بعد ذلك منفردين بعد ان عجزوا عن القضاء عليهم مجتمعين ، ولهذه النتيجة أثر حاسم على انتشار الاسلام فيما بعد .

لقد انتقل المسلمون من دور الدفاع(٢) الى دور الهجوم(٣) في اليوم الذي انتهت به غزوة الخندق ، لذلك قال الرسول لأصحابه بعد انسحاب الاحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا » .

وانتقلت المبادأة الى يد المسلمين بعد هذه الغزوة ، ولم يتركوهـا حتى شمل الاسلام الجزيرة العربية كلها ، وارتفعت راية الاسلام شرقاً وغرباً فوق كل راية .

---

(١) المبادأة : تعبير يقصد به من الناحية العسكرية السبق بالعمل لاجبار العدو على تبديل خطته والاحتفاظ بهذا السبق .

(٢) الدفاع : تعبير عسكري يقصد به التدابير المتخذة لايقاف تقدم العدو في موضع ما لمدة قصيرة او طويلة .

(٣) تعبير عسكري يقصد به سلسلة حملات تتخللها وقفة ضرورية .

القصاص العادل

« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
مـــا عوقبتم به ، ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين ».

القرآن الكريم

محاسبة الغـــادرين

الموقف العام

١ ـ المسلمون

إستطاع المسلمون الصمود أمام الأحزاب واليهود في ظروف قاسية جداً ضد قوات العدو المتفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً ، فصمدوا تجـــاه الخطر الدائم الذي يهدّدهم من خارج المدينة ومن داخلها .

ونجـــاح المسلمين وصمودهم جعل معنوياتهم بوضع ممتاز لم يسبق له مثيل من قبل .

لقد تخلّصوا من الأحزاب ،وبقي أمامهم بنو قريظة جيرانهم في المدينة الذين لم يرعوا حق الجـار ولا حافظوا على العهد ، وخـــانوا المسلمين في أشد أوقـات محنتهم ، فلا بد من تصفية الحساب معهم .

٢ ـ المشركون

إنسحب الأحزاب وقريش الى ديارهم يحملون معهم كل معاني الفشل ، فلم تستطع قريش القضاء على المسلمين ، ولم تستطع القبـــائل الاخرى نهب اموال المسلمين ، ولم يعودوا بأية فائدة يمكن أن تخفف عنهم ما بذلوه من جهد في السفر والحصار أيام الشتاء ومن مال صرفوه لإدامة قواتهم بالمواد والأرزاق قبل المعركة واثناءها وبعدها.

لقد أثّر ذلك على معنويات المشركين ، وجعلهم يخافون المسلمين كل الخوف .

٣ ـ اليهود

بقي اليهود من بني قريظة وحدهم بعد انسحاب الأحزاب ، وبقيت معهم غدرتهم الشنيعة التي فضحت طواياهم ، فأصبحوا كالمجرم الذي ثبتت إدانته فهو يرقب القصاص العادل .

لقد كانت معنوياتهم منحطة للغاية ، إذ كانوا يتوقعون هجوم المسلمين عليهم ويعرفون نتيجة هذا الهجوم .

الهدف الحيوي

محاسبة الغادرين من اليهود على غدرهم بالمسلمين في أشد أوقاتهم حرجاً ، ومحاسبة القبائل التي غدرت بدعاة المسلمين .

غزوة بني قريظة

١ ـ أسباب الغزوة

نكث بني قريظة لعهدهم مع المسلمين عند تجمع الاحزاب حول المدينة .

٢ ـ قوات الطرفين

آ ـ المسلمون

ثلاثة آلاف بقيادة الرسول معهم ستة وثلاثون فارساً فقط .

ب ـ بنو قريظة

من ٦٠٠ ـ ٧٠٠ مقاتل بقيادة كعب بن أسد يعاونه حيّ بن أخطب رأس اليهود الذين حشدوا الأحزاب وجمعوها حول المدينة .

٣ ـ الهدف

القضاء على بني قريظة لنكثها بعهودها ، مما جعل المسلمين مهددين بالإبادة .

٤ ـ الحوادث

عاد الرسول إلى المدينة صباح الليلة التي انسحب الاحزاب فيها الى ديارهم ، وأمر أصحابه ظهر ذلك اليوم بالحركة إلى قريظة والإسراع بالإطباق على حصونهم بحيث لا يصلّون العصر إلا هناك . وعلى الرغم من تعب المسلمين الشديد لبقائهم مدة طويلة محاصرين ، وعلى الرغم من برودة الطقس، فقد أسرع المسلمون لتنفيذ أمر الرسول ، وانجزوا تحشّدهم حول حصون بني قريظة قبل أن يحل الظلام.

استمر الحصار خمساً وعشرين ليلة لم يقع خلالها إلا بعض المناوشات الطفيفة بالنبل والحجارة ، كان من أثرها استشهاد احد المسلمين مصاباً برحى رمته بها امرأة يهودية من فوق سطح منزلها .

لم يجرأ بنو قريظة عـلى الخروج من حصونهم طيلة مدة الحصار ، وكانوا مترددين لا يستقر رأيهم على شيء من شدة الخوف. طلب منهم قائدهم ان يعتنقوا الإسلام ، فرفضوا ؛ فطلب منهم الخروج للقتـال ، فرفضوا ايضا . وبقوا في حصونهم لا يفعلون شيئا .

وأخيراً أرسل اليهود يعرضون الخروج الى (اذريعات) تاركين وراءهم ،ما يملكونه ،فأبى الرسول إلا أن يسلّموا بدون قيد أو شرط .

وعاد اليهود يطلبون التسليم على أن يحكم سعد بن معـاذ بمصيرهم ، وقد اختاروه لأنه سيد الأوس حلفـائهم في الجاهلية ، لعل الرسول يقبل من حلفـاء الأوس ما قبل من اليهود بني قينقاع حلفاء الخزرج .

وقبل الرسول بنزولهم عـلى حكم سعد ، وقبل سعد بأن يقوم بالتحكيم بين المسلمين من جهة واليهود من جهة اخرى بعد ان أخذ المواثيق عـلى الطرفين أن يرضى كلاهما بقضائه. فلما أعطوه المواثيق، أمر بني قريظة أن ينزلوا من حصونهم وأن يضعوا السلاح ، ففعلوا ...

وكان حكم سعد فيهم : أن يقتل المقاتلون ، وتقسّم الاموال وتسبى الذراري والنساء ، لأن سعداً ذكر أن الاحزاب لو انتصرت بخيانة بني قريظة لكان مصير المسلمين الإبادة من الوجود ، فجزاهم سعد بمثل ما عرّضوا المسلمين له .

لم تكن حرب بني قريظة حرب ميدان إنما كانت حرب أعصاب . فلم يستطع اليهود أن يتحمّلوا الحصار على الرغم من توفّر المواد الغذائية لديهم وتوفر المياه والآبار ومناعة حصونهم وصعوبة اقتحامها ، فآثروا التسليم على مكابدة الحصار .

والحق ان الموقف العسكري كان إلى جانبهم لتلك الأسباب كلها ولشدة تعب المسلمين ولبرودة الطقس ، ولكن معنوياتهم المنحطة انهارت ، فلم يقاوموا طويلاً كما كان المؤمل .

وقتل مقاتلو بني قريظة جميعاً ومعهم حي بن أخطب الذي تزعّم حركة تحشيد الأحزاب ضد المسلمين ، إلا ثلاثة رجال منهم أسلموا ، ولم يقتل من الاطفال والنساء أحد عدا المرأة التي قتلت الشهيد المسلم برحاها ، فقتلت بجرمها هذا .

سرية عبد الله بن عتيك

١ - الهدف

قتل أبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي الذي حرّض الأحزاب مع حي بن أخطب ، ثم فر إلى يهود خيبر ليتخلص من العقاب .

٢ - الحوادث

بعد القضاء على بني قريظة ، خرج من المدينة خمسة من الخزرج إلى خيبر ، للقضاء على أبي رافع بن أبي الحقيق وإلقاء الرعب في قلوب يهود خيبر ، حتى لا يعيدوا الدور الذي قام به اليهود الآخرون ، وقد كانت هذه المفرزة بقيادة عبدالله بن عتيك .

وصل المسلمون خيبر ليلاً ، فأمر عبدالله بن عتيك أصحابه بالبقاء قريباً من الحصن حتى يستطلع لهم موضع بن أبي الحقيق ، فلما وصل حصنه استطاع دخوله وكمن في اسطبل الحيوانات .

ولما آوى بن أبي الحقيق إلى فراشه وهدأت الأصوات والحركة ، خرج عبدالله وأخذ مفاتيح الحصن من موضعها الذي كانت فيه ، ثم ذهب إلى غرفة ابن

أبي الحقيق ، فناداه ليعرف مكانه من صوته ، لأن الظلام كان يغمر الغرفة التي كان بها ابن أبي الحقيق ، ثم هجم بالسيف عليه حتى قضى عليه ، وانسحب الى أصحابه بعد أن سقط من الدرج وانكسرت رجله .

وعاد المسلمون الى المدينـــة وقد ازالوا من طريق الدعوة عدواً لدوداً ، وتسامع الناس بعاقبة مَن يؤلب الناس ضد المسلمين ، ممـــا زاد هيبة المسلمين في النفوس وجعلهم يسيطرون سيطرة تامة على المدينة من كافـــة الوجوه ، فلم يبق فيها أي صوت لليهود او المنافقين .

غزوة بني لحيان

١ ـ الهدف

آ) عقاب بني لحيـان الذين غدروا بدعاة المسلمين عند مـــاء الرجيع قبل عامين خلوا وهم ستة من كبار الصحابة : اغتالت اربعـــة منهم وباعت الاثنين الباقيين لقريش ، فضربت قريش عنق أحدهما وصلبت الثاني .

ب) التأثير على معنويات قريش والقبائل الأخرى .

٢ ـ الحوادث

شعر الرسول بمحاولة قريش التحشّد وحلفائها لغزو المسلمين، ففكّر بالحركة اليهم للتأثير على معنويات قريش والقبائل الأخرى والتعرّض ببني لحيان الذين غدروا بدعاة المسلمين .

أظهر الرسول أنه يريد الشام حتى يستطيع مباغتة بني لحيان دون أن يعرفوا بحركته اليهم ، فتحرّك بقواته شمالاً ، فلما اطمأن إلى انتشار أخبار حركته إلى الشمال باتجاه الشام ، عاد راجعاً باتجاه مكة مسرعاً في حركته حتى بلغ منـــازل بني لحيان (بغُران) (١) ، ولكن بني لحيان فروا إلى رؤوس الجبال، واستطاعوا النجاة بأرواحهم وأموالهم .

---

(١) غران : منازل بني لحيان ، وغران واد بين امج وعسفان .

عند ذاك ترك الرسول القسم الأكبر من قواته في (غران) وسار على رأس مائتي راكب باتجاه مكة حتى وصل (عُسفان) شمال مكة للتأثير على معنويات قريش ، فلم تخرج قريش للقائه . ثم عاد المسلمون إلى المدينة متحملين شدة الحر ، بعد أن أثّـروا على معنويات القبائل وجعلوهم يخافون المسلمين أشد الخوف .

غزوة ذي قَرَد

١ - الهدف

آ) مطاردة عيينة بن حصن مع جماعة من غطفان لإعادة إبل المسلمين التي انتهبها المشركون .

ب) الحوادث

أغـار عيينة بن حصن الفزاري على اطراف المدينة ، فوجد هنـاك بعض اللقاح (١) ترعى بحراسه مسلم وامرأتـه ، فقتل عيينة وأصحابه الرجل وساقوا الإبل واحتملوا المرأة .

ولكن سلمة بن عمرو بن الاكوع بصر بالقوم وقد اقتـادوا الإبل ، فأنذر المسلمين وقام بمطاردة عيينة وأصحـابه وحده ، حتى لحق به المسلمون الذين استطاعوا تخليص الإبـل والمرأة المسلمة بعد ان وصلوا بمطاردتهم مـاء (بذي قرد) .

وجاء من يخبر المسلمين أن عيينة وأصحابه وصلوا موضعاً بعيداً عن (ذي قرد) فنحروا لهم جزوراً . فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غباراً ، فتركوا جزورهم في محلها وهربوا بسرعة ، لأنهم ظنوا أن المسلمين اقتربوا من مواضعهم .

ولم يكد هؤلاء الاعراب يصدقون انهم يستطيعون النجاة بأنفسهم ! ! !

---

(١) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات اللبن .

دروس من غزوات محاسبة الغادرين

١ - الوقت

انسحبت الأحزاب عن المدينة ، وعاد المسلمون إلى ديارهم صباح ليلة الانسحاب ، وأصدر الرسول أمره الإنذاري للحركة إلى بني قريظة ظهر ذلك اليوم نفسه ، على ألاّ يصلي المسلمون العصر إلا في ديار بني قريظة .

لقد أدرك الرسول بثاقب فكره أهمية الوقت في الحصول على نتائج باهرة في القتال ، فلو أنّ الرسول أبطأ بحركته هذه ، لاستفاد اليهود من الوقت في الاستعانة بحلفائهم ، أو إقناع اليهود الآخرين بمعاونتهم ، أو التشبّث بالحصول على قوات من القبائل لتدعيم قوتهم ، ولكان بإمكانهم إكمال قضاياهم الإدارية التي يحتاجونها في القتال ، حتى يستطيعوا الصمود في حصارهم أطول مدة ممكنة .

ولكنّ إسراع الرسول بحركة قواته لتطويقهم ، حالت بين اليهود وبين كل ذلك ، إذ لم يكن اليهود يعلمون بالموعد الأكيد لانسحاب الأحزاب ليسبقوا النظر في إعداد كافة متطلبات القتال المتوقع ضد المسلمين .

بل انّ حركة المسلمين السريعة لم تترك لهم الوقت الكافي لتنظيم خطة دفاعية عن حصونهم ، كما لم تترك لهم الوقت الكافي لتنظيم أي خطة على الاطلاق ، فقد ظهر لنا من سير الحوادث في غزوة بني قريظة أن اليهود لم يفعلوا شيئاً ، وكانوا مترددين في كل شيء ، وأكثر من ذلك فان حركة المسلمين مبكراً شلت معنويات اليهود وقضت على روح المقاومة فيهم ، فلم يستطيعوا ان يستفيدوا من المحسنات العسكرية التي كانت بجانبهم والتي كان بإمكانهم - لو أحسنوا التصرف - الاستفادة من هذه المحسنات لكي يقاوموا المسلمين وقتاً غير قصير

حصونهم قوية ومنيعة وعددهم كبير ، وسلاحهم وفير ، والأرزاق والماء متيسران ، كل ذلك يساعدهم على الصمود ، ولكن هذه المحسنات العسكرية التي بجانب اليهود لا تفيد شيئاً ما دامت معنوياتهم منحطة تماماً ، ولولا استفادة الرسول من الوقت لتحسنت معنويات اليهود ولاستطاعوا أن يقوموا بدور أكثر حزماً من الدور الذي قاموا به اثناء حصارهم .

ومما يزيد في قيمة حرص المسلمين على المحافظة على الوقت ، أن ظروفهم لم تكن حسنة بعد انسحاب الأحزاب .

لقد كانوا منهوكي القوى لسهرهم على حراسة مواضعهم مدة حوالي شهر في موقف عصيب يحطم أعصاب الشجعان .

وكان الطقس بارداً وقد تحملوا البرد في العراء وقتاً طويلاً أثناء حصارهم ، فلما انسحبت الأحزاب آن لهم أن ينالوا بعض الدفء في بيوتهم القريبة .

وكانت قضاياهم الادارية بشكل لا يحسدون عليه ، إذ ما هي إمكانيات إعاشتهم مثلاً وهي أهم ما يديم قوة المقاتلين ! ؟ خاصة وان الجندي يمشي على بطنه كما يقولون .

إن عدم اكتراث المسلمين بكل هذه المشاكل لغرض الأسراع بتطويق حصون بني قريظة يدعو الى الاعجاب والتقدير .

٢ - المباغتة

تكون المباغتة بالوقت والمكان والأسلوب .

المباغتة بالمكان أن تقوم بحركة من مكان لا يتوقعه العدو ، والمباغتة بالزمان أن تقوم بحركة في وقت لا يتوقعه العدو ، والمباغتة بالاسلوب أن تقوم بالقتال باسلوب جديد أو بسلاح جديد .

والقائد العبقري هو الذي يحاول ان يباغت خصمه حتى يقضي عليه مادياً ومعنوياً ، لأن المباغتة الناجحة تشل حركة العدو وتقضي عليه .

لقد طبّق الرسول كل أساليب المباغتة ؛ فقد رأينا كيف باغت الاحزاب باسلوب جديد في القتال هو حفر الخندق ، كما رأينا كيف باغت قريشاً بالقتال بأسلوب الصفوف .

وفي غزوة بني قريظة باغت اليهود بالزمان في حركته بسرعة لا يتوقعونها ، فشل من معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة بيده حتى نهاية المعركة .

وفي غزوة بني لحيان تحرّك شمالاً باتجـــاه الشام حتى لا يعرف بنو لحيان وقريش اتجاه حركته الحقيقية ، وبذلك باغتهم بالمكان .

إنّ المباغتة أهم مبادىء القتال قديماً وحديثاً ، وقد حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ في أكثر غزواتهم ، مما ساعدهم على النصر .

٣ - القصاص

القصاص العادل الذي أصاب بني قريظة بعد تسليمهم ، يقرّه كل انسان واقعي سليم التفكير والانصاف .

لقد طعن هؤلاء اليهود المسلمين في أحرج وقت من أوقـــات محنتهم ، ولو لم يكن هناك عهد بينهم وبين المسلمين لهان الخطب ولوجدنا بعض العذر لهم ، ولكن أي عذر لهم وقد خانوا العهد في مثل تلك الظروف ؟ وأحب أن أتساءل : لو نجح الأحزاب في غزوة الخندق ، فماذا كانوا يفعلون بالمسلمين ؟ ألم تكن عـــاقبة المسلمين الإبادة والتمثيل ؟ فلماذا لا يبيدون الذين حـــاولوا معاونة أعدائهم على إبادتهم ؟ لقد أفسح المسلمون المجال أمام بني قينقاع وبني النضير من اليهود للجلاء الى خيبر او الى ضواحي الشام ، فماذا كانت النتيجة ؟ أثار هؤلاء اليهود الاحزاب وحشدوهم أمام خندق المدينة للقضاء على المسلمين .

ومع ذلك فالموقف جد مختلف بين هؤلاء اليهود وبين يهود بني قريظة ، إذ أن خيانة هؤلاء ونكثهم عهودهم كان في أحرج الاوقات وأشدها خطورة على مستقبل الإسلام والمسلمين .

فهل يبقى المسلمون على بني قريظة ليقوموا بدور أسلافهم بني قينقاع وبني النضير ؟ ..

لقد كان بإمكان هؤلاء اليهود أن يتخلّصوا من القتل لو أعلنوا إسلامهم كما فعل ثلاثة رجال منهم . فنجوا بحياتهم وأموالهم .

ولم يقض المسلمون بالقتل إلا على الرجال الذين قاتلوهم فعلاً بعد ان خانوا عهودهم وعرضوا المسلمين للابادة ، أما الأطفال والنساء فلم يصابوا بأذى ، كما أن الذين ثبتوا على عهودهم من اليهود لم يصابوا بسوء .

والمرأة الوحيدة التي قتلت من بني قريظة هي التي قتلت مسلماً بقذفه بالرحى من فوق سطحها ، وإنما كان قتلها على جنايتها .

أما قتل أبي رافع بن أبي الحقيق ، فلأنه أحد رؤوس اليهود الذين حرّضوا الأحزاب ، وقتله عبرة لغيره من الذين يحاولون محاولته في المستقبل ، وحتى قوانين الحرب الدولية الحديثة تجيز القتل في مثل هذا الموقف ، فهذا اليهودي كان من بني النضير الذين ارادوا اغتيال الرسول ، فحاصرهم وتغلّب عليهم واضطرهم الى الاستسلام ، ثم سمح لهم بالرحيل بعيداً عن المدينة على ألاّ يعودوا الى قتاله او التحريض عليه ، فاذا نكث هذا بالعهد وحرض الاحزاب على تطويق المدينة ، وحرّض بني قريظة على نكث عهدها مع المسلمين - إذا كانت هذه أعماله بعد أن أطلقه الرسول مع قومه بعد استسلامهم ، فمن حق المسلمين أن يقتلوه كمجرم حرب لا كمحارب شريف (١) .

لقد كان قصاص المسلمين من اليهود ضرورياً وعادلاً .

٤ - العقيدة

ظهر لنا في هذه الفترة من كفاح الرسول ، أثر العقيدة في توحيد الصفوف للعمل للمصلحة العامة وحدها ، وأثرها في اندفاع المسلمين كل يسابق أخاه الى الشهادة ، وأثرها في جعل المسلم يحاسب نفسه على ما اقترفه من ذنب لا يعلم به أحد غيره من الناس .

طلبت بنو قريظة من المسلمين حضور أبي لبابة بن عبد المنذر ليستشيروه ، وقد كان أبو لبابة حليفاً لهم في الجاهلية وصديقاً شريفاً لا يشكّون في إخلاصه ، فأرسله الرسول اليهم ؛ فاستقبله الرجال والنساء والأطفال بالبكاء والعويل ، فأثّر ذلك على نفسيته كإنسان . واستشاره اليهود : أينزلون

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي

يطلق الاسير اذا أعطى كلمة (الشرف) بالا يقابل الدولة التي اطلقت سراحه ولا يحرض على قتالها ، فاذا أخل بكلمة الشرف التي اعطاها والتحق بالجيش ثم اسرته الدولة التي اطلقت سراحه ، جاز محاكمته على اخلاله ، والعقوبة في العادة هي الاعدام .

على حكم محمد ؟ ... فقال لهم : نعم . وأشار الى حلقه كأنه ينبههم الى أن مصيرهم الذبح .

ولكنّ أبا لبابة أدرك لفوره أنه خان الرسول (بإشارته) تلك ، وأنه خضع لشعوره لا لعقيدته في عمله هذا اللاشعوري ، فمضى هائماً على وجهه حتى يتوب الله عليه .

وبقي على حاله هذا حتى تاب الله عليه .

لم يعرف أحد (بإشارة) أبي لبابة الى حلقه حين استشاره اليهود بالتسليم ، ولم تكن إشارته هذه نتيجة تدبّر وتفكير ، ومع ذلك لم يستر أبو لبابة فعلته هذه وأعلنها للناس جميعاً وعاقب نفسه بنفسه عقاباً صارماً ، مما يدلّ على عقيدته الراسخة وإيمانه العظيم .

وحكم سعد بن معاذ على بني قريظة بأن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الاموال يدلّ على عقيدته الراسخة أيضاً .

لقد كان سعد سيد الاوس حلفاء بني قريظة في الجاهلية ، وقد توقّع اليهود أن تنفعهم هذه الصلة القوية عند الحكم عليهم ، كما توقّع الأوس ايضاً أن يتساهل سعد مع أصدقائهم الأقدمين ، بل استقبله الأوس حين قدومه للحكم هاتفين : يا أبا عمرو ! أحسن في مواليك .

وقد أحسنت الخزرج قبل ذلك في مواليها اليهود عندما استسلموا للمسلمين ، فلماذا لا يحسن الأوس الى مواليهم مثلما أحسن الخزرج ؟

ولكنّ سعداً صاح بقومه وقد أكثروا عليه الرجاء : « قد آن لسعد ألاّ تأخذه في الله لومة لائم » ...

وأصدر سعد حكمه العادل غير متأثر بالاهواء بل بعقيدته الراسخة فقط وإيمانه العظيم .

وماذا يعني دخول عبدالله بن عتيك وحده في الحصن الذي يسكنه اليهودي

أبو رافع بن أبي الحقيق في وسط اهله وعشيرته ، وتعريض عبدالله نفسه للخطر الداهم بينما ترك أصحابه خارج الحصن في أمان ؟ ؟

هل يعني هذا العمل إلا استئثار القائد لنفسه بالخطر دون أصحابه طمعاً بالشهادة ، وقد كان بإمكانه تكليف أحد أصحابه بهذا الواجب، ولكنّه آثر ان يقوم بنفسه بهذا العمل كله ، فنجح في القضاء على ابن أبي الحقيق ، والتحق بأصحابه ليلاً بعد ان كسرت رجله أثناء نزوله من سطح الحصن ...

هذه الأمثلة التي ظهرت لنا في هذه الفترة من حياة المسلمين . تدلّ بوضوح على رسوخ العقيدة في نفوسهم ، مما جعلهم يستهينون بكل شيء في سبيل عقيدتهم .

٥ ـ القضايا الادارية

آ) الغنائم

قسمت غنائم بني قريظة على المسلمين : سهم للرجال وثلاثة أسهم للفارس منها سهمان للفرس ، وذلك تشجيعاً للاكثار من الخيل لفائدتها الكبيرة في القتال ، وبقي الخمس للرسول لتوزيعه على المحتاجين ، ولتأمين إعاشة وركوب وسلاح المجاهدين الذين لا يجدون ما ينفقونه على انفسهم في الجهاد .

لقد تحسّنت الحالة الاقتصادية للمسلمين بهذه الغنيمة ، فاستطاعوا الاستغناء عن بعضها لشراء الخيل والاسلحة من نجد استعداداً للحركات المقبلة .

ب) الماء

عندما وصل المسلمون إلى حصون بني قريظة ، سيطروا على بئر تعود لبني قريظة بسرعة خاطفة للاستفادة من مائها في ايام الحصار .

ولولا سرعة المسلمين في الاستيلاء على هذه البئر ، لكان من المؤكد ان تقوم قريظة بتدميرها حتى تحرم المسلمين من مياهها الضرورية لهم في القتال .

الملحق (د)

غزوات عقاب الغادرين

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
١	غزوة بني قريظة	ثلاثة آلاف بينهم ٣٦ فارس	محمد ﷺ	من ١٠٠ – ٧٠٠ من بني قريظة	كعب بن أسد	حصون بني قريظة في ضواحي المدينة	نهاية شوال حتى اواسط ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة	القضاء على بني قريظة
٢	سرية عبد الله ابن عتيك	خمسة مسلمين	عبد الله ابن عتيك	يهود خيبر الذين التجأ اليهم ابو رافع بن أبي الحقيق	–	خيبر	ذو القعدة من السنة الخامسة للهجرة	قتل ابن أبي الحقيق
٣	غزوة بني لحيان	حوالي ثلاثة آلاف	محمد	بنو لحيان من هذيل	–	غران	جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة	تخويف قريش والقبائل الاخرى والتأثير على معنوياتهم
٤	غزوة ذي قرد	–	محمد	جماعة من غطفان	عيينة بن حصن	ماء بذي قرد	في جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة	فر المشركون وتركوا خلفهم الابل التي غنموها من المسلمين

الفتح القريب

« لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة ،
فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحاً قريباً »
القرآن الكريم

(١)

غـــزوة الحديبيَّة

الموقف العام

١ - المسلمون

في السنة الاولى من الهجرة عدل النبي بقبلته عن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وجعل المسلمون وجهتم في الصلاة بيت الله بمكة .

وكان العرب يتجهون الى المسجد الحرام منذ مئات السنين : يحجون اليه من الاشهر الحرم ، ويقدّسونه ويعبدون أصنامه ، ولكن المسلمين كفروا بالاصنام بعد ايمانهم بالله ، إلا انهم لم يكفروا بالبيت العتيق .

فلماذا لا يزور المسلمون المسجد الحرام ، ليرى العرب المجتمعون بمكة قوتهم ، وليتحدّثوا عن احترامهم للبيت .

إن ذلك سيزيد في قوة المسلمين قوة وسيجعل قلوب المشركين تهوي اليهم ، وسيشعرون بأنهم ظلموا المسلمين عندما يمنعونهم من حج البيت والعمرة ، وسيخفف كل ذلك من حقدهم وبغضائهم ، فلا تجتمع قلوبهم على المسلمين ابداً .

قرّر الرسول الخروج الى مكة في شهر ذي القعدة الحرام من السنة السادسة للهجرة ، وأوفد رسله الى القبائل من غير المسلمين يدعوهم للاشتراك في الخروج الى الكعبة لزيارتها وتعظيمها لا للقتال ، حتى تعلم العرب كلها بأنه خرج في الشهر

(١) الحديبية : يقال بتخفيف الياء وبتشديدها ، وهي قرية ليست بكبيرة ، بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، ويقال ان بعضها من الحل وبعضها من الحرم ، وسميت بذلك لبئر فيها تسمى الحديبية .

الحرام حاجاً لا غازياً ، فإن أصرت قريش على مقاتلته في الشهر الحرام ومنعه من اداء ما يؤمن به العرب جميعاً، لم تجد من العرب مَنْ يؤيدها في موقفها هذا، ولا من يعينها على قتال المسلمين ، فتبقى وحدها وتفقد عطف حلفائها ، فلا تقوى على صد المسلمين وحدها ما لم يعاونها حلفاؤها من القبائل الأخرى .

٢ ـ المشركون واليهود

لم يبق من المشركين أية قبيلة تستطيع الصمود وحدها أمام قوات المسلمين ، وليس أمام القبائل إلا تحشيد قواها لتستطيع المقاومة في معركة غير مضمونة النتائج .

ولا يمكن اجتماع قوات المشركين في صعيد واحد ، إلا اذا استثيرت بأسباب حاسمة جداً : كالاعتداء على مقدساتها او التعرّض بأموالها وذراريها ، فقد اقتنعت هذه القبائل بأن المسلمين أصبحوا أمنع من أن يصيبوهم أو يصيبوا أموالهم بسوء .

ولم يبق من اليهود الا يهود خيبر ، وهؤلاء لا يُقدمون على عمل ضد المسلمين الا بعد أن يفكروا كثيراً ، لئلا يكون مصيرهم كبني قريظة وبني النظير وقينقاع .

قوات الطرفين

١ ـ المشركون

اربعمائة وألف مسلم بقيادة الرسول ، معهم سبعون من القرابين ، وسلاحهم السيوف بأغمادها .

٢ ـ المشركون

قريش مع بعض حلفائها المتردّدين ، لأنهم لم يشاطروا قريشاً رأيها في صدّ المسلمين عن البيت الحرام بعد أن جاءوا لتعظيمه لا للقتال .

اهداف الطرفين

١ ـ المسلمون

آ) اظهـــار قوة المسلمين لقريش وللقبائل المجتمعة للحج وشدة ضبطهم وطاعتهم للرسول وتعلقهم بالدعوة .

ب) اظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام عملياً ، حتى تتأكد العرب من ذلك عن يقين لا يتطرق اليه الشك .

٢ ـ قريش

صدّ المسلمين عن البيت الحرام حتى لا تتحدث العرب عن دخول المسلمين اليه عنوة ، مما يقلل من هيبة قريش واعتبارها المرموق .

الاعـمال التمهيدية

١ ـ الحصول على المعلومات

آ ـ المسلمون

لما وصل الرسول (ذي الحليفة)(١) قلّد(٢) الهدى وأشعره وأحرم بالعمرة وأرسل رجلاً من خزاعة ليستطلع له أمر قريش ، فلما وصل (عُسْفان)(٣) على بُعد مرحلتين من شمال مكة عـــاد الخزاعي وأخبر المسلمين أن قريشاً وبعض حلفائها قد أجمعوا أمرهم على قتالهم ليصدوهم عن البيت الحرام .

(١) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة اميال او سبعة ، وهي ميقات اهل المدينة الذي يحرمون عنده للحج .

(٢) قلد : وضع قلادة على الهدى ، والهدى ما أهدى الى البيت وتقرب به الى الله، واشعره من الافعال التي هي علامات الحج .

(٣) عسفان : قرية او منهلة بين المدينة ومكة على مرحلتين من مكة .

استشار الرسول أصحابه . فكان القرار النهائي : أن هدفهم من غزوتهم هذه هو زيارة البيت ، ولن يقاتلوا إلا اذا صدّتهم قريش عن هدفهم بالقوّة .

ولكنهم رأوا خيل المشركين على مرمى النظر قريباً من عسفان ، فأمر الرسول أصحابه بالحركة على طريق فرعية غرب الطريق العام ، وكانت طريقاً وعرة قطعها المسلمون بصعوبة فتخلصوا بذلك من الاصطدام بالمشركين ، حتى وصلوا (الحديبية) على بعد ثلاثة اميال شمال مكة ، وعسكروا هناك .

ب) المشركون

بلغ قريشاً أمر حركة المسلمين،فخافت أن يكون ادعاءالمسلمين بأنهم جاءوا معتمرين لا مقاتلين حيلة حربية يقصد المسلمون من ورائها مباغتتهم والقضاء عليهم ، فحشدوا الخالد وعكرمة بن أبي جهل على ما تَتي فارس مع بعض المشاة ، وتقدم هذا الجيش ليحول بين الرسول ومكة ، ولكن فرسان قريش بوغتوا بانحراف المسلمين الى الطريق الفرعية وتخلصهم من الاصطدام ، فعادت قوات المشركين أدراجها لتدافع عن مكة قبل أن يصلها المسلمون .

وجاء بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة إلى قريش وأخبرهم أن محمداً جاء زائراً ولا يريد حرباً ، ولكنّ قريشاً أجابت : « إن كان جاء لا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخل علينا عنوة ابداً ولا تتحدّث بذلك عنا العرب » ...

٢ - المناوشات

حاول بعض المتحمسين من قريش أن يهاجموا معسكر المسلمين،وفعلاً قام ما يقرب من خمسين مشركاً بالهجوم على المسلمين،ولكن المسلمين استطاعوا أسرهم جميعاً ، فأطلقهم الرسول حتى يثبت نواياه السلمية عملياً ولا يترك حجة لقريش تتشبث بها لتحشيد العرب ضد المسلمين .

٣ - المفاوضات الابتدائية

آ- المشركون

أرسلت قريش مكرز بن حفص ليرى موقف المسلمين فعاد اليهم ليخبرهم أن

محمداً لم يأت مقاتلاً ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت . وأرسلوا بعده الحليس بن علقمة سيد الاحابيش ، فلما رآه الرسول قال : « إن هذا من قوم يتألهون (أي متدين) فابعثوا الهدى من أمامه ليراه » .

رأى الحليس الهدى في الوادي فعاد إلى قريش قبل أن يصل إلى الرسول إعظاماً لما شاهد ، وأخبرهم بما رأى ، فأجابوه : « إجلس انما أنت أعرابي لا علم لك » . فاستشاط الحليس غضباً وصاح : « يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصدّ عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذي نفس الحليس بيده ليخلن بين محمد وبين ما جاء له» أو لأنفرنّ بالاحابيش (١) نفرة رجل واحد » ... فرجته قريش أن يكفّ عنها حتى تفكر في الأمر !!

ورأت قريش أن توفد عروة بن مسعود ، وهو رجل متزن حكيم ، فكره عروة أن يعود من مفاوضة محمد ، فيسمعه رجال قريش ما يسوؤه» فاعتذرت له قريش مؤكدة أنه عندهم غير متّهم ، وأنها تطمئن الى حكمته وحسن رأيه، فخرج الى محمد وذكر له أن مكة بلده الحبيب وأن به قومه وعشيرته ، فلا يصح له مهاجمتها بن جمع من أوشاب (٢) الناس الذين سينكشفون عنه منهزمين اذا اشتد الخطب . فأجابه ابو بكر : « أنحن ننكشف عنه ؟ ! » .

وعاد عروة الى حديثه مع الرسول ، وجعل يمس لحيته وهو يكلّمه ، فقرع المغيرة بن شعبة يد عروة وهو يقول : « اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل ألا تصل اليك » ...

ورد النبي على عروة بما يقطع لجاجته وينفي كل شبهة : « انه لا يريد حرباً وانما يريد ان يزور البيت كما يزوره غيره » ...

عاد عروة من عند الرسول ، وقد رأى مايصنع به اصحابه : لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه ، فرجع الى قريش

---

(١) الأحابيش : احياء من العرب رماة ، سموا بذلك لاسودادهم او نسبة الى حبشي (بضم الحاء وسكون الباء) جبل بأسفل مكة .
(٢) الاوشاب : الاخلاط

ليقول : « يا معشر قريش . اني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في اصحابه. ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء ابداً ، فروا رأيكم » .

عادت كافة رسل قريش اليها دون ان يتعرّض بهم احد من المسلمين ، وقد اطمأنوا جميعاً الى نيّات المسلمين السلمية ، مما جعل حلفاء قريش يقاومون فكرة القتال ، بل كادت تنشب حرب اهلية حتى بين متعصبي قريش ومنصفيها .

ب ـ المسلمون

أرسل الرسول خراش بن امية الخزاعي الى أشراف قريش ليبلغهم عنه بما جاء له ، فعقرت قريش ناقته وأرادت قتله ، لولا حماية الاحابيش له ، فخلّوا سبيله على مضض .

وأرسل الرسول عثمان بن عفان إلى قريش ، فخرج برسالة الرسول ، فلقيه أول ما دخل مكة إبان بن سعيد فأجار عثمان حتى يفرغ من تبليغ رسالته . وبلّغ عثمان ما جاء به لقريش . قالت قريش : « يا عثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل » ...

قال عثمان : « ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ، انما جئنا لنزور البيت العتيق ولنعظم حرمته ولنؤدي فرض العبادة عنده ، وقد جئنا بالهدى معنا ، فاذا نحرنا رجعنا بسلام » .

وأجابت قريش . بأنها أقسمت لن يدخل محمد مكة هذا العام عنوة .

وطال الحديث وطال احتباس عثمان عن المسلمين ، وترامى اليهم أن قريشاً قتلته غيلة وغدراً .

وحين بلغت هذه الشائعة مسامع النبي قال : « لا نبرح حتى نناجز القوم ». ودعا الناس الى مبايعته ، فبايعه المسلمون على الموت تحت الشجرة بيعة الرضوان.

فلما أتم المسلمون البيعة ضرب الرسول بإحدى يديه على الاخرى بيعة لعثمان كأنه حاضر معهم .

على أن عثمان لم يطل احتباسه ، فان قريشاً جزعت ان تصيبه بأذى وهو من سَراتها بمكان ؛ فعاد وأبلغ محمداً بأن قريشاً لم تبق عندهم ريبة في أنه وأصحابه جاءوا معظمين للبيت ، ولكنهم لا يتركون المسلمين يدخلون مكة هذا العام ، حتى لا تتحدّث العرب بأنهم هزموا أمام تهديد المسلمين .

١ - المفاوضات النهائية

أرسلت قريش سهيل بن عمرو ليفاوض الرسول ، على أن يتفق معه على رجوع المسلمين هذا العام عن مكة ، فاستقبله الرسول وهو أرغب ما يكون في موادعة القوم وتكلّم سهيل فأطال ، والمسلمون من حول النبي يسمعون أمر هذه المحادثات ويضيق بعضهم بأمرها صبراً ، ولولا ثقة المسلمين بالنبي وإيمانهم به لرفضوا الاتفاق مع قريش ولقاتلوهم حتى يدخلوا مكة ، ولكن الرسول بقي مسيطراً على أعصابه مالكاً هدوءه ، ولما رأى عمر مغيظاً من سير المفاوضات قال له : « انا عبدالله ورسوله ، لن اخالف أمره ولن يضيعني » ...

ومما أثار حفيظة المسلمين صبر الرسول أثناء كتابة العهد ، فقد دعا الرسول علياً بن أبي طالب وقال له : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال سهيل : « امسك . لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم » .

قال الرسول : « اكتب باسمك اللهم » . ثم قال : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » .

قال سهيل : « أمسك . لو شهدت أنك رسول الله لم اقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك » ..

قال الرسول : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله » ...

الهدنة[1]

١ - نص وثيقة الهدنة

« باسمك اللهم . هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض ، على انه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه اليه .

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي

١ً الهدنـــة

اتفاق يبرم بين الفريقين المتحاربين بوقف القتال مدة يتفق عليها فيما بينهما ، والهدنة اما هدنة عامة او هدنة محلية او جزئية . فالهدنة العامة يسري وقف القتال فيها على جميع القوات المتحاربة ويشمل جميع مناطق القتال . والهدنة المحلية او الجزئية هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربة دون بعضها الآخر .

٢ً شروط الهدنة واثارها

تعقد الهدنة في العادة كتابة ولكن لا يوجد ما يمنع قانونا من عقدهـــا شفهيا ، وينص عقد الهدنة على مبدا قيامها وانتهائها . ويتوقف القتال خلال اعلان الهدنة كما ينص بعبارة واضحة على شروط الهدنة

٣ً نقضُ الهدنة وانتهاؤها

اختلف الشراح فيما بينهم على الاثار المترتبة على حصول اخلال من احد الطرفين بعقد الهدنة ، وحق الفريق الآخر بنقضها لهذا السبب ، والعودة الى اعمال القتال مباشرة .

وكان من راي فريق من الشراح ان اي اخلال يقع من احدالطرفين بمـــا يجب عليه من الهدنة ، يبيح للطرف الاخر العودة الى اعمال القتال مباشرة دون سابق انذار .

امـــا الشراح الحديثون ، فيرون ان حصول الاخلال يبيح للطرف الاخر ان يعلن الطرف المخل بنقض الهدنة ولا يبيح له العودة الى اعمال القتال مباشرة .

وتنتهي الهدنة بانتهاء المدة المحدودة لها ، فاذا لم ينص في اتفاقية الهدنة على تاريخ معين لانتهائها ، جاز لكل من الطرفين استئناف القتال بعد اعلان الطرف الاخر وفقا لما هو منصوص عليه في الاتفاقية من الشروط .

وان بيننا عيبة مكفوفة (١) وانه لا اسلال (٢) ولا اغلال (٣) ، وأنه من أراد أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً : معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها » :

٢ - **أهم بنود الهدنة**

آ) اعتراف قريش بالمسلمين طرفاً مساوياً لها .

ل) فتح المجال للرسول لعقد محالفات مع القبائل التي لم تكن تطمئن لمحالفته لقوة قريش ولوجود الكعبة بمكة . وخير دليل على ذلك اعلان خزاعة حلفها للرسول بعد هذا الصلح مباشرة .

ج) تيسّر الوقت للمسلمين لنشر دعوتهم بأمان (٤) .

د) السماح للمسلمين بزيارة البيت بعد عام والبقاء بمكة ثلاثة ايام .

دروس من الحديبية

١ - توخي الهدف

توخي الهدف مبدأ من مبادىء الحرب المهمة ، وهو ان نعرف هدفنا تماماً ونفكر بأحسن طريقة للوصول اليه ، ثم نقرر خطة مناسبة للحصول عليه وننفذ تلك الخطة جاعلين هدفنا الرئيسي وحده نصب أعيننا دون ان تعيقنا او تغير من خطتنا الاهداف الثانوية الاخرى .

---

(١) عيبة مكفوفة : المراد اننا نكف عنك وتكف عنا .

(٢) الاسلال : السرقة الخفية .

(٣) الأغلال : الخيانة .

(٤) كانت مدة الهدنة عشر سنين في رأي مؤرخي السيرة ، وسنتين في رأي الواقدي .

وقد برز مبدأ توخي الهدف عند الرسول في غزوة الحديبية بأجلى مظاهره حتى يمكن ان تكون دروس هذه الغزوة من اروع الأمثلة المفيدة للذين يريدون ان يفهموا معنى توخي الهدف .

قرّر الرسول منذ مغادرته المدينة ألا يحارب قريشاً ..بل يبذل كل جهده للتفاهم معها ، الا اذا لم يجد مناصاً من القتال ...

ووضع هذا الهدف نصب عينيه دائماً .

خرج محرماً . واستصحب اسلحة الراكب وهي السيوف في القرب ، فلما علم من دورياته اعتزام قريش على قتاله ، اصر على السلم ، فخرج عن الطريق العام الى طريق فرعية وعرة شديدة الوعورة مما جعل اصحابه يكابدون المشقات عند قطعها ، ولم يكن الرسول يهدف من الخروج عن الطريق العام الا التملص من اصطدام اكيد بطلائع قريش . لأن الصمود في موضع (عسفان) الذي وصله المسلمون ، يؤدي الى اصطدام الفريقين ، لاندفاع خيالة قريش امـــام قواتها الاصلية واقترابها من مواضع المسلمين . ولو انسحبت قوات المسلمين الى الخلف باتجاه المدينة ، لطاردتهم قوات قريش ايضـــاً ، وفي هاتين الحالتين سيحصل الاصطدام الذي لا يريده الرسول

ولكن خروجه عن الطريق العـــام الى طريق فرعية باتجاه مكة ، لأن طلائع قريش تضطر الى الاسراع في العودة ادراجها للدفـــاع عن مكة ، لأن المسلمين هددوها تهديداً مباشراً واصبحوا قريبين منها،ولم تكن حركة المسلمين على هذه الطريق خوفاً من قوات قريش . فالذي يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدته (١) الأصيلة وهي مركز قواته ، بل يحاولون الابتعاد عن قاعدة العدو

---

(١) **القاعدة**

هي المنطقة التي يستند اليها الجيش قبل شروعه بالحركات ، والقاعدة نوعان : قاعدةالحركات وقاعدة التموين وتتوحدان على الاغلب ويندر ان تكونا منفصلتين .

الأصلية حتى يطيل خط(١) مواصلات العدو ، وبذلك يزيـــد من صعوباته ومشاكله ويجعل فرصة النصر امامه اقـــل من حالة الاقتراب من قاعدته الاصلية .

وعندما وصل الرسول الحديبية بقي مصراً على هدفه الذي لم ينسه قط : افسح المجال لمفاوضي قريش بالقدوم الى معسكر المسلمين في كل وقت للتأكد من نيـــات المسلمين السلمية . وارسل مفاوضين من المسلمين ليؤكّدوا المشركين صدق نياتهم السلمية .

وعندما هاجم بعض المشركين معسكر المسلمين ورموهم بالنبل ، حاول المسلمون حينذاك ان يلقوا القبض على المهاجمين دون ان يوقعوا بهم خسائر بالارواح او بالاموال ؛ فاستطـــاعوا فعلاً تطويقهم والقبض عليهم ، ثم اطلقوا سراحهم واعادوهم الى قريش دون ان يلحقوا بهم اي أذى .

الا يدل ذلك على اصرار الرسول عـــلى التفاهم مع قريش واحلال السلم بين الطرفين ؟

لقد لاحظنا في هذه الغزوة دون غزوات الرسول الاخرى ، ان محمداً لم يستشر اصحابه في عقد الهدنة واستقلّ برأيه ، وسبب هـــذا الإصرار على الرأي واضح جداً ، فقد كان قرار الرسول في التشبّث بالتفاهم مع قريش نهائياً وحاسماً ، لا يحتاج هذا القرار الى استشارة احد .

انّ الرسول كان يتوخّى من التفاهم مع قريش اهدافاً بعيدة جداً ليس من مصلحة الدعوة ولا من مصلحة المسلمين الاخبار عنهـــا ، وقد ظهرت اهدافه فيما بعـــد .

كانت قوات المسلمين في الحديبية اربعمائة والف رجـــل ، فأصبحت قواتهم يوم فتح مكة بعد عامين عشرة آلاف رجل ... وشتان بين العددين ...

---

(١) خطوط المواصلات

هي الخطوط التي تربط الجيش بقاعدته .

فهل بإمكان الإسلام ان ينتشر بهذه السرعة في مثل تلك الظروف ، لو لم تضع الحرب اوزارها بعض الوقت ؟

٢ - الضبط(١)

لا اكاد اقرأ تفاصيل غزوة الحديبية كما ترويها كتب السيرة ، الا واهتف من صميم نفسي : مــــا اعظم الضبط الذي كان يتحلى به الرسول واصحــــابه حينذاك ؟ ..

لم يكن موقف الرسول والمسلمين سهلاً اثناء مفاوضات الهدنة وبعدها حتى عودتهم المدينة ، فقد كان الرسول يعرف اهدافه القريبة والبعيدة ويعمل له بصبر واناة واصرار ، ولكن كيف السبيل الى افهام كل تلك الاهداف الى المسلمين في مثل تلك الظروف ؟

اما المسلمون ، فما اصعب موقفهم ! . لم يكن احد منهم يشــــك في دخوله مكة ، فانهارت آمالهم اثناء المفاوضات . ولم يكن أحد يفهم أسباب الهدنة ، فشاهدوا هذه الهدنة تصبح امراً مفروغاً منه ؛ وكانت عقيدتهم تطغى عــلى كل شيء سواها ، فوجدوا اخوانهم المستضعفين من المسلمين يردّون الى المشركين ليفتنوهم عن دينهم .

ولو كان المسلمون ضعفاء او يشعرون بالضعف لهان الخطب، ولكنهم اقوياء مادياً ومعنوياً ، فكيف يقتنعون بالهدنة في شكلها واسلوبها الذي كان ؟

بينما كان الرسول يكتب عقد الهدنة ، جاء الى المسلمين ابو جندل - وهو ابن سهيل بن عمرو ممثل قريش في المفاوضات - يرسف في الحديد ، فقد اعتنق

---

(١) الضبط

اصطلاح عسكري يقصد به ، الحالة العقلية التي تساعد الفرد على عمل واجبه باعتبار انه ملزم بادائه سواء كان مراقباً او غير مراقب . او القدرة عــلى حبس بعض الانفعالات غير الاعتيادية كالخوف والغضب والجوع ... الخ وانجاز العمل المطلوب بحرص وامانة في الحالات الصعبة .

الاسلام فلقي العذاب من اهـــله المشركين . فلما رأى سهيل ابنه ضرب وجهه وجعل يجرّه ليرده الى قريش ، وابو جندل يصيح بأعـــلى صوته : « يا معشر المسلمين ! أأرد الى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ »

ليس من السهل احتمال المسلمين لمثل هذا الموقف حينذاك . ولكنهم احتملوه صابرين ، على الرغم من بعض التذمر الخافت الذي كان يخالج بعض نفوس المسلمين والذي كان يثيره حرصهم الشديد على عزة الاسلام .

إن ضبط الرسول اعصابه اثناء المفاوضات وبعدها على الرغم من تذمر بعض المسلمين . وضبط المسلمين اعصابهم في مثل ذلك الموقف عـــلى الرغم من حنق بعضهم على المفاوضات والهدنة ـ كل ذلك يدل على تحلي المسلمين حينذاك بالضبط المتين بشكل يدعو الى الاعجاب الشديد !. .

٣ ـ الحياد المسلح (١)

ما كاد عهد الحديبية يبرم حتى حـــالفت خزاعة محمداً وحالفت بنو بكر قريشاً ؛ فربح المسلمون حليفاً قوياً له اهمية خاصة لقرب دياره من قريش .

لقد كانت خزاعة تميل قلبياً الى المسلمين قبل اليوم ، وكان الاسلام قد انتشر بين افرادها ، ولكنها لم تستطع ان تحالف المسلمين قبل هذه الهدنة ، لأن ذلك يهدّد مصالحها الدينية لوجود البيت الحرام بمكة التي تسيطر عليها قريش ، هذا بالاضافة الى تهديد مصالحها الاخرى .

والهدنة حرمت يهود خيبر من الأمل في معاونة قريش ألد اعداء المسلمين حين يأتي موعد حساب هؤلاء اليهود ، ومـــا اكثر دسائسهم ومشاكلهم التي اثاروها على المسلمين .

---

(١) الحياد المسلح : معنى الحياد في القانون الدولي ، الحالة القانونية التي توجد فيها الدول التي لا تشتبك في حرب قائمة وتستبقي علاقاتها السلمية مع الطرفين المتحاربين ، والحياد المسلح كالحياد العادي انما يتميز عن الحياد العادي بما يصدر عن الدولة المحايدة من اعلان عزمها على استعمال القوة للمحافظة على حيادها ومنع الدول المحاربة من الاخلال به .

والهدنة جعلت المنطقة الجنوبية (جنوب المدينة) امينة بالنسبة للمسلمين ، وكانت هذه المنطقة اخطر ما يهدّد الدعوة ، لأن فيها قبائل قوية ذات حضارة وعقيدة، بينما كانت قبائل الشمال حتى حدود العراق والشام بدوية ممعنة في البداوة.

فإذا امّنت هذه الهدنة الاستقرار الذي جعل الاسلام ينتشر بسرعة فائقة ، وأمنت القوة والمنعة للمسلمين ، فماذا أمّنت لقريش ؟

توخّت قريش اهدافاً سطحية دفعتها اليها العصبية الجاهلية : هي رد المسلمين عن زيارة البيت الحرام هذا العام ليعودوا لزيارته في العام المقبـــل ، وردّ الذين يسلمون من قريش بدون رضا اوليائهم ، حتى لا يكثر عدد المسلمين ، وأن ينالوا بهذه الهدنة الاستقرار ليتفرغوا لتجارتهم ، وهذا أهم هدف حيوي بالنسبة لقريش .

فماذا كانت النتيجة ؟

وفد ابو بصير من مكة الى المدينه مسلماً بغير رأي مولاه، فكتب ازهر بن عوف والأخنس بن شريق الى النبي كي يرده ؛ وبعثا بكتابهما مع رجل من بني عامر ومعه مولى لهما .

قال النبي : « يا أبا بصير ، إنا قد اعطينا هؤلاء القوم مـــا قد علمت ، ولا يصحّ لنـــا في ديننا الغدر ، وانّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلق الى قومك » ..

قال ابو بصير : « يارسول الله ، أتردّني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ » فكرر الرسول عليه قوله الأول .

انطلق ابو بصير مع الرجلين ، حتى إذا كان بذي الحليفة ، سأل حارسه العامري أن يريه سيفه ، وما ان استوت قبضته في يده حتى علا به العامري ، فقتله ؛ فعاد المولى يعدو ناحية المدينة ، حتى أتى النبي ، فلما رآه قال : « قتل صاحبي » . ثم ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحاً السيف موجهاً الحديث الى الرسول : « يارسول الله ، وفت ذمتك وأدى الله عنك . أسلمتني الى القوم وقد امتنعت بديني ان افتن فيه او يعبث بي » ...

لم يخف الرسول إعجابه به وتمنيه لو كان معه رجال ، قال محمد لأصحابه عن أبي بصير : « ويل أمه ، مسعر حرب لو كان معه رجال » ...

وادرك ابو بصير انه لا مقام له في المدينة ولا مأمن له في مكة ، فانطلق الى ساحل البحر إلى ناحية تدعى (العيص(١)) وشرع يهدد قوافل قريش المارة بطريق الساحل اهم طرقها إلى الشام ، وسمع المسلمون بمكة عن مقام ابي بصير وعن كلمة الرسول فيه : « مسعر حرب لو كان معه رجال » .

فتجمّعوا حول أبي بصير في مكمنه يشدّون ازره ، حتى اجتمع اليه قريب من سبعين مسلماً فيهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو .

وألّف هؤلاء المعذبون الناقمون المستقلون الذين لا ملجأ لهم الا سيوفهم ، وقد فروا من اهلهم واموالهم بعقيدتهم وإيمانهم ، الّف هؤلاء قوة مغاوير (كومندو) لا تمر قافلة لقريش إلا اغتنموها ولا يرون رجلاً من قريش إلا قتلوه.

وإذا بقريش ترسل الى الرسول تسترحمه وتناشده الرحم ان يؤوي اليه هؤلاء المسلمين الذين ضيّقوا عليها الخناق ، فلا حاجة لها بهم .

وبذلك نزلت قريش عن الشرط الذي اعتبرته نصراً لها واعتبره المسلمون - عدا الرسول - شرطاً لا يناسب كرامتهم على اقل تقدير .

وهكذا حافظ المسلمون على عهودهم كلها ، وانصرفوا الى نشر دعوتهم ، بينما استمر مشردو المسلمين بالتعرض على قريش ، وهكذا بقي المسلمون محايدين وبقي الفارون بدينهم مقاتلين ، وبذلك تم الحياد المسلح في اقوى مظاهره للاسلام .

٤ - حرب الدعاية

شنّ المسلمون على قريش بخروجهم لزيارة البيت العتيق ، اضخم حرب

---

(١) العيص : موضع من ناحية ذي المروة على ساحل البحر الاحمر بطريق قريش التي كانوا يسلكونها من مكة الى الشام في تجارتهم .

الدعاية . لقد اظهروا تعظيمهم البيت بصورة عملية لا تقبل الشك والمماراة ، فتسامع العرب بذلك ، فلما اصرّت قريش على رجوع المسلمين دون زيارة المسجد الحرام ، اعتبر العرب ان قريشاً ظلمت المسلمين ، فليس لها ان تحرم احداً جاء لتعظيم البيت من زيارته .

وقد رأيت كيف ان قريشاً ارسلت الحليس بن علقمة لمفاوضة الرسول ، فلما رأى الهدى في الوادي ، عاد ادراجه دون ان يقابل محمداً واخبر قريشاً بما رأى وهدّدهم اعنف تهديد .

بل إنّ هذه الدعاية كادت تثير حرباً اهلية داخل مكة بين قريش نفسها وبين قريش والاحابيش .

اما عثمان فقد استطاع ان يتصل بالمسلمين في مكة حين ارسله الرسول لمفاوضة قريش ويوجههم الى اهداف الإسلام الحيوية .

لقد كانت غزوه الحديبية حرب دعاية من الطراز الممتاز .

نتائج الحديبية

١ ــ اهم نتائج غزوة الحديبية ما يأتي :

آ ــ اعتبار المسلمين كطرف مساو لقريش ، وهذا اول اعتراف بالدولة الاسلامية من اشد اعدائها واقواهم في الحجاز .

ب ــ اصبح المجال مفتوحاً امام الرسول لمحالفة القبائل التي لم تكن تطمئن الى محالفته ، لقوة قريش ولوجود الكعبة في مكة وبذلك قوي جانب المسلمين .

ج ــ التفريق بين قريش وحلفائها يهود خيبر الذين كانوا لا ينفكون يحرّضون القبائل على الرسول .

د ــ الاستقرار الذي امّن التفرغ للدعوة وانتشار الاسلام .

هـ : نجاح المسلمين في الحصول على الحياد المسلح: المسلمون محايدون ومشردوهم مسلحون يقاتلون .

و - إثارة المسلمين للرأي العام ضدّ قريش لصدها المسلمين عن البيت الحرام ، مما اكسب المسلمين عطف كثير من القبـــائل وكثير من قريش نفسها والمنطقة المجاورة لها ، مما سهّل عملية فتح مكة عليهم فيما بعد .

٢ - هذه هي نتائج الحديبية ، وهي بعض اهـداف الرسول البعيدة التي لم يستطع المسلمون ادراكها في حينه ، فلما عادوا الى المدينة واستقر بهم المقام هناك ورأوا بعض تباشير هذه النتائـج ، قال أبو بكر معبراً عن رأي المسلمين : « لم يجلب نصر للاسلام ما جلب صلح الحديبية » ... ثم نزل في هذا النصر قول الله تعالى : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

وبدأ المسلمون حينذاك يلمسون بعد نظر الرسول وتباشير ما بشّرهم به من فتح قريب .

فترة الهدنة

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله
آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا
تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل
من دون ذلك فتحاً قريباً »

القرآن الكريم

ثمرات الحديبيّة

الموقف العام

١ ـ المسلمون

أتاح الاستقرار الذي كان من ثمرات الهدنة للمسلمين ، التفرغ للتبشير بالدعوة الإسلامية داخل الجزيرة العربية كلها وخارجها ، فأوفد الرسول دعاته الى الملوك والأمراء والرؤساء النابهين يدعوهم الى الاسلام .

وقد أصبحت المنطقة الكائنة جنوب المدينة أمينة بالنسبة للمسلمين ، ولم يبق أمام الرسول بعد الحديبية غير خصمين : اليهود في منطقة خيبر ومـــا حولها ، والأعراب في شمال المدينة .

وكان الموقف يتطلب القضاء على هذين الخصمين ليتفرغ المسلمون بعد إكمال تحشدهم الى خصمهم الأكبر والى هدفهم الرئيسي : قريش ومكة .

٢ ـ المشركون

لقد كسدت تجارة قريش قبل الهدنة ، فأرادت بعد عقدهـــا أن تعود إلى ارسال قوافلها التجارية على طريق مكة ـ الشام ، بعد ان حرمت من سلوكها مدة طويلة .

وفعلاً تحرّكت قوافلهـا إلى الشام ، ولكن أبا بصير وأصحابه المغـــاوير (الكومندو) الذين ردّهم المسلمون تنفيذاً لشروط هدنة الحديبية، حددوا حرية حركة قوافل قريش الى الشام ، فأخذوا يتعرضون بكل قافلة تمر بهم فيقضون على حراسها ويعبثون بأموالها . بعد أن تركوا اهلهم وأموالهم بمكة .

ولم تنعم قريش بنعمة الاستقرار الا بعد ان سألت الرسول بإلحاح أن يُؤوي اليه أبا بصير وأصحابه متنازلة بمحض ارادتها للمسلمين عن شرط المدنة الذي يقضي بردّ المسلمين الذين يقصدون المدينة بدون موافقة أوليائهم الى قريش .

٣ ـ اليهود

استمر يهود خيبر وما جاورها على تحريض القبائل وجمع الاحلاف ضد المسلمين وقذف الاسلام بالتهم وإيواء اعداء المسلمين والغدر بالمسلمين كلما رأوا إلى ذلك سبيلا .

لقد كانوا موطن خطر يهدّد المسلمين في الشمال ، والهدنة حرمتهم من معاونة قريش ، فاستمالوا غطفان لمعاونتهم عندما يتهددهم الخطر .

انهم ينظرون الى مصلحتهم الخاصة ، ولا يبالون لكي يحصلوا عليها ان يستخدموا اي وسيلة .

الهدف الحيوي

إكمال تحشيد قوى المسلمين استعداداً لمعركة الاسلام الحاسمة ضد قريش .

غزوة خيبر

١ ـ اسباب الغزوة

آ ـ اسباب مباشرة

القضاء على تحريض اليهود ضد المسلمين .

ب ـ اسباب غير مباشرة

القضاء على اليهود نهائياً للتخلص من أقوى أعداء المدينة في المنطقة الشمالية ، ولتكون المنطقة امينة عندما يحين موعد محاسبة قريش .

٢ ـ قوات الطرفين

آ) ـ المسلمون
اربعمائة وألف رجل بينهم مائتا فارس بقيادة الرسول ، وهي القوات التي حضرت الحديبية .

ب) ـ اليهود
يهود خيبر الذين يقدّرون بألف واربعمائة نسمة بقيادة سلام بن مشكم .

٣ ـ الهدف
القضاء على اليهود للتخلّص من المشاكل الخطيرة التي يعملون لاثارتها ضد المسلمين .

٤ ـ سير الحوادث

آ) الأعمال التمهيدية .

اقام الرسول حوالي الشهر الواحد بالمدينة بعد عودته من الحديبية ، ثم تحرّك بأصحابه إلى موضع (الرجيع) ليحول بين تعاون يهود خيبر وغطفان في قتال المسلمين ، فقد استطاع اليهود ان يضمنوا معاونة غطفان لهم اذا داهمهم الخطر ، وبهذه الحركة استطاع الرسول إيهام غطفان بأن الهجوم موجّه ضدهم وان قوات المسلمين توشك ان تطوقهم .

وعاد الرسول إلى خيبر ، ولكنه ارسل مفرزة من اصحابه لمباغتة ديار غطفان بعد ان تركتها قوات غطفان لمعاونة اليهود . ونجحت هذه المفرزة في إلقاء الرعب في ديار غطفان ، مما اضطر هذه القبيلة الى الاسراع بالعودة إلى ديارها لحمايتها من تهديد المسلمين ، وتركت اليهود وحدهم امام المسلمين .

وهكذا نجحت خطة الرسول في عزل اليهود عن غطفان حلفائهم .

ب) ـ القتال
وصلت قوات المسلمين قرية خيبر ليلاً ، فلم يعرف اليهود بأنهم أصبحوا .طوقين

بقوات المسلمين الا عند خروج بعض الفلاحين صباحاً ليباشروا أعمالهم ، فلما رأوا جيش المسلمين عادوا أدراجهم (١) .

وبدأ قتال المدن والاحراش بين المسلمين واليهود ، ولم يكن هـــذا القتال سهلاً لأن خيبر محصّنـــة تكتنفها البساتين ، ولأن يهود خيبر أقوياء مسلحون أغنياء .

أدخل اليهود أموالهم وعيالهم حصني (الوطيح والسلالم) ، وأدخلوا ذخائرهم حصن ناعم ، ودخلت قواتهم حصن نطاة .

وابتدأ هجوم المسلمين بشدة من أول يوم للتأثير على معنويات اليهود ، حتى بلغ عدد جرحى المسلمين في هذا اليوم خمسين جريحاً .

وخرجت مفرزة من اليهود لمقاتلة المسلمين بالعراء بقيادة الحارث بن أبي زينب بعد ان قتل سلام بن مشكم ، ولكن الخزرج اضطروه بهجوم مقابل الى الالتجاء الى حصنه .

واستمات المسلمون في الهجوم ، واستماتت اليهود في الدفاع فقد كانوا يعلمون تماماً أن اندحارهم معناه القضاء الاخير على بني اسرائيل في الجزيرة العربية .

---

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي

الحصار

الاحاطة بقرية او بلد سواء كانت محصنة ام غير محصنة مدافعاً عنها ام غير مدافع ، لمنع الدخول والخروج منها حتى تضطر على التسليم .

ولا يؤثر على هذه القاعدة ، ان من نتائج الحصار تجويع سكان المنطقة غير المقاتلين من النساء والاطفال ، بل ليس من واجب القوات المحاصرة اخطار اهل المنطقة بالحصار المزمع لتمكين المدافعين من اخلائها منهم ولا من واجبها ان تسمح لهؤلاء بالخروج اذا طلب اليها ذلك ، لأن بقاء هذا الفريق الكبير من المدنيين مع المدافعين عن المنطقة المحاصرة يزيد في متـاعبها ويعجل في التسليم .

وليس هناك مانع من ان يقوم المحاصرون باجراءات اخرى تعجل في سقوطها ، كقطع موارد المياه ومهاجمتها بالسلاح .

ركّز المسلمون هجومهم الرئيسي على حصن (ناعم) وبقيت قوتهم الثانوية تشاغل الحصون الاخرى ، كي تمنع قوات اليهود من التعاون فيما بينها وتحرمها من معرفة اتجاه الهجوم الحقيقي .

واستمر الهجوم العنيف على حصن (ناعم) ثلاثة ايام: بقي اليهود داخل الحصن في اليومين الأولين وخرجوا منه في اليوم الثالث للقتال خارجه بعد تشديد الحصار عليهم في اليومين السابقين ، فانتهز المسلمون فرصة خروجهم ودارت حول الحصن معركة في العراء قتل فيها قائد اليهود الحارث بن ابي زينب ، فاستسلم الحصن للمسلمين .

أثّر سقوط هذا الحصن على معنويات اليهود، فاستسلم بعده حصن(القموص) بعد قتال شديد ، ولكن إعاشة المسلمين نفدت ، فوجهوا هجومهم الرئيسي على حصن الصعب بن معاذ الذي كان اليهود قد كدّسوا فيه كثيراً من المواد الغذائية، فاستطاعوا الاستيلاء على هذا الحصن ، واستفادوا من مواد الاعاشة المتيسرة فيه ، مما خفّف عنهم وطأة المشكلة الادارية .

واستماتت اليهود بعد ذلك في الدفاع عن حصونهم الأخرى ، والحق أن دفاعهم عن حصونهم كان دفاع الابطال .

وركّز المسلمون هجومهم على حصن (الزبير) ولكنه استعصى عليهم ، فقرّروا قطع الماء عنه ، وبذلك اضطروا اليهود المدافعين فيه الى الخروج عنه فقاتلهم المسلمون في العراء وقضوا على اكثرهم ، وألجأوا الباقين من اليهود الى الفرار .

وأخذت الحصون تسقط بالتعاقب بيد المسلمين ،حتى سقطت الحصون كلها إلا حصن الوطيح والسلالم ، وكانا آخر حصنين منيعين لليهود .

وتجمّعت قوات المسلمين كلها حول هذين الحصنين ، وضيقوا الحصار على اليهود ، وحينذاك طلب اليهود الصلح على ان يحقن المسلمون دماءهم .

وقبل محمد بشرطهم ، وأبقاهم على أرضهم على ان يكون لهم نصف ثمرها مقابل

عمالهم فيها ، لان موقف المسلمين لم يكن يساعد على الاستغناء عن بعض قواتهم للقيام بزراعة الارض ، ولان اليهود كانوا ماهرين في الزراعة واستثمار الارض .

٥ - خسائر الطرفين

آ - المسلمون

تسعة عشر شهيداً مع كثير من الجرحى .

ب - اليهود

كانت خسائرهم بالأرواح كبيرة جداً ، كما خسروا أموالهم وأملاكهم .

نهاية اليهود في الجزيرة

١ - يهود فدك

أرسل الرسول بعد انتهاء معركة خيبر الى أهل فدك من يدعوهم الى الإسلام او الاستسلام للمسلمين ، وكانت معنوياتهم واطئة جداً ، فتصالحوا بنفس شروط خيبر دون قتال .

٢ - يهود وادي القرى

عاد المسلمون الى المدينة عن طريق (وادي القرى) فأنجز اليهود هناك استحضاراتهم للقتال .

ونشبت معركة محدودة استمرت بضع ساعات انتهت باستسلام اليهود ، فصالحهم الرسول على ما صالح عليه يهود خيبر .

٣ - يهود تيماء

استسلم يهود تيماء بدون قتال للمسلمين بنفس شروط يهود خيبر ايضاً .

٤ - النتائج

القضاء على اليهود عسكرياً في الجزيرة العربية

السيطرة على الاعراب

١ ـ الهدف

توطيد الامن في المنطقة الشمالية بصورة خاصة ، ومنع غارات الاعراب على المدينة ، وحماية الدعاة من غدر القبائل .

٢ ـ الحوادث

راجع الملحق المرفق (الملحق ه) .

٣ ـ النتائج

آ ـ توطيد هيبة المسلمين في المنطقة الشمالية (شمال المدينة) .

ب ـ حماية الدعاة من غدر القبائل بهم .

ج ـ إنتشار الاسلام بين القبائل الشمالية .

غزوة مؤتة (١)

أسباب الغزوة

آ ـ تأديب الاعراب الذين غدروا بدعاة المسلمين (بذات الطلح) على حدود الشام .

ب ـ تأديب عامل هرقل على بصرى ومن ينصره من القبائل لسكوته عن اغتيال حامل رسالة الرسول اليه .

٢ ـ قوات الطرفين

آ ـ المسلمون

ثلاثة آلاف مسلم بقيادة زيد بن حارثة الكلبي فجعفر بن أبي طالب فعبد الله ابن رواحة بالتعاقب .

---

(١) مؤتة : اسم موضع من تخوم الشام .

ب ـ المشركون والروم

مائة الف من الروم ومثله من القبائل الموالية بقيادة هرقل ، كما تذكر كثير من المصادر التاريخية ، ولكنني أعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه كثيراً وان الجيش لم يكن بقيادة هرقل نفسه ، بل بقيادة أحد قادة جيوشه .

٣ ـ الهدف

تأديب القبائل لغدرها بالمسلمين ، واظهار قوة المسلمين للروم والقبائل المتاخمة للشام . ولاستطلاع قوة وكفاءة قبائل الحدود والرومان وطبيعة الارض هناك .

٤ ـ سير الحوادث

آ ـ الاعمال التمهيدية

خرج المسلمون في جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة ، فودّعهم الرسول والمسلمون وأوصاهم محمد ألا يقتلوا النساء والاطفال ولا المكفوفين وألا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الاشجار .

وصلت قوات المسلمين (معان) من ارض الشام ، ولكن انباء حركتهم وصلت الى الروم قبل وصول المسلمين اليهم ، فحشدوا قواتهم في (مآب) من ارض البلقاء ، فلما علم المسلمون بأمر جموع الروم المتفوقة على قواتهم تفوقاً ساحقاً ، تذاكروا بينهم ، فرأى بعضهم ان يكتبوا الى الرسول يخبرونه بالموقف ويتلقوا اوامره النهائية ، ولكن اكثرهم رأوا ان يمضوا لهدفهم مهما تكن النتائج . قال لهم عبدالله بن رواحة : « يا قوم والله إن التي تكرهون التي خرجتم تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة » ...

قال الناس : صدق بن رواحة .

ب ـ القتال

تحرك المسلمون نحو جيوش الروم وحلفائهم من القبائل فحصلوا على التماس الأول في قرية (مشارف) بتخوم البلقاء .

ولكن المسلمين رأوا ان منطقة قريبة (مؤتة) ـ بين الكرك والطفيلة ـ انسب لقبول المعركة فيها وذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها نظراً لقلة قوتهم بالنسبة الى الاعداء .

بدأ القتال بين قوتين غير متكافئتين عدداً وعُدداً . وقد لاحظ المسلمون تفوّق الروم وحلفائهم عليهم ، ولكنهم لم يكترثوا بذلك .

وبدأ الهجوم باندفاع زيد بن حارثة بالراية الى صفوف العدو ، فحارب مستقتلاً مستميتاً حتى مزقته رماح العدو .

تناول الراية جعفر بن ابي طالب واندفع بها ، فأصيبت يده اليمنى ، فتناول الراية بشماله فقطعت ايضاً ، فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد .

وأخذ عبدالله بن رواحة الراية ، فقاتل بها حتى قتل ايضاً .

وتناول الراية ثابت بن أرقم ، فهتف بالمسلمين : يا قوم اصطلحوا على رجل منكم :..

واصطلح الناس على خالد بن الوليد .

ج) الانسحاب (١)

قرّر خالد الانسحاب من هذه المعركة لتخليص قوات المسلمين من المأزق الحرج الذي وقعوا فيه ، واستفاد من حلول الظلام ، فأعاد تنظيم قواته وألّف مؤخرة قوية لحماية الانسحاب .

---

(١) الانسحاب : تغيير عسكري يقصد به التملص من القتال بالحركة الى الخلف انتظاراً لظروف مناسبة لاستئناف التعرض .

قامت مؤخرة المسلمين بقتال التعويق لاحباط مطاردة العدو وإنقاذ القسم الاكبر من قوات المسلمين من التطويق الذي يعقبه الفناء، وقد انتشرت مؤخرة المسلمين في جبهة واسعة واحدثت ضجة عالية لإيهـــام العدو بقدوم امدادات جديدة للمسلمين ولحرمان العدو من معرفة انسحاب قوات المسلمين حتى لا يطاردها العدو فيكبدها خسائر فادحة بقواتها ، وبذلك استطاعت هذه المؤخرة النجاح في مهمتها ، فلم يتكبد المسلمون في انسحابهم خسائر تذكر على الرغم من أن حركة الانسحاب من أصعب الحركات العسكرية، لاحتمال انقلاب الانسحاب الى هزيمة ، والهزيمة كارثة تؤدي الى خسائر فادحة بالمنهزمين .

وعاد المسلمون الى المدينة ليستقبلهم اهل المدينة من المسلمين يحثون التراب على وجوههم قائلين لهم : يا فرار ! فررتم في سبيل الله ؟

ولكن الرسول أجابهم : إنهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله .

٥ ـ خسائر الطرفين

آ) المسلمون

استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا .

ب) الروم والمشركون

كانت خسائرهم اضعاف خسائر المسلمين مما أثر على معنوياتهم ، ولذلك لم يقوموا بمطاردة المسلمين مطاردة حاسمة تقضي على قواتهم كلها .

٦ ـ النتيجة

كانت معركة مؤتة معركة استطلاعية افادت المسلمين كثيراً في معرفة خواص قوات الروم واساليب قتالها ، فأفادوا من هذه المعلومات في قتـالهم بعد ذلك للروم .

ولا تعد خسائر المسلمين الطفيفة شيئاً يذكر بجانب الفائدة العسكرية التي

افادوها من الاطلاع على خواص قوات الروم وتنظيمها وتسليحهـــا واساليب قتالها ، مما سنرى أثره في المعارك التي خاضها المسلمون فيما بعد .

غزوة ذات السلاسل

١ - أسباب الغزوة

أخذ ثأر للمسلمين من القبائل التي اشتركت في غزوة مؤتـة : وهي من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلى وطيء وعذرة .

٢ - سير الحوادث

قرر الرسول بعد عودة المسلمين من مؤتة أن يسترد هيبة المسلمين في المنطقة الشمالية ، فأرسل عمرو بن العاص يستنفر العرب الى الشام ، وذلك لأن أمـه من قبائل تلك المنطقة ، فمن السهل عليه ان يستميلهم إلى جانبه .

فلما وصل ماء ذات السلاسل من ارض جذام، خشي من كثرة عدوه،فطلب من الرسول أن يمده بالرجال ، وبقي ينتظر المدد في موضع ذات السلاسل .

بعث الرسول جيشاً من المهاجرين الاولين : فيهم أبو بكر وعمر بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ، ووصاه حين وجهه نجدة لعمرو ألا يختلفا .

لما وصل أبو عبيدة ، قال له عمرو : « إنما جئت مدداً لي » . قال أبو عبيدة : « لا ، ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه » .

قال عمرو : « أنت مدد لي » .

قال أبو عبيدة : « يا عمرو ان رسول الله قـــال لي : لا تختلفا ، وإنك ان عصيتني أطعتك » ..

اخذ عمرو يطارد القبائل الموالية للروم ، فتوغل في ديار بلى وعذرة وبلقين وطيء وكلما انتهى الى موضع فرت القبائل التي كانت فيه ، واستطاع مرة واحدة الاصطدام بجموع من القبائل ، ولكنها فرت لا تلوي على شيء .

وبذلك شتت جموع قبائل الشام ، وأعاد هيبة المسلمين إلى نفوس القبائل القاطنين هناك .

دروس من ثمرات الهدنة

١ ـ القضايا التعبوية

آ ـ المباغتة

حركة الرسول الى اتجاه (الرجيع) وعودته الى خيبر، وقيامه بإرسال مفرزة صغيرة الى ديار غطفان ليجبرها على العودة لحماية أموالها وذراريها والنكوص عن معاونة حلفائهم اليهود في محنتهم ، مما أدى الى إيهام غطفان بأن الرسول يريدهم بقواته ، وإيهام اليهود بأن الرسول يريد غطفان ولا يريدها ، كل ذلك كان مباغتة كاملة لليهود وغطفان على حد سواء .

كما يعتبر مسير اقتراب (١) قوات المسلمين الى خيبر ووصولها ليلاً الى منطقة خيبر دون ان يستطيع اليهود معرفة وصولها ـ يعتبر ذلك مثالاً ممتازاً لضبط المسير ومباغتة ممتازة لليهود .

هذه المباغتة في المكان والزمان حالت دون تعاون اليهود مع حلفائهم وضمنت النصر للمسلمين عليهم ، بالرغم من استقتالهم ورصانة حصونهم وتيسر قضاياهم الإدارية بشكل ممتاز للغاية .

ب ـ قتال المدن والاحراش

خطة الرسول في الاستيلاء على حصون اليهود المنيعة ، كانت تتلخّص بمشاغلة بعضها بقوات صغيرة ، وتركيز الهجوم على حصن واحد بقواته الرئيسية ، حتى يتم له الاستيلاء على الحصن ، ثم ينتقل بهجومه المركز الى حصن آخر .

---

(١) مسير الاقتراب : تعبير عسكري يقصد به تقدم القوة لمجابهة عدو احتل موضعاً دفاعياً او في حالة المسير .

كما أنه قسم قواته الى اقسام بالنسبة الى قبائلها وبطونها ، وجعل لكل قسم قائداً ، حتى يشتد التنافس بين القوات ، ولكي يقوم بعضها بالمشاغلة بينما يأخذ الباقي قسطه من الراحة ليستأنف القتال مرتاحاً عند الحاجة .

إن هذه الخطة تتفق مع أحدث الخطط العسكرية الحديثة في قتال المدن والأحراش .

ولو أنه قام بالقتال بأسلوب الكر والفر ، أو بأسلوب الصفوف في مثل هذا الموقف ، لما كتب للمسلمين النصر على اليهود .

هـ ـ الانسحاب

يعتبر نجاح خالد بن الوليد في انسحابه من مؤتة تجاه قوات متفوقة على قوته تفوقاً ساحقاً ، يعتبر هذا الانسحاب معجزة عسكرية .

كما ان أسلوب اشتغال مؤخرة قوات المسلمين كان رائعاً حقاً : احتلت جبهة واسعة لتجبر العدو على الانفتاح على جبهة واسعة أيضاً ، مما يضعف قواته وأثارت تلك المؤخرة ضجة عظيمة ، مما جعل العدو يعتقد بوجود قوات كبيرة للمسلمين .

كل ذلك خلّص قوة القسم الاكبر (١) للمسلمين من التطويق ، وسهل عليها عملية الانسحاب .

٣ ـ المعنويات

أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيراً كبيراً ، وقف كثير من قريش عند دار الندوة بمكة ، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشاهدوا دخول الرسول وأصحابه .

---

(١) القسم الاكبر : تعبير عسكري يقصد به القوة الرئيسية التي تعمل مفارز الحماية على حمايته من مباغتة العدو .

فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة» ثم استلم الركن وأخذ يهرول ويهرول أصحابه معه حتى واراه البيت عن قريش .

والتطواف بهذه السرعة إظهار لقوة المسلمين وتكذيب لاشاعات الضعف التي زعمتها قريش للناس .

ونحر الرسول وأصحابه الهدي عند المروة ، ثم بقي بمكة ثلاثة ايام وعاد بعدها الى المدينة ، وهو لا يشك بتأثير ما رأته قريش من قوة المسلمين ومن ضبطهم واطاعتهم للرسول ومن تعظيمهم للبيت على معنويات قريش ، فلم يكد يترك مكة حتى وقف خالد بن الوليد يقول في جمع من قريش : « لقد استبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر ، وان كلامه من كلام رب العالمين ، فحق على كل ذي لب أن يتبعه » .

وسمع ابو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد ، فبعث في طلبه وسأله عن صحة ما سمع فأكد له خالد صحته ، فاندفع أبو سفيان الى خالد في غضبه ، فحجز عنه عكرمة وكان حاضراً ! وقال : « مهلاً يا أبا سفيان فوالله خفت للذي خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه ، أنتم تقتلون خالداً على راي رآه وهذه قريش كلها تبايعت عليه ، والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم » .

وأسلم من بعد خالد عمرو بن العاص وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة . بل ظهر الاسلام في كل بيت من قريش سراً وعلانية .

إن عمرة الحديبية فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها بعد حين .

٣ ـ الامانة

آ ـ حرص المسلمون على الوفاء بعهودهم كل الحرص ، ولم يحاولوا بتاتاً أن ينتهزوا الفرص السانحة للقضاء على خصومهم حرصاً على الوفاء بتلك العهود .

كان بإمكان المسلمين احتلال مكة في عمرة القضاء والبقاء فيها ، وفعلاً أراد عبدالله بن رواحة أن يقذف في وجه قريش بصيحة الحرب ، فصدّه عمر وصدّه الرسول .

ب ـ كان المسلمون في غزوة خيبر يعانون أشد العناء من نقص في مواد إعاشتهم حتى جاءت جماعة من المسلمين الى الرسول يشكون اليه قلة مؤونتهم ، ويطلبون اليه إعطاءهم ما يسدّون به رمقهم ، فلم يجد شيئاً يعطيهم إياه ، وأذن لهم بأكل لحوم الخيل على ندرتها وقيمتها العسكرية الكبيرة حين ذاك .

في هذا الموقف العصيب أقبل عبد حبشي بغنمه على رسول الله ، فأسلم ، ثم قال : « يا نبي الله ! إن هذه الغنم عندي أمانة » ، وكانت هذه الغنم تعود الى يهودي من خيبر . قال له الرسول : « اخرجها من عندك وارمها بالحصباء ، فان الله سيؤدي عنك أمانتك » ...

فعل العبد ما أمره الرسول ، فرجعت الغنم الى صاحبها ، فعلم اليهودي أن غلامه أسلم .

إن مثل هذه الامانة في مثل هذا الموقف تدعو الى الاعجاب والتقدير .

٤ ـ اكمال التحشد

آ ـ الهدف

تحشيد اكبر قوة ممكنة من المسلمين للقيام بالعمل الحاسم : فتح مكة وتوحيد الجزيرة العربية ، لتكون القاعدة الامينة لحركات المسلمين المقبلة ، لنشر الاسلام بين الناس كافة ، وتأسيس الامبراطورية الاسلامية .

ب ـ عودة مهاجري الحبشة

التجأ بعض المسلمين الى الحبشة قبل هجرة الرسول الى المدينة فراراً من أذى قريش ، وبقوا هناك بضعة عشر عاماً ، حتى اصبح سلطان المسلمين قوياً ، ولم يبق هناك مبرر من بقائهم في الحبشة بعيدين عن اخوانهم المسلمين الذين يحتاجون لمعاونتهم في نشر الدعوة وتوطيد دعائم الاسلام .

وفعلاً أرسل الرسول الى النجاشي يطلب اليه إعادة مهاجري الحبشة ، فعادوا الى المدينة بعد فتح خيبر مباشرة ، ففرح محمد وأصحابه بقدوم هؤلاء المهاجرين ، واندمجوا بقوات المسلمين ليقوموا بواجبهم في الجهاد .

٥ ـ نشر الاسلام

دعوة الملوك والامراء والرؤساء للاسلام .

راجع الملحقين المرفقين حول دعوة الملوك والامراء والرؤساء المسيطرين على البلاد العربية حين ذاك ، من النصارى الذين كانوا يدينون بدين الرومان ، ومن المجوس الذين كانوا يدينون بدين الفرس .

لقد أتاحت مكاتبات الرسول لهؤلاء الفرصة لانتشار الاسلام خاصة في منطقة البحرين وفي اليمن ، كما أتاحت الفرصة لعدد عظيم من الناس أن يعرفوا أهداف الدين الجديد وغاياته . مما جعل قلوب كثيرين منهم تهوي اليه سواء تظاهروا بذلك أم أبقوه في طي الكتمان .

ان انتشار الاسلام في اليمن له أهمية خاصة من الناحية العسكرية ، فقدجعل قريشاً مطوقة بالمسلمين من الشمال والجنوب .
وبذلك تقرر مصير مكة وقريش نهائياً .

٦ ـ القضايا الادارية

آ ـ الاعاشة

كانت مواد الاعاشة قليلة جداً عند المسلمين في غزوة خيبر ، فجـاع بعضهم ولم يجد الرسول شيئاً عنده ليسد به رمقهم ، ولكن تداعي حصون خيبر التي تكدست فيها الارزاق واستسلامها للمسلمين ، حسن موقف الاعاشة عند المسلمين.
أما اليهود فقد كان موقف إعاشتهم ممتازاً .

ب ـ الماء

استفاد اليهود من الآبار وبعض العيون في غزوة خيبر لتموينهم بالماء،وعندما

علم المسلمون بذلك ، سيطروا على المياه خارج الحصون وحرموا الحصون منها ، مما سهل عليهم استسلام الحصون .

جـ ـ الصحة

كان جو خيبر وخماً وفي المنطقة كثير من المستنقعات ، فأدى ذلك الى اصابة المسلمين بالحمّيات .

وقد افاد اليهود من النساء في غزوة خيبر لتمريض الجرحى والمرضى .

د ـ المجندات

أفاد المسلمون من النساء المتطوعات في غزوة خيبر لمناولة المقـــاتلين السهام وسقي السويق وتضميد الجرحى والمرضى وتمريضهم .

هـ ـ الغنائم

قسمت الغنائم بالتساوي بين المقـــاتلين ، وقد كانوا ممن حضر صلح الحديبية وبيعة الرضوان ، كما أشرك الرسول في الغنائم مهاجري الحبشة العائدين تواً ، لأن حالتهم الاقتصادية كانت رديئة للغاية ، ولا بد من مكافأتهم لاخلاصهم وعنائهم بهجرتهم الى الحبشة وبقائهم هناك بضعة عشر عاماً .

وأسهم للنساء المتطوعات من مواد الاعاشة فقط كما أسهم للرجال .

٧ ـ النتائج

كانت نتائج فترة هدنة الحديبية ما يلي :

آ ـ القضاء الاخير على اليهود في شبه الجزيرة العربية .

ب ـ السيطرة على القبائل العربية .

جـ ـ التأثير على معنويات قريش وحلفائها ما سهّل فتح مكة .

د ـ انتشار الإسلام انتشاراً عظيماً داخل الجزيرة العربية .

كل ذلك جعـــل المسلمين يعيـدون تنظيم صفوفهـم على اسس مكـينة ، وينجزون تحشيد قواتهم بحيث أصبحت اكبر قوة في شبه الجزيرة العربية كلها .

الملحق (٥)

دوريات القتال للسيطرة على الاعراب

التسلسل	اسم السرية	قوتها	الغرض منها	النتائج
١	سرية عمر بن الخطاب	دورية قتال بقوة ثلاثين رجلا	تأديب بعض هوازن	عادت السرية بدون قتال لفرار المشركين
٢	سرية غالب بن عبد الله الليثي	دورية قتال	لتأديب بني مرة	عادت السرية بعد فرار بني مرة
٣	سرية غالب بن عبد الله	دورية قتال بقوة مائة وثلاثين راكباً	تأديب بني عبد ابن ثعلبة	الاستيلاء على اموال المشركين بعد فرارهم
٤	سرية بشير بن سعد	دورية قتال	تأديب قحطان	الاستيلاء على اموال المشركين بعد فرارهم

٥	غزوة ابن أبي العوجاء السلمى	دورية قتال	تأديب بني سليم	قضى بنو سليم على دورية المسلمين
٦	سرية غالب بن عبدالله السلمى	دورية قتال بقوة حوالي خمسة عشر رجلًا	تأديب بني الملوح	الاستيلاء على اموال المشركين ، ولم يستطع المشركون تخليص اموالهم لاسراع المسلمين بالانسحاب
٧	سرية شجاع بن وهب	دورية قتال بقوة اربعة عشر رجلا	تأديب بني عامر	الاستيلاء على اموال المشركين لفرارهم
٨	سرية كعب عمير الغفاري	دورية قتال بقوة خمسة عشر رجلا	دعوة بني قضاعة ذات الطلح الى الاسلام	استشهدت الدورية عدا كعب

الملحق (و)

مكاتبة الرسول للملوك والرؤساء والامراء من النصارى

التسلسل	اسم سفير المسلمين	اسم الملك او الامير	الرسالة	النتائج
١	دحية بن خليفة الكلبي	القيصر هرقل ملك الروم	بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد فإني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فإن عليك إثم الا كارين (أي الفلاحين) ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهد بأنا مسلمون .	لم يغضب قيصر ولم يثر ، بل استدعى دحية وحاول إيهامه بأنه مسلم وأعطاه كمية من الدنانير وصرفه . ولما عاد دحية الى رسول الله بالنبأ قال الرسول : كذب عدو الله ليس بمسلم ، وأمر بالدنانير فقسمت على المحتاجين من المسلمين .
٢	شجاع ابن وهب الاسدي	الحارث بن أبي شمر الغساني أمير دمشق	بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، واني ادعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له فيبقى ملكك .	لما قرأ الكتاب رمى به الارض وقال : من ينزع ملكي مني ؟ وأخذ يعد العدة لقتال المسلمين .

الملحق (و)

مكاتبة الرسول للملوك و الامراء والرؤساء من النصارى

التسلسل	اسم سفير المسلمين	اسم الملك او الأمير	الرسالة	النتائج
٣	الحارث بن عمير الاسدي	أمير بصرى	الرسالة كرسالة أمير دمشق في معناها .	لم يصل الرسول الى امير بصرى،لأن شرحبيل ابن عمرو الغساني رآه في الطريق فقتله .
٤	حاطب بن ابي بلتعة	المقوقس عظيم القبط	١ ـ رسالة الرسول كرسالته الى قيصر . ٢ ـ جواب المقوقس . لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط .سلام عليك . اما بعد . فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو اليه ، وقد علمت ان نبياً قد بقي و كنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط ، وثياب ، واهديت لك بغلة تركبها .	قبل محمد الهدية وذكر ان المقوقس لم يسلم خشية ان يسلبه الروم ملك مصر وانه لولا ذلك لاسلم .
٥	عمرو بن امية الضمري	النجاشي ملك الحبشة	رسالة الرسول كرسالته الى قيصر في معناها .	كان رد النجاشي جميلاً وقد ورد في بعض الروايات انه اسلم .

الملحق (ز) مكاتبة الرسول للملوك والامراء والرؤساء المجوس والمشركين وأتباع كسرى

التسلسل	اسم سفير المسلمين	اسم الملك او الامير	الرسالة	النتائج
١	عبد الله ابن حذافة	كسرى ابرويز ملك الفرس	بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الاسلام فإني أنا رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . اسلم تسلم ، فان أبيت فعليك اثم المجوس .	استشاط غضبا بعد تلاوة الكتاب ومزقه ، وكتب الى بازان عامله على اليمن يأمره بان يبعث اليه برأس الرسول ، ولما بلغ الرسول ما قاله كسرى قال : مزق الله ملكه . وأوفد بازان رجلين الى محمد برسالة وعندما وصل الرجلان الى المدينة اخبرهم الرسول بأن كسرى قد اغتيل من قبل ابنه شيرويه ، وطلب الى الرسولين ان يكونا رسوليه الى بازان يدعوانه للاسلام ، فأسلم بازان واصبحت اليمن نقطة ارتكاز قوية للمسلمين في جنوب الجزيرة العربية .
٢	العلاء الحضرمي	المنذر بن سلوى ، والي البحرين	كرسالة كسرى في معناها .	اسلم المنذر وعرض الاسلام على قومه فاسلم بعضهم وبقي الآخرون على يهوديتهم او مجوسيتهم ففرضت الجزية على اليهود والمجوس .

الملحق (ز) مكاتبة الرسول للملوك والامراء والرؤساء المجوس والمشركين واتباع كسرى

التسلسل	اسم سفير المسلمين	اسم الملك او الامير	الرسالة	النتائج
٣	المهاجر بن أمية المخزومي	الحارث الحميري ملك اليمن	كرسالة كسرى في معناها .	غضب ورد رداً شديداً .
٤	سليط بن عمرو	هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة	كرسالة كسرى في معناها .	اظهر استعداده للاسلام اذا هو نصب حاكماً فلعنه النبي لمطامعه .
٥	عمرو بن العاص السلمي	ملك عمان	كرسالة كسرى في معناها .	غضب ورد رداً شديداً .

عودة المستضعفين

« ونريد أن نمنّ على
الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم أئمة
ونجعلهم الوارثين »
القرآن الكريم

فتح مكّة

الموقف العام

١ ـ المسلمون

أتاحت هدنة الحديبية للمسلمين القضاء على اليهود عسكرياً في المدينة ، كما أتاحت لهم السيطرة على القبائل شمال المدينة حتى حدود العراق والشام وانتشر الاسلام بين القبائل العربية كلها . فأصبح المسلمون قوة لا تدانيهـا أية قوة في بلاد العرب .

ولم يبق أمام المسلمين الا الاستيلاء على مكة ، تلك المدينة المقدّسة التي انتشر الإسلام فيها أيضاً ، وما أسهل احتلالها على المسلمين لولا عهـد الحديبية الذي يحرص على الوفاء به الرسول .

٢ ـ المشركون

أدى انتشار الاسلام بين قسم كبير من القبائل ومن ضمنها قريش وبقـاء القسم الآخر على الشرك الى تفرق كلمتها واستحالة جمع هذه الكلمة على حرب المسلمين .

ولم يبق في قريش زعيم مسيطر يستطيع توجيهها الى مـا يريد حين يريد : المسلمون فيها لا يخضعون إلا لأوامر الاسلام، والمشركون فيها بين متطرف يدعو للحرب مهما تكن نتائجها . ومعتدل يعتبر الحرب كارثة تحيق بقريش .

أراد بنو بكر حلفاء قريش ان يأخذوا قريش بثاراتهم القديمة من بني خزاعة حلفاء المسلمين ، وحرّضهم على ذلك متطرفو قريش بقيادة عكرمة بن أبي جهل

وبعض سادات قريش ، وأمدوهم سراً بالرجال والسلاح ، وقامت بنو بكر بهجوم مباغت على بني خزاعة ، فاوقعوا فيهم بعض الخسائر في الأرواح والأموال ولما التجأت خزاعة الى البيت الحرام ، طاردتهم بنو بكر مصمّمة على القضاء عليهم غير مكترثة بعهد الحديبية .

وانتهت الهدنة بين قريش وحلفائها من جهة ، وبين المسلمين وحلفائهم من جهة اخرى ، وكان السبب في انتهائها قريش وبنو بكر .

اعلان الحرب

١ ـ المسلمون

سارع عمر بن سالم الخزاعي بالتوجّه الى المدينة حاملاً أخبار نقض قريش وبني بكر لعهد الحديبية ، فلما وصلها قصد المسجد وقصّ على الرسول وأصحابه ما أصاب خزاعة من بني بكر وقريش في مكة وخارجها ، فأجابه الرسول : نصرت يا عمرو بن سالم .

وخرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة ، حتى قدموا المدينة ، فأخبروا النبي بما أصابهم ، فعزم الرسول على فتح مكة .

٢ ـ قريش

قدّر معتدلو قريش وعقلاؤهم ماذا يعنيه انتهاء الهدنة بينهم وبين المسلمين ، ففرّروا ايفاد أبي سفيان الى المدينة للتشبث بتثبيت العهد واطالة مدته .

ولما وصل أبو سفيان (عسفان) في طريقه الى المدينة رأى بديل بن ورقاء واصحابه عائدين من المدينة ، فخاف ان يكون قد جاء محمداً واخبره بما حدث مما يزيد مهمته التي جاء من اجلها تعقيداً ، إلا ان بديلاً نفى مقابلته لمحمد ، ولكن ابا سفيان عرف من فضلات راحلة بديل التي فيها نوى التمر انه كان في المدينة .

ووصل أبو سفيان الى يثرب ، فقصد دار ابنته أم حبيبة زوج الرسول ، وأراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه ، فقال لها : « يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ » قالت . « بل هو فراش رسول الله ، وأنت مشرك نجس » . قال أبو سفيان : « والله ، لقد اصابك بعدي شر » .

واستشفع أبو سفيان بأبي بكر ليكلم الرسول ، فأبى .

واستشفع بعمر بن الخطاب فأغلظ له في الرد ، وقال : « أأنا أشفع لكم عند رسول الله ؟ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » .

ودخل أبو سفيان على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة ، فردّ عليه علي : « والله يا أبا سفيان ، لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع ان نكلمه فيه » .

واستشفع أبو سفيان بفاطمة بنت النبي أن يجير ابنها الحسن بين الناس ، فقالت : « ما يجير أحد على رسول الله » .

فاستنصح أبو سفيان علياً ، بعد أن اشتدّت عليه الأمور ، فنصحه أن يعود من حيث جاء ؛ ففعل أبو سفيان عائداً الى قريش ، ليخبرهم بما لقي من صدود .

ولم يبق هناك شك في اعلان الحرب .

الاستحضارات

أمر الرسول اصحابه بانجاز استحضاراتهم للحركة ؛ وأرسل من يخبر قبائل المسلمين خارج المدينة بانجاز استحضاراتهم للحركة ايضاً ، كما أمر أهله أن يجهزوه ، ولكنه لم يخبر أحداً بنواياه الحقيقية ولا باتجاه حركته .

دخل أبو بكر على ابنته عائشة زوج النبي وهي تهيء جهاز الرسول ، فقال لها : « أي بنية . أأمركم رسول الله ﷺ ان تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز . قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت والله لا ادري » ..

ولما اقترب موعد الحركة ، صرح الرسول بانه سائر الى مكة ، وبثّ عيونه ليحول دون وصول انباء حركته الى قريش . ولكن حاطب بن ابي بلتعة كتب رسالة اعطاها امرأة متوجهة الى مكة ، يخبرهم فيها بنيات المسلمين ،فعلم الرسول بهذه الرسالة ، وبعث علياً بن أبي طالب والزبير بن العوام ليدركا المرأة ويأخذا تلك الرسالة منها . فأدركاها وأخذا الرسالة التي كانت معها .

ودعا محمد حاطباً يسأله : ما حمله على ذلك ؟ قال حاطب : « يارسول : أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكني كنت امرءاً ليس له في القوم من أهـــل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ؛ فصانعتهم عليهم » . قـــال عمر : « دعني يارسول الله فلأضرب عنقه ، فـــان الرجل قد نافق » .

قال الرسول : « أما إنه قد صدقكم،وما يدريك؟ لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم » ...!

شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، فعفـــا عنه الرسول وأمر المسلمين ان يذكروه بأفضل مافيه .

وانجز المسلمون استحضاراتهم للحركة .

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون

عشرة آلاف بقيادة الرسول .

٢ ـ المشركون

قريش وبنو بكر كل جماعة منهم لها قائد خاص .

في الطريق الى مكة

١ ـ ترك المسلمون المدينة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة قاصدين فتح

مكة، وكان جيش المسلمين مؤلفاً من الانصار والمهاجرين وسليم ومزينة وغطفان وكثير من القبائل الأخرى، في عدد وعُدد لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل، وكلما تقدّم الجيش باتجاه هدفه ازداد عدده بانضمام مسلمي القبائل التي تسكن على جانبي الطريق اليه. ومع كثافة هـذا الجيش وقوّته وأهميته، فقد بقي سر حركته مكتوماً لا تعرف قريش عنه شيئاً، ومع اعتقاد قريش بأن محمداً في حل من مهاجمتها، ولكنها لم تكن تعرف متى وأين وكيف سيجري الهجوم المتوقّع، ولشعور قريش بالخطر المحدق بهـا أسرع كثير من رجالها بالخروج الى المسلمين لاعلان إسلامهم، فصادف بعض هؤلاء ومنهم العباس عم النبي جيش المسلمين في طريقه الى مكة.

وصل الجيش مساء موضع (مر الظهران) على مسافة أربعة فراسخ من مكة، فعسكر هناك، وأمر الرسول أن يوقد كل مسلم ناراً حتى ترى قريش ضخامة الجيش دون أن تعرف هويّته، فيؤثر ذلك على معنوياتها وتستسلم للمسلمين دون قتال، وبذلك يؤمن الرسول هدفه في دخول مكة دون إراقة للدماء.

وأوقـد عشرة آلاف مسلم نيرانهم، ورأت قريش تلك النيران تملأ الافق البعيد، فأسرع أبو سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام بالخروج باتجاه النيران حتى يعرفوا مصدرها ونوايا أصحابها وأهدافهم، فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين، قال أبو سفيان لصاحبه: «ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً»، فردّ عليه بديل بن ورقاء: «هذه والله خزاعة حمشتها الحرب» فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب، فقال: «خزاعة أقل وأذل من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها» ...

وكان العباس عم النبي قد خرج من معسر المسلمين راكبـاً بغلة الرسول ليخبر قريشاً بالجيش الضخم الذي جاء لقتالها والذي لا قبل لها به، حتى يؤثر على معنوياتها ويضطرها الى التسليم دون قتال، فيحقن بذلك دماءها ويؤمّن لها صلحاً شريفاً ويخلصها من معركة فاشلة معروفة النتائج سلفاً لا يمكن ان يثيرها غير العصبية الجاهلية؛ فسمع وهو في طريقه حديث أبي سفيان وبديل بن ورقاء،

رف العباس صوت ابي سفيان ، فناداه وأخبره بوصول جيش المسلمين بأن يلجا الى الرسول حتى ينظر في امره قبـــل ان يدخل الجيش مكة صباح غد فيحيق به ويقومه العقاب .

أردف العباس أبا سفيان على بغلة الرسول ،وتوجها نحو معسكر المسلمين ،فلما وصل العباس المعسكر ودخله واخذ يمر بنيران الجيش في طريقه الى خيمة الرسول رآه المسلمون فلم ينكروا شيئاً لأنهم عرفوا العباس ،فلما مر العباس بنار عمر بن الخطاب عرف ابا سفيان وأدرك ان العباس يريد ان يجيره ، فأسرع عمر الى خيمة النبي وطلب منه أن يأمره بضرب عنق أبي سفيان ، ولكن الرسول طلب من عمه ان يأخذ ابا سفيان الى خيمته ويحضره اليه صباح غد ، فلما كان الصباح وجيء بأبي سفيان الى النبي ، اسلم ليحقن دمه ، فقال العباس : « يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً » ..

قال الرسول : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

وأراد الرسول ان يستوثق من سير الامور كما يحب بعيداً عن وقوع الحرب افأوصى العباس باحتجاز ابي سفيـان في مضيق الوادي ، حتى يستعرض الجيش لزاحف كله فلا تبقى في نفسه اية فكرة المقاومة .

قال العباس : « خرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث امرني رسول الله ، ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرّت قبيلة قال : يا عبـــاس ، من هؤلاء ؟ فأقول سليم ! فيقول مالي ولسليم . ثم تمرّ به القبيلة ، فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها ، فاذا اخبرته قال : مالي ولبني فلان .

« حتى مرّ الرسول في كتيبته الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار لايرى منهم الا الحدق من الحديد فقال : سبحان الله ؟ يا عباس ، من هؤلاء ؟ قلت :

هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ! والله يا ابا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيماً » .

« قال العباس : يا ابا سفيان انها النبوة. قال : « نعم إذن » ...

قبل دخول مكة

دخل أبو سفيان مكة مبهوراً مذعوراً . وهو يحس أن من ورائه اعصاراً اذا انطلق اجتاح قريشاً وقضى عليها قضاء لا تقوم لها قائمة بعده ابداً ، ورأى اهل مكة قوات المسلمين تقترب منهم ، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قرروا قراراً حاسماً ولا اتخذوا تدابير القتال الضرورية ، فاجتمعوا الى ساداتهم ينتظرون الرأي الأخير ، فاذا بصوت ابي سفيان ينطلق بينهم مجلجلاً جازما : « يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن ! » .

شدهت امرأة ابي سفيان هند بنت عتبة التي كانت تشايع المتطرفين من قريش في عداوتهم للمسلمين وهي تسمع من زوجها هذا الكلام ، فوثبت اليه وأخذت بشاربه تلويه وصاحت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس(١) (اي هذا الزق المنتفخ) قبحت من طليعة قوم(٢) » .

ولم يكترث ابو سفيان لسباب امرأته ،فعاود تحذيره : « ويلكم لا تغرنكم هذه من انفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به . فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن .. »

قالت قريش : قاتلك الله وما تغني عنا دارك ؟ قال : « ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ..

---

(١) الحميت : في الاصل زق السمن ، والدسم ، الكثير الودك ، والاحمس : الشديد اللحم، تريد تشبيه به لبلاته وسمنه .

(٢) طليعة قوم : الذي يتقدمهم أو يحرسهم .

واصبحت مكة تنتظر دخول المسلمين : اختفى الرجال وراء الابواب الموصدة ، واجتمع بعضهم في المسجد الحرام ، وبقي المتطرفون مصرين علـــى القتال .

خطة الفتح

(راجع المخطط المرفق)

١ - كانت مجمل خطة الرسول لدخول مكة ما يلي : -

ا - الميسرة بقيادة الزبير بن العوام واجبها دخول مكة من شمالها .

ب- الميمنة بقيادة خالد بن الوليد واجبها دخول مكة من جنوبها .

ج- قوات الانصار بقيادة سعد بن أبي عبادة واجبهـــا دخول مكة من الغرب .

د - قوات المهاجرين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح واجبها دخول مكة من الشمال الغربي من اتجاه جبل هند .

هـ - مثابة اجتماع القوات بعد الفتح في منطقة جبل هند .

٢ - كانت اوامر الرسول لقواده بالا يقاتلوا الا اذا اضطروا على القتال ، حتى يتم فتح مكة سلميا وبدون قتال .

الفتح

١ - قبل شروع القطعات في دخول مكة ، سمع بعض المسلمين سعداً بن عبادة يقول : اليوم يوم الملحمة ، تستحل الحرمة ... لذلك رأى الرسول حين بلغه ما قال سعد ان يأخذ الراية منه وان يدفعها الى ابنه قيس ، فقد كان قيس أهـدأ أعصاباً من ابيه واكثر سيطرة على نفسه ، حتى يحـــول دون اندفـــاع سعد لاثارة الحرب .

دخلت قوات المسلمين مكة ، فلم تلق مقاومة ، الا جيش خالد بن الوليد ،

فقد تجمّع متطرفو قريش مع بعض حلفائهم من بني بكر في منطقة (الخندمة)، فلما وصلتها قطعات خالد أمطروها بوابل من نبالهم ، لكن خالداً لم يلبث ان فرقهم ولم يقتل من رجاله الا اثنان ضلاّ طريقهما وانفصلا عنه ولم يلبث صفوان وسهيل وعكرمة حين رأوا الدائرة تدور عليهم ان تركوا مواضعهم في (الخندمة) وفروا مع قواتهم .

واستسلمت المدينة المقدسة للمسلمين .

في مكة

عسكر النبي في منطقة جبل هند بعد ان سيطرت قواته على جميع مداخل مكة ، فلما استراح وتجمعت ارتاله ، نهض والمهاجرين والانصار بين يديه وخلفه وحوله ، حتى دخل المسجد . فأقبل الى الحجر الاسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت العتيق وحول البيت . وكان في الكعبة ستون وثلثمائة صنم ، يطعنها بالقوس وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدىء الباطل « وما يعيد » .

ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة . فرأى الصور تملؤها ومن بينها صورتان لابراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام ، فمحا ما في الكعبة من صور ، ثم صلى ودار في البيت يكبّر ، ولما أنهى تطهير البيت من الأصنام والصور ، وقف على باب الكعبة وقريش تنتظر ماذا يصنع ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده الا كل مأثرة او مال فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . يامعشر قريش ، انّ الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء : الناس من آدم ، وآدم من تراب ، يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير . يامعشر قَريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ » .

قالوا : « خيراً اخ كريم وابن اخ كريم » .

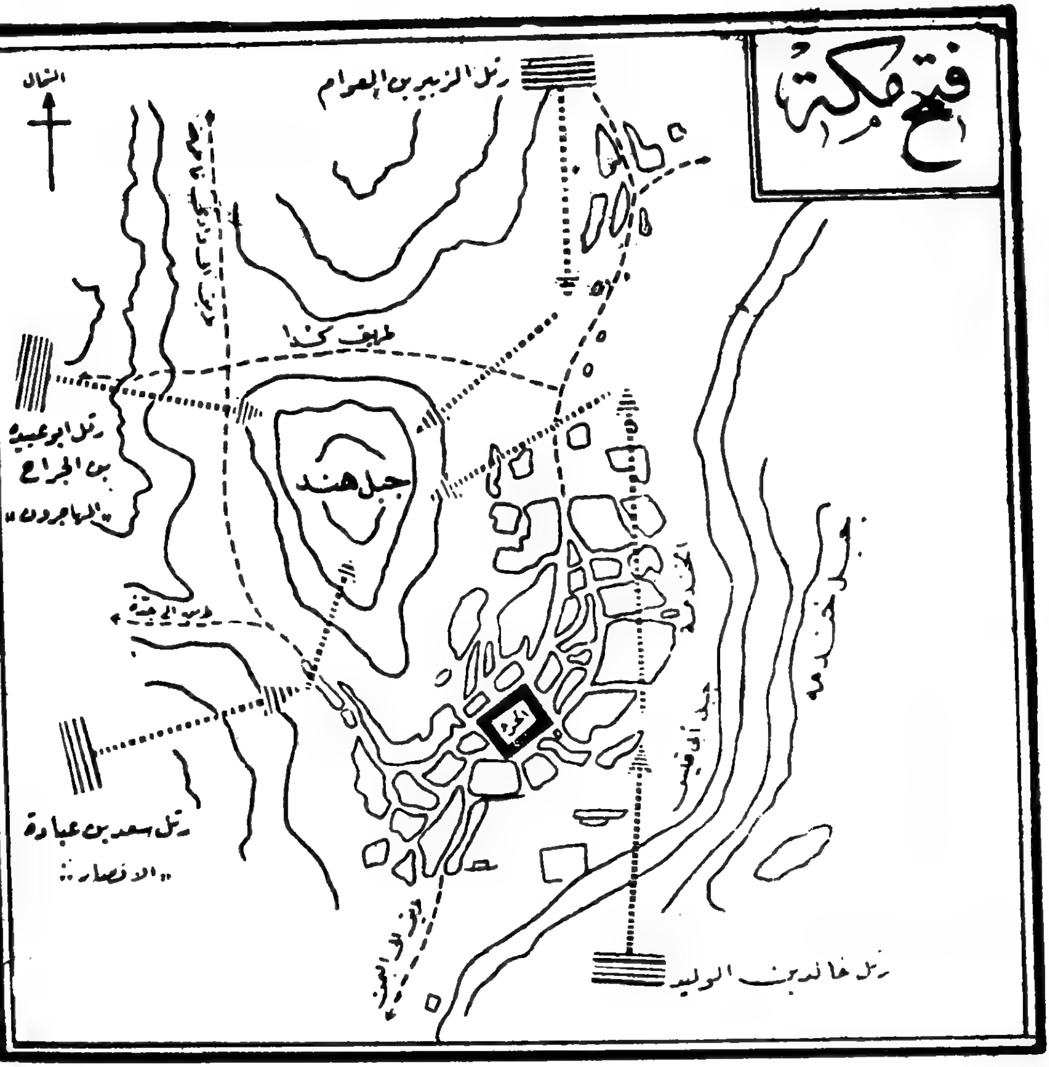
فتح مكة
الشمال
رتل الزبير بن العوام
طريق كدا
رتل ابو عبيدة بن الجراح
المهاجرون
جبل هند
رتل سعد بن عبادة
الانصار
جبل ابي قبيس
جبل خندمة
رتل خالد بن الوليد

قال : «فاني اقول كما قال يوسف لاخواته :لا تثريب عليكم اليوم . إذهبوا فانتم الطلقاء» ..

طهّر المسلمون البيت من الأصنام ، واتمّ محمد بذلك في اول يوم فتح مكة ما دعا اليه منذ عشرين سنة : اتمّ تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية في البيت الحرام بمشهد من قريش ، ترى اصنامها التي كانت تعبد ويعبد آباؤها ، وهي لا تملك لانفسها نفعاً ولا ضراً .

واقام محمد بمكة خمسة عشر يوما نظم خلالها شؤون مكة وفقّه اهلها في الدين ، وارسل بعض المفارز للدعوة الى الاسلام ولتحطيم الاصنام من غيرسفك للدماء . وقد اتمّت تلك المفارز واجباتها بدون قتال ، الا المفرزة التي كانت بإمرة خالد بن الوليد والتي خرجت الى (نخلة) لتهدم (العزى) . فلما هدمها خالد خرج الى جذيمة فأخذوا سلاحهم . فطلب اليهم خالد ان يضعوا سلاحهم لان الناس اسلموا . عند ذاك تردّد القوم بين محبذ للقتال ومحبذ للسلم ، واخيراً القوا سلاحهم ، فقتل منهم خالد بعض الناس ، فلما انتهى الخبر الى النبي رفع يديه الى السماء : وقال : « اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد » . ثم بعث عليا بن ابي طالب وقال له: « اخرج الى هؤلاء القوم،فانظر في امرهم واجعل امر الجاهلية تحت قدميك » .

وخرج علي ومعه مال ، فلما بلغ القوم دفع الدية عن الدماء وعما اصيب من الاموال ، حتى اذا لم يبق شيء من دم او مال الا وداه ، اعطاهم بقية المال الذي بعث به رسول الله احتياطاً لرسول الله مما لا يعلم .

خسائر الطرفين

١ - المسلمون

شهيدان فقط .

٢ - المشركون

ثلاثة عشر قتيلاً وبعض الجرحى .

دروس من الفتح

١ - المباغتة

حرص محمد اشد الحرص على الا يكشف نيته لاحد عندما اعتزم الحركة الى مكة ، وكان سبيله الى ذلك الكتمان الشديد .

لم يبح بنياته لاقرب اصحابه الى نفسه ابي بكر ، بل لم يبح بنياته الى احب نسائه اليه عائشة بنت ابي بكر . وبقيت نواياه سراً مكتوماً حتى انجز هو واصحابه جميع استحضارات الحركة ، وحتى وصل امره الانذاري (١) الى كافة المسلمين خارج المدينة وداخلها لانجاز الاستحضارات . ولكنه اباح بنواياه في الحركة الى مكة قبيل موعد خروجه من المدينة ، حيث لم يبق هناك مبرّر للكتمان ، لان الحركة اصبحت وشيكة الوقوع .

ومع ذلك فانه بثّ عيونه وأرصاده ودورياته لتحول دون تسرّب المعلومات عن حركته إلى قريش .

بثّ عيونه داخل المدينة ليقضي على كل خبر من اهلها الى قريش ، وقد رأيت كيف اطلع على إرسال حاطب بن أبي بلتعة برسالته الى مكة ، فاستطاع أن يحجز على تلك الرسالة قبل أن تصل الى مثابتها .

وبثّ دورياته في المدينة وخارجها ليحرم قريشاً من الحصول على المعلومات عن نوايا المسلمين ، وليحرم المنافقين والموالين لقريش من إرسال المعلومات اليها .

وبقي محمداً يقظاً كل اليقظة ، حتى وصل ضواحي مكة ، ونجح بترتيباته في حرمان قريش من معرفة تدابير المسلمين .

ولو انكشفت نيات المسلمين لقريش في وقت مبكّر لاستطاعت أن تحشّد حلفاءها وتنظّم قواتها وتقرّر خطة مناسبة لمقابلة المسلمين ، ولاستطاعت مقاومة

---

(١) الامر الانذاري : تعبير عسكري يقصد به الامر التمهيدي الذي يصدر (مبكراً) قبل اصدار الاوامر المفصلة لغرض اعطاء فكرة للآمرين المرؤوسين عن الحركة المقبلة ، ولكي تنجز الاستحضارات اللازمة بكفاءة لهذه الحركة .

محمد وأصحابه أطول مدة ممكنة، ولأوقعت بقواته خسائر في الأرواح والأموال دون مبرّر .

ليس من السهل أبداً ، أن يتحرّك جيش كبير تبلغ قوته عشرة آلاف راكب وراجل الى مكة ، دون ان تعرف قريش وقت حركته ونواياه ، حتى يصل ذلك الجيش الى ضواحي مكة ، فيفلت الامر من قريش ، ولا تعرف ما تصنع الا أن تلجأ الى التسليم .

إن ترتيبات الرسول لحرمان قريش من معرفة نواياه ، أمّنت له مباغتة ممتازة للغاية ، وأجبرت قريشاً على الاستسلام دون قتال .

١ - المعلومات

يقرّر القائد خطته بالنسبة الى المعلومات التي يستطيع الحصول عليها عن : نوايا العدو ، وعدد قواته ، وتنظيمه وتسليحه ومواضعه وأسلوب قتاله ،

وكلّما كانت المعلومات المتيسّرة مفصّلة وافية - كانت خطة القائد دقيقة وكان احتمال نجاحها كبيراً .

لقد استطاع المسلمون أن يعرفوا من وفد بني خزاعة أمر نقض الهدنة ، واستطاعوا معرفة تردّد قريش في قراراتها ، كما استطاعوا أن يعرفوا كل خبر مهم يدخل الى المدينة أو يخرج منها في وقته الجازم .

أما قريش ، فلم تستطع ان تحصل على أي نوع من المعلومات في أي وقت كان قبل حركة الرسول واثناءها حتى وصوله ضواحي مكة .

حاول أبو سفيان أن يعرف نيات المسلمين من ابنته أم حبيبة زوج النبي فلم يفلح ، وحاول ان يعرف ذلك من المسلمين في المدينة ففشل ، وحاول أن يعرف شيئاً من وفد خزاعة ، فانكر الوفد ذهابه الى الرسول ؛ وهكذا بقيت قريش في عماية من أمرها ، حتى وصل جيش المسلمين ضواحي مكة ونزل القضاء المحتوم .

٢ - بُعدُ النظر

القائد الناجح هو الذي يتسم ببعد النظر بالاضافة الى مزاياه الاخرى ،

ويتخذ لكل احتمال التدابير الضرورية لمعالجته، دون أن يترك مصائر قواتـــه للأقـــدار .

إن النصر من عند الله يؤتيه من يشاء، هذا أمر مفروغ منـه ، ولكن الله يكتب النصر لمن أعد له عدته واحتاط لكل احتمال كبير أو صغير قد يصادفه ، ولذلك يشدّد العسكريون لادخال اسوإ الاحتمالات في حسابهم عند الاقدام على أي حركة عسكرية .

أمر الرسول أن يحبس أبو سفيان في مدخل الجبل الى مكة ، حتى تمرّ بـه جنود المسلمين ، فيحدّث قومه عما رآه عن بيّنة ويقين،ولـكي لا يكون إسراعه في العودة الى قريش قبل أن تتحطم معنوياته تمامـاً ، سبباً لاحتمال وقوع اي مقاومة من قريش مهما يكن نوعها ودرجة خطورتها .

وفعلا اقتنع أبو سفيان بعد أن رأى قوات المسلمين كلها، أن قريشاً لا قِبل لها بالمقاومة .

وقد أدخل الرسول في حسابه أسوأ الاحتمالات أيضاً ، عنـــد تنظيم خطته لدخول مكة ، فقد كانت تلك الخطة تؤمّن تطويق البلد من جهـــاته الاربع بقوات مكتفية بذاتها بامكانها العمل مستقلة عن القوات الاخرى عند الحاجـة ، وبذلك تستطيع القضاء على أي مقاومة في أي جهة من مكة ، كما تؤمّن توزيع قوات قريش الى أقسام لمقاومة كل رتل من ارتال المسلمين على انفراد ، فتكون قوات قريش ضعيفة في كل مكان .

لقد اتخذ محمد هذه التدابير الفعّالة ، على الرغم من اعتقـــاده بأن احتمال مقاومة قريش للمسلمين ضعيف جداً ، وذلك ليحول دون مباغتة قواته وإيقـاع الخسائر بها مهما تكن الظروف والاحوال .

ان هذا العمل من اروع امثلة بعد النظر الذي يجب ان يتسم به القـــائد العبقري .

٤ ـ التنظيم

كان جيش الفتح يتألف من المهاجرين والانصار ومسلمي اكثر القبائـــل

العربية المعروفة يومذاك : سبعمائة من بني سليم ، والف من مزينة ، وأربعمائة من بني غفار ، واربعمائة والف من بني جهينة ، وعـــدد من تميم واسد وقيس وغيرها من القبائل الاخرى

انّ هذا التنظيم جعل المشركين يتردّدون في مقاومة جيش المسلمين ، لان كل قبيلة لها فيه عدد كبير بل ان كثيراً من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحاً لها على الرغم من اختلاف العقيدتين ، والأكثر من ذلك ، فان انتصار هـــذا الجيش لا يعتبر فخراً لقبيلة دون اخرى ، كما ان فشل اي قبيلة في التغلّب عليه، لا يعتبر عاراً عليها، لان هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون اخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم، بل كان للاسلام ولمعتنقي هذا الدين من العرب وغير العرب.

إني أعتقد انّ تنظيم هذا الجيش بهذا الاسلوب الذي لا يخضع إلا للعقيـدة الموحدة فقط دون غيرها من المؤثرات ، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومته حرصها على مقاومة قبيلة خاصة او قبائل خاصة ، وجعل اكثر تلك القبائل لا تريد فشله اذا لم تكن تريد النصر له ، وهذا ادّى الى تردّد القبائل في مقاومته وامتناعها عن نقل المعلومات عنه الى قريش او غيرها ، كما اعتقد انّ قوة هذا الجيش وحدها لم تكن المانع الوحيد لتردّد القبائل في قتاله ونقـــل معلوماته للعدو ، لأن قتاله أو نقل المعلومات عنه لعدوّه ، معناه ايقـــاع الخسائر في المسلمين : تلك الخسائر التي تكون على القبائل كلها لا على قبيلة واحدة ،وبذلك يشمل الضرر القبائل كلها لا المسلمين وحدهم ، ومن يضمن ألا تكون اكثر الخسائر من منتسبي تلك القبيلة التي سبّبت للمسلمين هذه الخسائر .

٥ - المعنويات

لم تكن معنويات المسلمين في وقت من الأوقات أعلى وأقوى مما كانت عليه ايام فتح مكة ، البلد المقدس عند المسلمين الذي يتوجهون اليه في صلاتهم كل يوم، ويحجّون بيته كل عام .

وقد كانت أهمية مكة للمهاجرين اكثر من أنها بلد مقدس ، فهي بلدهم الذي تركوه فراراً بدينهم وتركوا فيه اموالهم واقرباءهم وكل عزيز عليهم .

لذلك لم يتخلف احد من المسلمين عن هذه الغزوة إلا القليل من ذوي الأعذار الصعبة .

اما معنويات قريش فقد كانت متردية للغاية ومن حقها أن تتردى، فقدأثرت عليها عمرة القضاء كما رأيت ، كما اثر عليها انتشار الإسلام في كل بيت من بيوت مكة تقريباً ، وبذلك فقدت مكة روح المقاومة وروح القتال .

كان حماس بن قيس من بكر يعد سلاحه قبل دخول الرسول . فسألته امرأته المشركة : « لماذا تعد ما أرى ؟ » قال : « لمحمد وأصحابه » . قالت « والله ما يقوم لمحمد شيء » . فإذا كان هذا حال معنويات المشركين في مكة فكيف تستطيع المقاومة وكيف لا تتردد في الإقدام على القتال ؟

إني اعتبر أن فتح مكة قد تم للمسلمين من يوم عمرة القضاء ، لأن هذه العمرة أثرت على معنويات قريش أعظم التأثير .

إن عمرة القضاء فتحت قلوب قريش ، وغزوة الفتح فتحت أبوابها .

ومما زاد في انحطاط معنويات قريش وشل كل روح المقاومة فيها ، ما اتخذه الرسول من ترتيبات إيقاد عشرة آلاف نار في ليلة الفتح ، ومرور الجيش كله بأبي سفيان قائد قريش او اكبر قائد فيها ، ودخول أرتال المسلمين من كل جوانب مكة .

لقد كانت معركة (الفتح) معركة معنويات لا معركة ميدان .

٦ - السلم

حرص الرسول منذ خروجه من المدينة حتى فتح مكة على نياته السلمية ليؤالف بذلك قلوب المشركين ، ويجعلها تقبل على الإسلام .

إيقاد النيران في ليلة الفتح بشكل لم تعرف له العرب مثيلاً من قبل، يستهدف القضاء على روح المقاومة في قريش ، ويجبرها على التسليم دون قتال .

ومرور الجيش بأبي سفيان ، يستهدف إقناعه بعدم جدوى المقاومة، ليعمل من جانبه على إقناع قريش بهذا الرأي :

ومن دخل دار أبي سفيان او أغلق عليه بابه او التجأ الى البيت الحرام فهو آمن ، معناه منع تجمّع الناس المقاومة .

بل ان دخول أرتال المسلمين من كل جانب من جوانب مكة ، لا يعني إلا اقناع المسلمين باستحالة المقاومة .

كل ذلك كان يستهدف السلم وحقن الدماء .

وبقي الرسول مصراً على نياته السلمية بعد الفتح ايضاً ؛ فقد اصدر العفو العام عن قريش وقال لهم : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وكما حرص الرسول على السلم الإجماعي حرص على السلم للأفراد، فمنع القتل حتى لفرد من المشركين .

قتلت خزاعة حلفاء المسلمين رجلاً من هذيل غداة يوم الفتح لثأر سابق لها عنده ، فغضب الرسول أشد الغضب ، وقام في الناس خطيباً ، ومما قاله : « يا معشر خزاعة ! ارفعو أيديكم عن القتل فقد كثر إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينّه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين : إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله (اي ديته) » .

ثم ودى بعد ذلك الرجل الذي قتلت خزاعة .

بل إن الرسول لم يقتل رجلاً من المشركين اراد اغتياله شخصياً وهو يطوف في البيت ، بل تلطف معه ، فقد اقترب منه فضالة بن عمير يريد أن يجد له فرصة ليقتله ، فنظر اليه النبي نظرة عرف به طويته ، فاستدعاه وسأله : « ماذا كنت تحدّث به نفسك ؟ » قال : لا شيء ! كنت اذكر الله » . فضحك النبي وتلطف معه ووضع يده على صدره ، فانصرف الرجل وهو يقول : « ما رفع يده عن صدري ، حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه » .

لقد كان الرسول يستهدف من حرصه على السلم تأليف القلوب وتوحيد كلمتها لتقبل على الإسلام ، فلم يكن من السهل على قريش أن تقبل بمصيرها الذي آلت اليه وهي سيدة العرب غير منازع ، لأنها أعظمهم حضارة وأشدهم بأساً واكثرهم مالاً وفي بلدها البيت الحرام .

ليس من السهل ان ترضى قريش بمصيرها هذا وتقبل على الإسلام طـائعة وتحمل رايات الجهاد ، لو لم تعامل هذه المعـاملة السلمية التي لم تكن تتوقعها ، وبذلك انقلب موقفها من اشد الناس عداوة للإسلام الى احرص الناس على رفع راية الإسلام .

زد على ذلك ان (السلام) في الإسلام دين ، امر الله به في محكم كتابه : وان جنحوا للسلم فاجنح لها ...

٧ - الوفاء

التاريخ العسكري طافح بأعمال الظلم والانتقام التي قام بهـا المنتصرون ، ويندر أن نجد في التاريخ كله وفـاء يشابه وفاء الرسول ، بل لا نجد مثيلاً في التاريخ كله لهذا الوفاء .

رأى الانصار دخول الرسول الى بلده الحبيب بعد فراق طال أمده، وشاهدوا التفاف قومه واهله حوله ، فقال بعضهم لبعض : أترون رسول الله ﷺ اذ فتح الله عليه ارضه وبلده ، يقيم بها ولكن محمداً ما لبث ان سألهم : ما قالوا ؟ فلما أباحوا له بما يخالج نفوسهم بعد تردّد ، قال : « معاذ الله . المحيا محياكم والممات مماتكم » وقد كان من حقه أن يستقر بمكة وفيها اهله وقومه ، وفيها بيت الله الحرام ، ولكن وفاءه أبى عليه ان ينسى اصدقاء الشدة في وقت الرخاء .

رأى علي بن ابي طالب مفتاح الكعبة بيد الرسول ، فقال له : « يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية . »

قال الرسول : « اين عثمان بن طلحة ؟ » فلما جـاء عثمان قال له : « يا ابن طلحة ، هاك مفتاحك ، اليوم يوم بر ووفاء » ...

اما وفاؤه بعهوده وحرصه الشديد على التمسك بها ، فحديث معاد .

تلك امثلة من وفاء الرسول ، حتى قال اعداؤه عنه قبل اصدقائه : « انه أوصل الناس واحلمهم واكرمهم وأوفاهم » .

٨ - التواضع

السيطرة على الأعصاب في حالتي النصر والفشل من أصعب الامور التي يجب أن تتوفر في القائد الممتاز .

وربما تكون السيطرة على الأعصاب في حالة الهزيمة أسهل من السيطرة عليها في حالة النصر ، فكم غيّر النصر من اخـــلاق القادة وجعلها تنقلب من حـــال الى حال .

ولكن نصر المسلمين يوم الفتح جعل الرسول يتواضع لله ، حتى رآه المسلمون يوم ذاك ورأسه قد انحنى على رحله ، وبدا عليه التواضع الجم ، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته خشوعاً . وتوفرت في عينيه الدموع تواضعاً وشكراً لله .

ان قيمة هذا التواضع في موقف يعد اكبر نصر للمسلمين ، تتضاعف قيمته في النفس اذا قارناه بمواقف العظمة والجبروت التي ابداها مختلف القادة في مختلف الظروف ، عندما حازوا على نصر أقل قيمة من فتح مكة بكثير .

إن تواضع الرسول درس عملي لكل قائد منتصر ، ومـا اصعب الظهور بهذا المظهر ساعة النصر !

٩ - العقيدة

رأيت كيف طوت أم حبيبة زوج الرسول فراش النبي عن والدهـــا أبي سفيان ، وقد جاءها من سفر قاصد بعد غيـــاب طويل ؛ ذلك لأنها رغبت عن مشرك نجس ولو كان هذا المشرك أباها الغريب .

وعندما جـــاء ابو سفيان مع العباس عم النبي ليواجه الرسول ، رآه عمر بن الخطاب ، فترك خيمته واشتدّ نحو خيمة الرسول ، فلما وصلها قال : « يا رسول الله ، دعني أضرب عنقه » .

قال العباس : « يا رسول الله ، اني قد اجرته » فلما أكثر عمر قال العباس : « مهلاً يا عمر ، ما تصنع هذا إلا أنه من بني عبد مناف ، ولو كان من بني عدي

ما قلت هذه المقالة ». قال عمر : « مهــلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب لي من إسلام الخطاب لو أسلم ».

هذا صحيح ، فقد كان عمر يمثّل عقيدة المسلمين الأولين الراسخة ، بينما كان العباس حديث عهد بالاسلام .

وكيف تبرر إقدام المهاجرين على الاشتراك في غزوة الفتح ، تلك الغزوة التي لم يكن من المستبعد ان تصطرع فيها قوات المسلمين وقوات قريش قوم المهاجرين وأهلهم في بلدهم الحبيب .

انّ عقيدة المسلمين لا تخضع للمصلحة الشخصية ، بل هي رهن المصلحة العامة وحدها .

١٠ ـ تحطيم الاصنام

تحطيم الاصنام في مكة يوم الفتح ، قضى على عقيدة الاشراك في أقوى معقل من معاقلها في البلاد العربية كلها .

ان تحطيم الأصنام ، وهي التي كان يعبدها المشركون ويقرّبون القرابين اليها دون ان تذود عن نفسها أو تصيب من حطمها بأذى كما كان يعتقد المشركون بها نزع من نفوسهم آخر اعتقاد في قدسية هذه الأصنام وفائدتها .

١١ ـ القضايا الادارية

كان موقف اعاشة المسلمين في غزوة الفتح جيداً . فلم يشكُ منهم أحد من نقص الأرزاق قبل الفتح وبعده ، حتى عادوا الى المدينة .

كما كان موقف النقلية جيداً أيضاً ، فقد كان لدى جيش المسلمين عدد كبير من الإبل والخيل ، افادوا منها في تنقلهم للركوب وحمل أمتعتهم .

اما تسليحهم فكان ممتازاً ، ويكفي أن تسمع وصف الكتيبة الخضراء التي كان فيها النبي ، فقد كان افرادها لا يرى منهم الا الحدق من كثرة الحديد .

لقد تأمّنت كافة القضايا الادارية للسلمين في غزوة الفتح بشكل لم يسبق له مثيل في غزوات الرسول السابقة .

استثمار الفوز

« ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ،
ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن
عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الارض بما
رحبت ، ثمّ ولّيتم مدبرين »

القرآن الكريم

غزوة حنين وحصار الطائف

الموقف العام

١ - المسلمون

كان لفتح مكة اكبر الأثر في توحيد الجزيرة العربية كلها تحت ظل الإسلام ، كما كان له أثر معنوي عميق على المسلمين والمشركين على حد سواء ، فأصبحت الجزيرة العربية قوة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد ، ولم يبق على الشرك الا بعض القبائل كقبيلتي هوازن وثقيف ؛ ومن الواضح ان قضية اسلام هذه القبائل اصبحت قضية وقت ليس الا لانهيار اكبر حصن للشرك : مكة ، ولانهيار اكبر عدو للاسلام : قريش !

٢ - المشركون

سمعت هوازن وثقيف وبعض القبائل الأخرى بفتح مكة ، فقررت ان تقوم بغزو المسلمين قبل ان يقوم المسلمون بغزوهم ، وأخذت تتحشد في منطقة الطائف .

ولكن انتشار الإسلام في تلك القبائل ، جعل الكثيرين من أفرادها ونفوذها يتخلفون عن هذا التحشد ، إذ تخلفت كعب وكلاب أشجع هذه القبائل ، كما تخلفت قبائل أخرى ، كما تخلف رجال من ذوي العقول .

كان التردد ظاهراً على القبائل المحتشدة ، وكان الاختلاف واضحاً بينها ، ولم تكن معنوياتها عالية .

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون

إثنا عشر ألفاً بين راكب وراجل بقيادة الرسول : ألفـــان من اهل مكة وعشرة آلاف من المسلمين الذين حضروا الفتح .

٢ ـ المشركون

قبيلة هوازن عدا كعب وكلاب ومعظم قبيلة ثقيف بقيـادة مالك بن عوف من هوازن .

أهداف الطرفين

١ ـ المسلمون

ضرب القبائل المحتشدة قبل ان يستفحل أمرها وتهدّد مكة نفسها بالسقوط في أيديها .

٢ ـ المشركون

القضاء على قوات المسلمين وأخذ المبادأة منهم .

قبل المعركة

سمع الرسول بأخبار تحشّد هوازن وثقيف لمهاجمة المسلمين ، فأرسل عبد الله الأسلمي وأمره أن يذهب الى منطقة تحشّد المشركين للتأكد من صحة تلك الأخبار .

وعاد عبدالله الأسلمي من واجبه ليخبر المسلمين بأن قبائل هوازن وثقيف قد أنجزت تحشّدها في منطقة وادي أوطـاس وأنها تنوي مهاجمــة المسلمين . قرّر

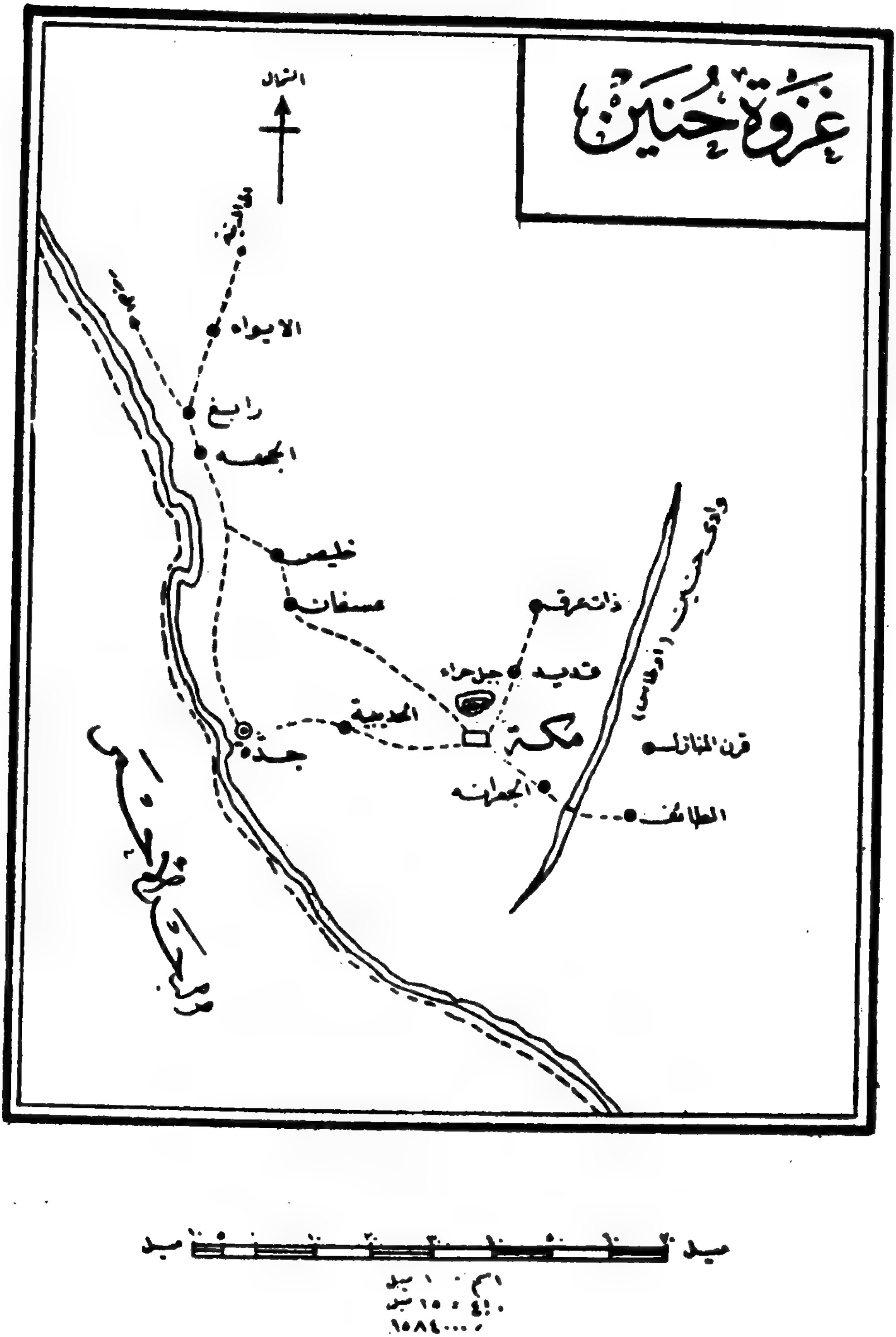
غزوة حنين
الشمال
الابواء
رابغ
الجحفة
خليص
عسفان
ذات عرق
قديد
جبل حراء
مكة
الحديبية
جدة
الجعرانة
قرن المنازل
الطائف
البحر الأحمر
ميل
ميل

الرسول مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين ، وبدأ بانجاز الاستحضارات الضرورية للحركة .

وبلغ الرسول أن عند صفوان بن أمية دروعاً وسلاحاً فاستعارها من صفوان ليكمل بها تسليح قواته ، وكان عددها مائة درع مع أسلحتها؛ ولما أنجز المسلمون استحضاراتهم تحرّكوا باتجاه حنين ، وكانت المقدمة مؤلفة من سليم بقيادة خالد ابن الوليد وأمامها القطعات الراكبة من الفرسان، وكان القسم الأكبر مؤلفاً من القبائل الأخرى ، وأمام كل قبيلة رايتها ، وكانت الكتيبة الخضراء المؤلفة من المهاجرين والأنصار في مؤخرة القسم الاكبر ومعها الرسول .

وصل جيش المسلمين فجراً الى وادي حنين ، ذلك الجيش الذي قال المسلمون عنه : لن نغلب اليوم من قلة .

٢ – المشركون

تحشّدت هوازن وثقيف في وادي حنين ومعهم نساؤهم وأطفالهم وأموالهم ، وقد أراد مالك بن عوف قائدهم أن تكون الذراري والأموال مع المقاتلين، حتى يشعر كل رجل منهم وهو يقاتل ان حرمته وثروته وراءه فلا يفرّ عنها .

وقد اعترض دريد بن الصمة وهو فارس مجرب قائلاً لمالك : « هل يردّ المنهزم شيء ؟ ان كانت الدائرة لك لم ينفعك الا رجل برمحه وسيفه ، وان كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك » . فكان جواب مالك : « والله لا أفعل ذلك ، انك قد كبرت وكبر علمك ، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري » ...

اضطرت هوازن الى الأخذ برأي مالك ، وكان شاباً في الثلاثين من عمره قوي الإرادة ماضي العزيمة شجاعاً ، ولكنه سقيم الرأي متهوّر سيء المشورة .

كانت خطة مالك تتلخص باحتلال فم وادي حنين ومضيق الوادي ، فاذا دخلت قوات المسلمين في الوادي ، باغتهم المشركون بالرمي عليهم بالنبال من كل جانب لتحطيم صفوفهم ثم القيام بالهجوم لإجبارهم على الانسحاب .

واكمل المشركون احتلال دضاب الوادي ومضايقه قبل دخول المسلمين اليه، وكمنوا في مواضعهم المستورة انتظاراً لجيش المسلمين .

القتـال

١ - هجوم المشركين

دخلت قوات المسلمين وادي حنين فجراً ، وكان وادياً أجوف منحدراً ينحط فيه الركبان كلما أوغلوا ، كأنهم يسيرون إلى هاوية ، فلما استقرت اكثر قوات المسلمين في الوادي ، رماهم المشركون بوابل من سهامهم ، فلم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمي ، لأن الظلام كان سائداً وقتذاك ، ولأن مواضـع المشركين كانت مخفية تماماً ، فانسحبت مقدمـة المسلمين وجرفت امامهـا قوات المسلمين الأخرى ، فانقلب انسحاب المسلمين الى هزيمة . ورأى أبو سفيان هزيمة المسلمين فقال : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » ، وقال آخرون ممن أسلموا حديثاً مثل قوله ، بل ان شيبة بن عثمان بن طلحة الذي قتل أبـوه في غزوة أحد ، حـاول اغتيال الرسول في هذا الموقف العصيب ، ليدرك ثأر أبيـه من محمد . وترك المشركون مواضعهم للقيام بالمطاردة بعد انسحاب المسلمين، وكان يتقدّم هوازن رجل على جمل له احمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل ، وهو كلما ادرك المسلمين طعن برمحـه ، وهوازن وثقيف منحدرون وراءه يطعنون . وانتشر الفزع بين المسلمين ، وازدحمت المسالك بالسابلة، وارتبكت الصفوف واختلطت القبائل ببعضها ، وركبت الإبل بعضها بعضاً وهي مولية بأصحابها ، وتعقّدت الأمور ...

٢ - هجوم المسلمين المقابل

ثبت الرسول في مكانه ، وثبت معه عشرة من أهل بيته ومن المهـاجرين ، بينهم عمه العباس ، وأخذ الرسول ينادي الناس إذ يمرّون به منهزمين : « أين أيها الناس ؟ أين ... هلمّوا اليّ . أنا رسول الله . أنا محمد بن عبدالله » . فلا يردّ عليه أحد ! !

عند ذاك أمر الرسول عمه العباس ـ وكان جهير الصوت ـ أن ينـادي : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ...

وكرّر العباس النداء ، حتى تجاوبت اصداؤه في جنبـات الوادي . وسمع النداء المهاجرون والأنصار . فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت ، فرمى اكثرهم درعه وترك بعيره واستصحب معـه سيفه وترسه فقط ، ليبلـغ مصدر الصوت بسرعة .

اجتمع حول الرسول نحو مائة مسلم وهم يصيحون: لبيك ، فاستقبل الرسول بهم المشركين ، وصمدوا في مواضعهم حتى فتر هجوم المشركين ، وكان النهار قد طلع والمشركون قد تركوا مواضعهم ، فلا يحتاج المسلمون إلا الى الصمود لإيقاع بعض الخسائر بالمشركين ، لكي تتزعزع معنوياتهم وينسحبوا من الميدان.

ولولا صمود هذا العدد القليـل من المسلمين ومشاغلتهم المشركين ، لكانت خسائر المسلمين في تلك المعركة كبيرة جداً .

وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد ، وهناك بدأوا الهجوم المقـابل على المشركين ؛ وعندما رأت هوازن وثقيف أن المقاومة لا تجديهم نفعاً ، وأنهم لا يستطيعون صد هجوم المسلمين ، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين . ولم يكن للمشركين ساقة لحماية الانسحاب ، فانقلب انسحابهم الى هزيمة .

٣ ـ المطاردة

انسحبت اكثر ثقيف باتجاه الطائف ، وكان معهم مالك بن عوف ، وانسحبت هوازن والقبائل الاخرى باتجاه أوطاس ونخلة .

وقام المسلمون بالمطاردة، وأعلن النبي ان من قتل مشركاً فله سلبه ، ووصلت مطاردة المسلمين الى أوطاس ، فأوقعوا بهوازن هناك خسائر فادحة بالارواح ، كما وصلوا الى نخلة فأوقعوا بالمنسحبين الى هناك خسائر فادحة أيضاً ، كما استسلم كثير من المشركين اسرى ، وعـاد حديثو العهد بالإسلام من هزيمتهم ليروا الكثيرين من المشركين أسرى مصفّدين بالأغلال .

حصار الطائف

وصل بعض المسلمين بمطاردتهم الى الطـــائف ، التي التجـــأ المنهزمون من المشركين اليها ، وكانت مدينة محصّنة ذات أسوار وحصون قويّـة ولها ابواب تغلق عليها .

وتجمعت ارتال المسلمين التي طاردت المنسحبين الى اوطـــاس ونخله - بعد إنجاز واجباتها - برتل المسلمين الذي طارد ثقيفاً باتجاه الطائف ، لإجبار ثقيف على الاستسلام .

إلا ان ثقيفاً سدّدت نبالها على المسلمين الذين كانوا قريبين من الحصون ، فأوقعوا فيهم بعض الخسائر ، فقرّر الرسول الانسحاب بعيداً عن مرمى النبل ، واستقر المسلمون هناك وفكـّر المسلمون في وسيلة يستطيعون بها اجبار الطائف على الاستسلام ، فأشار سلمان الفارسي بقذف حصونها بالمنجنيق وبمهاجمة تلك الحصون بالدبابات ...

رمى المسلمون الطـــائف بالمنجنيق وتقرب بعضهم بحماية الدبابات الى سور الطـــائف ليخرقوه ،ولكن أهل الطائف استطاعوا احباط هذا الهجوم،إذاحموا قطعاً من الحديد بالنار ، حتى اذا انصهرت القوها على الدبابات الخشبية فحرقتها ؛ فانسحب المسلمون المحتمون بها من تحتها لئلا يحترقوا ، فرمتهم ثقيف بالنبل بعد انكشافهم من حماية الدبابات .

اعلن الرسول انه سيعتق كل عبد يأتيه من الطائف ، ففر اليه حوالي عشرين من اهلها ، فعرف منهم ان المواد الغذائية كثيرة جداً لدى ثقيف ، لذلك آثر ان يرفع الحصار بعد ان استمر حوالي شهر واحد ، تاركاً امر استسلام ثقيف الى الزمن ، خاصة وان الكثيرين من رجالها اعتنقوا الاسلام ...

خسائر الطرفين

١ - المسلمون

كانت خسائرهم كبيرة جداً بالارواح عند انهزامهم .

٢ ـ المشركون

كانت خسائر المشركين بالارواح كبيرة جداً ، امـــا خسائرهم بالاموال فكانت :

اربعة وعشرين الف بعير .
اربعين الف شاة .
اربعة آلاف اوقية من الفضة .
ستة آلاف نسمة من السبي .

أسباب ترك الحصار

يمكن اجمال اسباب ترك المسلمين حصار الطائف بما يلي :

١ ـ قوة حصون الطائف وشجاعة بني ثقيف وتكديس المواد الغذائيـة فيها كل ذلك جعل استسلامها للمسلمين صعباً يحتاج الى مدة طويلة .

٢ ـ ا صبحت الفترة بين ترك المسلمين المدينة في رمضان حتى حصار الطائف والبقاء هناك حوالي شهر واحد ، أصبحت الفترة حوالي شهرين تقريبـــاً ، وهذه المدة ليست قليلة بالنسبة للمسلمين الذين دخلوا الاسلام حديثاً ، مما جعل بعضهم يرغب في سرعة الرجوع ، كما ان الوقت ثمين بالنسبة للرسول لتوطيد دعـــائم الإسلام .

٣ ـ قرب حلول الشهر الحرام (ذي القعدة) .

٤ ـ انتشار الاسلام في ثقيف مما جعل دخول ثقيف كلها في الإسلام أكيداً لا يحتاج إلا الى الوقت .

وقد تنظمت مقاومة المسلمين ضد ثقيف بعد اسلام مـالك بن عوف ، حيث استعمله الرسول على من أسلم من قومه ، فـكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم الخناق ، فالتجأوا الى الرسول وأسلموا ...

الغنـــائم

١ ـ التكديس

بعد انتهاء معركة حنين ، كدّس الرسول كافة الغنائم في موضع الجعرانه ، حتى يتفرغ للمطاردة وحصار الطائف ، ثم يعود بعد ذلك الى توزيعها .

٢ ـ التوزيع

بقيت الغنائم غير موزعة مدة طويلة ، لأن الرسول كان ينتظر قدوم وفد من هوازن اليه تائبين ، ولكنه اضطر الى تقسيم الغنائم بعد ان بلغ انتظاره لهوازن حوالي شهر واحد ، دون أن يحضر اليه أحد ، خاصـــة وأن الاعراب وحديثي الاسلام أخذوا يلحّون على الرسول طالبين تقسيم الغنائم .

وشرع بتقسيم الغنائم ، وبدأ بالمؤلفة قلوبهم ، فأعطاهم أوفى العطاء وأجزله

أخذ أبو سفيان مائة من الإبل واربعين اوقية من الفضة ، فقـــال : وابني معاوية ؟ فمنح مثلها لمعاوية . . فقال : وابني يزيد ؟ فمنح مثلها لابنه يزيد . وأقبل رؤساء القبائل واصحاب الطمع يتسابقون الى ما يمكن أخذه ، وشاع أن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وأوجس النـــاس خيفة إن أفشى محمـد هذه الأعطيات لمن يفدون عليه أن تنقص حصتهم من الغنائم ، فـألحوا في أن يأخذ كل فيئه ، وأكب عليه الأعراب يقولون : يا رسول الله ، إقسم علينا فيئنا ، فقام الرسول الى جنب بعير . فأخذ من سنامه وبرة ، فجعلها بين اصبعيه ، ثم رفعها ، فقال : « أيها الناس . مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة . إلا الخمس والخمس مردود عليكم » .

وقد كان نصيب المؤلفة قلوبهم من هذه الغنائم أوفى نصيب ، اما المسلمون الأولون من المهاجرين والانصار ، فقد كان نصيبهم لا يذكر ...

٣ ـ اعادة السبي

بعد توزيع الغنائم أقبل وفد هوزان مسلماً ، وسألوا رسول الله أن يردّ

عليهم سبيهم وأموالهم ، فخيرهم الرسول بين أبنائهم ونسائهم وبين أمـــوالهم ، فاختاروا ابناءهم ونساءهم ، فقال الرسول : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، واذا ما صلّيت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنّا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ». نفـّذت ذلك هوازن ؛ فأجابهم الرسول : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ». قال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله» وكذلك قال الأنصار .

ولكن الأقرع بن أبي حابس عن تميم وعيينة بن حصن عن فزاره، فقد رفضا، كما رفض عباس بن مرداس ، هنالك قال النبي : « أما من تمسّك منكم بحقه من السبي فله بكل انسان ستة فرائض من أول سبي أصيبه» . وهكذا ردّ المسلمون كافة السبايا الى هوازن .

دروس من حنين والطائف

١ ـ المباغتة

آ ـ استخدم الرسول في حصـــار الطائف المنجنيق والدبـــابة ، وبذلك استفاد من سلاح جديد في القتال . فما هو المنجنيق ، وما هي الدبابة ؟

يتألف المنجنيق بصورة عامة من عامود طويل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة ، يمر بها حبل متين ، في طرفه الاعلى شبكة في هيئة كيس . توضع حجارة او مواد محترقة في الشبكة ، ثم تحرك بواسطـــة العامود والحبل (راجع شكل المنجنيق) ، فيندفع مـــا وضع في الشبكة من القذائف ويسقط على الاسوار ، فيقتل أو يحرق ما يسقط عليه .

أما الدبابة ، فعبارة عن آلة من الخشب الثخين المغلـّف بالجلود او اللبود ، تركـّب على عجلات مستديرة ، فهي عبارة عن قلعة متحركة يستطيـــع المشاة الاحتماء بها من نبال الأعداء .

هذان السلاحان الجديدان باغت بهما الرسول أعداءه في الطائف ، ولكن

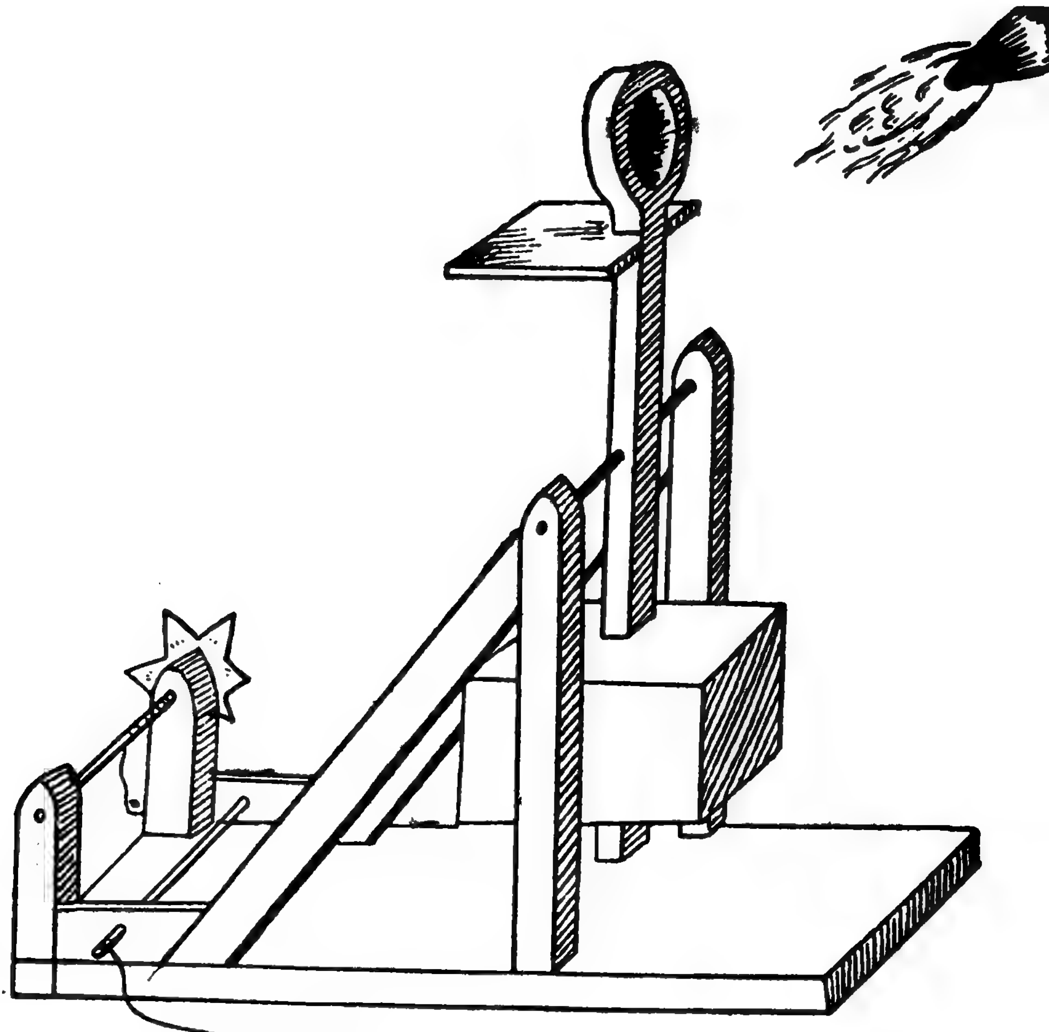

منجنيق لرمي النفط

اهل الطائف استطاعوا ان يحرموا المسلمين من هذين السلاحين ، وذلك بأسلوب قذف الحديد المصهور على خشب الدبابات ، فـــاحترقت تلك الأخشاب واضطر المحتمون بها الى الفرار ، فأصبحوا بعد انكشافهم هدفاً مناسباً لرميهم بالسهام ، وبذلك أحبطت ثقيف محاولة المسلمين للإفادة من استعمال المنجنيق والدبـــابة استعمالاً مفيداً حاسماً .

ب - ان اسلوب احتـــلال ثقيف وهوازن لوادي حنين بشكل مخفي مستفيدين من الاراضي المستورة ، أدّى إلى مباغتتهم للمسلمين مباغتة كاملة .

ولولا صمود الرسول مع بعض أصحابه ، لاستطاع المشركون استثمار هذه المباغتة الممتازة الى أقصى الحدود .

٢ - القيادة

أي كارثة كانت تحل بالمسلمين بعد هزيمتهم في اول معركة حنين، لو لم يكن الرسول قائدهم وقت ذاك ؟

لقد كان موقف المسلمين في هزيمتهم عصيباً للغاية : باغتهم العدو من مواضع مستورة في عماية الفجر ، وانهالت عليهم النبال من كل جـانب ، فلما ارتدوا على ادبارهم طاردهم العدو في ميدان ضيق لا يتسع للتبعثر الذي يقلل من الخسائر

في مثل هذا الموقف العصيب ، ثبت الرسول مع عشرة من أصحابه - عشرة فقط ، واستطاع ان يجمع مائة من المسلمين ، ثم يحمي بهم انهزام المسلمين من مطاردة المشركين، ثم يقوم بالهجوم المقابل بعد فتور زخم هجوم المشركين، فلم يعد المنهزمون الا بعد فرار المشركين ، فوجدوا اسرى المشركين بالاغلال .

لم يكن موقف المسلمين حين انهزامهم سهلاً، خاصة وان حديثي الاسلام كانوا اول المنهزمين ، بل المشجعين على الانهزام .

ولم يكن الرسول ينافح المشركين في موقفه هذا وحسب ، بل كان يكافح كثيراً من أعدائه المتظاهرين بالاسلام، وقد رأيت كيف حاول أحدهم اغتياله في عنفوان هذا الموقف العصيب .

ان نتيجة معركة حنين ، مثال رائع لاثر القائد الشخصي ، بل نستطيع أن نقول : ان نتيجة معركة حنين قد كسبها الرسول وحده .

اما قائد المشركين ، فعلى الرغم من شجاعته التي بلغت حد التهوّر ، الا أنه لم يكن قائداً بالمعنى الصحيح ، فلم يكن لاستصحاب الاموال والذراري مع المقاتلين أي معنى ، ولم يفكر بخطة غير خطة احتلال وادي حنين، اما بعد ذلك فقد ارتبك كل شيء في صفوف المشركين، لانه لم يكن لديهم اية خطة للدفاع او للانسحاب ، حتى ان قائد المشركين لم يستطع تأمين ساقة لقواته تحمي انسحابها مما اوقع بقواته خسائر فادحة بالارواح .

٣ ـ المطاردة

آ ـ قام المشركون بمطـاردة المسلمين بعد انهزامهم في الصفحة الأولى من غزوة حنين ، ولكن الصامدين من المسـلمين وعلى رأسهم النبي ، استطاعوا تحديد زخم مطاردة المشركين كما استطاعوا حماية انسحاب المسلمين بدون تدخل المشركين فيه ، فكان اول واجب الذين ثبتوا من المسلمين هو قيـامهم بواجب الساقة لحماية الانسحاب ،وقد نجحت تلك الساقة نجاحاً ممتازاً ، اذ لولاها لكانت خسائر المسلمين كثيرة جداً خاصة وان انسحابهم يجري في منطقة ضيقة لا تساعد على التبعثر الذي يقلّل من الخسائر .

ب ـ لم يؤمن المشركون ساقة لحماية قواتهم عندما تجمعت بعض قوات المسلمين وقامت عليهم بالهجوم المقـابل الذي انهزم على اثره المشركون ، لذلك استطاع المسلمون ايقاع الخسائر الفادحة بالمشركين، كما استطاعوا جعل انسحابهم ينقلب الى هزيمة .

ج ـ وقد قام المسلمون بمطاردة مثالية استطاعوا بها القضاء على المشركين المتجهين الى اوطـاس ونخلة ، بينما حمت اسوار وحصون الطائف رتل المشركين الثالث الذي اتجه الى الطائف ، وعند ذاك بدأ حصار الطائف بعد تجمّع أرتال المسلمين هناك ...

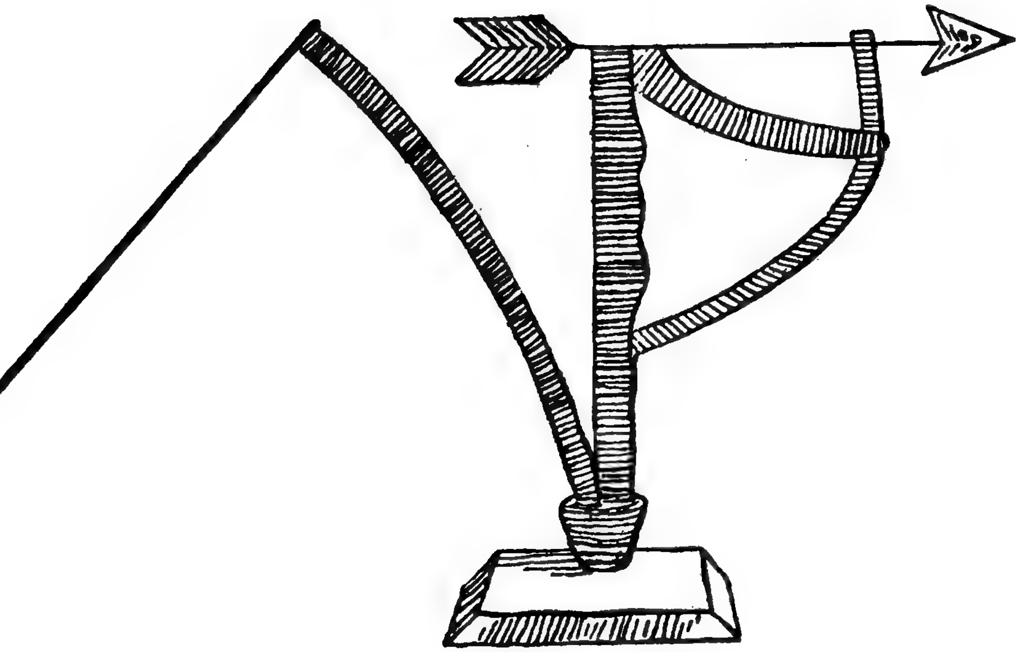

منجنيق لرَمي السهام الثقيلة

٤ ـ المعلومات

آ ـ أرسل المسلمون قبل حركتهم من مكة باتجاه حنين أحد رجالهم ليعرف حقيقة تحشّد هوازن وثقيف ومواضع تحشّدها وقوتها ونواياها ، فعاد الرجل بالمعلومات الكاملة .

كما أرسل المشركون دوريات استطلاع لمعرفة اتجاه حركة المسلمين والمواضع التي وصلوها وقوتهم ، وقد كانت فائدة هذه الدوريات للمشركين كبيرة جداً ، لأنهم أنجزوا احتلال وادي حنين بشكل ممتاز قبل وصول المسلمين اليهم ، وباغتوا أرتال المسلمين حين دخولهم فيه ، ولولا دوريات استطلاعهم لما استطاعوا معرفة المواضع التي وصلها المسلمون ، فبنوا خطتهم بالنسبة للمعلومات الصحيحة لكي يباغتوا المسلمين . لقد كان عمل دوريات استطلاع المشركين ممتازاً .

ب ـ إنّ واجب المقدمة المهم هو حماية القسم الأكبر والحصول على المعلومات عن العدو حتى لا تباغت قوات القسم الاكبر .

ولم تنجز مقدمة المسلمين هذا الواجب ابداً ، فهي لم تستطع معرفة مواضع المشركين التي احتلوها في وادي حنين ، واندفعت المقدمة الى الأمام بسرعة على غير هدى وبصيرة ، واندفعت قوات المسلمين وراء تلك المقدمة لاعتقادها أن اندفاعها هذا امين وغير خطير . اذ لو كان هناك خطر لما اندفعت المقدمة أو لاستطاعت القضاء عليه .

ان من أهم اسباب هزيمة المسلمين في الصفحة الاولى من معركة حنين ، هو عدم قيام مقدمتهم بواجبها ، فلم تحصل على المعلومات عن مواضع العدو ، ولم تمنع مباغتة العدو للقسم الاكبر .

وبذلك فشلت مقدمة المسلمين يوم حنين في واجبها فشلاً ذريعاً ، على الرغم من أنها كانت بقيادة خالد بن الوليد .

٥ ـ المعنويات

آ ـ كانت معنويات المشركين ضعيفة من أول يوم بدأوا فيه بالتحشد ،

فقد تخلّفت أقوى وأشجع قبائلهم، كما تخلّف أكثر رجالهم الممتازين بالعقول والاحلام . وقد اضطر مالك بن عوف قائد المشركين أن يستصحب النساء والاطفال والاموال مع المقاتلين حتى لا يفرّ احد من القتال، بل يكافح دفاعاً عن عرضه وأمواله إذا لم يدافع عن غرض آخر .

وظهر التردد في نفوس القبائل المحتشدة للقتال، فاضطر مالك ان يهدّد قواته بأن ينفّذوا أوامره ويطيعوه أو يلجأ الى الانتحار .

ب ـ أما معنويات المسلمين فقد كانت عالية الى درجة الغرور، حتى قالوا يوم حركتهم الى حنين : لن نغلب اليوم من قلّة، لكنهم غلبوا من كثرة مغرورة في الصفحة الاولى من يوم حنين، ولولا ثبات الرسول لقضي على معظم المسلمين يوم ذاك إن لم يقض عليهم جميعاً .

٦ ـ العقيدة

آ ـ العقيدة القويّة لها أكبر الاثر في النصر، فهي توّحد شعور الناس وتجعلهم يتعاطفون ويقاتلون لهدف معيّن معروف، وقد انتصر المسلمون بعقيدتهم في كل معركة خاضوها، تلك العقيدة التي جعلتهم يبذلون أرواحهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله ...

بعد فتح مكة أسلم كثير من رجال قريش، فلما تحرك جيش المسلمين باتجاه حنين، رافقه حوالي الفين من هؤلاء المسلمين الحديثي الايمان الذين لم يعرفوا من الاسلام الا اسمه، اذ لم يمض على اسلامهم وقت كاف لتفهّم تعاليم الاسلام .

رأى حديثو الاسلام في طريقهم مع جيش المسلمين نحو حنين شجرة عظيمة خضراء، فتنادوا من جنبات الطريق : يا رسول الله، إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .

وذات أنواط شجرة ضخمة يأتونها في الجاهلية كل سنة للتبرك بها فيعلّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً، ولم يفقه هؤلاء أن جهاد الرسول كله لغرض واحد : هو القضاء على الشرك وإعلاء كلمة التوحيد .

بل كان بعض هؤلاء يحملون أزلامهم معهم كما فعل أبو سفيان .

لذلك فقد سرّهم انهزام المسلمين ، بل أظهروا شماتتهم وشجعوا عليه .

ب - إن أسباب هزيمة المسلمين في الصفحة الاولى من يوم حنــين ، هو وجود هؤلاء المسلمين من قريش الذين لم تطمئن قلوبهم للاسلام بعد ، فانهزموا أول المنهزمين وأشاعوا الذعر في النفوس وأثّروا على المعنويات .

وليس هنـــاك في الحرب أصعب من السيطرة على الانسحاب ، فعندمـــا تنسحب قطعة من القطعات وتراها القوات الاخرى ، فان القوات كلها تنسحب معقبة تلك القطعـــة المنسحبة بدون تفكير ولا شعور . هذا مـــا حصل أول يوم حنين .

ج - إن انتصار المسلمين لم يكن لكثرتهم في أي معركة خاضوها ، بل كان انتصارهم لعقيدتهم الراسخة ، واكبر درس يمكننـــا استنتاجه من معركة حنين ، هو فشل المسلمين على كثرتهم في مستهل المعركة لوجـــود بعض ذوي العقائد الواهنة بين صفوفهم ، بالاضـــافة الى الاسباب الاخرى امـــا انتصار المسلمين في حنين بعد ذلك فكان بثبات ذوي العقـــائد الراسخة وقيـــامهم بالهجوم المقابل ، فانتصروا على الرغم من قلتهم ، فقد كانوا مائة رجل كما ذكرت بعض المصادر ولا يتجاوزون المئـــات كما نصت عليه بعض المصـــادر الاخرى ..

ان معارك المسلمين مع المشركين كانت معارك عقائد لا معارك عدد وتسليح .

د - ولم يكن المشركين أي عقيدة واضحة يضحون في سبيلها بأرواحهم عن طيبة خاطر ، فاضطروا الى استصحاب أهليهم وأموالهم معهم ، حتى يدافعوا عنها عندما يعجزهم الدفاع عن شيء آخر .

لقد رأيت ثبات الرسول في أخطر موقف عصيب ، ولكن مالك بن عوف قـــائد المشركين آثر الفرار مع اول المنهزمين . وقصد الطائف وبقي محصوراً هناك ، فلما جاء وفد هوازن الى النبي ، سألهم عن مالك ، فلما علم أنه ما زال في

الطائف مع ثقيف طلب اليهم أن يبلغوه : أنه إن اتاه مسلماً ردّ عليه ماله وأهله واعطاه مائة من الإبل .

حينذاك لم يتردّد مالك حين علم بهذا الوعد ، أن أسرج فرسه في سر من ثقيف وفر به الى الرسول فأعلن إسلامه وأخذ ماله واهله ومائة من الإبل !..

٧ - حرب الفروسية

مرّ الرسول في طريقه بامرأة قتيل ، فقال من قتلها ؟ قالوا : قتلها خالد بن الوليد . فقال لبعض من معه : أدرك خالداً فقل له ، إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة او وليداً غسيفاً (العسيف هو الأجير) . لم يكن قتل المرأة المشركة عمداً ، بل كان خطأً في اثناء انهزام المشركين وقيام المسلمين بمطاردتهم ، وفي مثل هذا الموقف تقع كثير من الاخطاء العسكرية ، لان الحالة النفسية المنهزمين وللقائمين بالمطاردة تكون غير طبيعية ، لذلك حدث مثل هذا الخطأ ، في قتل امرأة واحدة ، ومع ذلك فقد أراد الرسول ان يؤكد اوامره السابقة في اجتناب قتل الضعفاء .

إن حرب المسلمين حرب فروسية ، تطلب النصر بوسائل شريفة ، وتعف عن الظلم والعدوان .

٨ - القضايا الادارية

آ- توزيع الغنائم

أولاً - سيطر العامل النفسي بالدرجة الاولى على توزيع الغنائم ، فقد اراد الرسول ان يستميل قلوب رجالات قريش الذين اسلموا حديثاً ولما يدخل الايمان في قلوبهم ، كما اراد أن يستميل زعماء القبائل الاخرى ، لان كثيراً من الناس يقادون الى الحق من بطونهم لا من عقولهم .

وقد أغدق الرسول العطاء على هؤلاء ، حتى أصبح محمد أحب الناس اليهم واصبح الاسلام دينهم الوحيد . اما المسلمون الاولون ، فقد رأى الرسول ان

يحرمهم من الغنائم ، لان إيمانهم أقوى من أن تؤثر عليه الماديات ؟ فلما عتب عليه بعض المسلمين الاولين اجابهم : إنني اعطي قوماً اخافهم هلعهم وجزعهم ، وأكل قوماً الى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن ثعلب . قال عمرو : ماأحب أن لي بكلمة رسول الله حمر النعم .

كان الانصار ممن وقعت عليهم مغـــارم هذه السياسة ، فقد حرموا جميعاً اعطيات حنين ، فلم يمنحوا شيئاً منهـــا قط فقال قائلهم : لقى والله رسول الله قومه . فمشى سعد بن عبادة الى الرسول فقال : يا رسول الله. ان هذا الحي من الانصار وجدوا عليك في انفسهم !

قال الرسول : فيمَ ؟ قال سعد : فيما كان من قسمة هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء .

قـــال الرسول : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ ... قال : ما انا الا امرؤ من قومي .

قال الرسول : اجمع لي قومك في هذه الحظيرة(١) ، فاذا اجتمعوا فأعلمني . فخرج سعد ، فجمعهم حتى اذا لم يبق من الانصار احد الا اجتمع له ، قال : يا رسول الله . اجتمع لك هذا الحي من الانصار حيث امرتني ان اجمعهم .

وقف الرسول فيهم خطيباً : يامعشر الانصار ، ألم آتيكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، فألف الله بين قلوبكم ؟

قالوا : بلى !

قال الرسول : ألا تجيبون يامعشر الأنصار ! قالوا وما نقول يا رسول الله ، وماذا نجيبك ؟؟ ألمن لله ولرسوله .

قال الرسول : والله لو شئتم لقلتم وصدقتكم : جئتنا طريـــداً فآويناك ،

(١) الحظيرة : هي في الأصل مكان يتخذ للابل والغنم يمنعها الانفلات ويمنعهـــا هجمات اللصوص والوحوش .

وعائلًا فآسيناك (١) ، وخائفـــاً فآمّناك ، ومخذولاً فنصرناك ! ، أوجدتم في نفوسكم يامعشر الأنصار في لعاعة (٢) من الدنيا تألفتُ بهـا قوماً اسلموا ، ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام ؟ افلا ترضون يامعشر الأنصار ان يذهب الناس الى رحـالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم ، فوالذي نفسي بيده ، لو ان النـاس سلكوا شعباً(٣) وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار اللهمّ ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار .

بكى القوم حتى بللوا لحاهم بالدموع، وقالوا رضينا الله رباً ، وبرسوله قسماً .

لقد حرصت على ان انقل هذا الحديث كله، كي ابرز بوضوح الحكمة التي ارادها الرسول من توزيع اكثر الغنائم على المؤلفة قلوبهم، ولكي يظهر الاسلوب الرائع الذي كان يعالج به الرسول بعض المشاكل التي تعترضه ، وكيف يستطيع بهذه المعالجة الحكيمة التخلّص من تلك المشاكل بأسلوب مقنع حكيم .

لقد كان كلامه خارجاً عن القلب ، لذلك فهو يؤثر في القلب .

ثانياً ـ وفي اسلوب جمع الغنائم من الناس والسيطرة عليها ووضعها في محل واحد مثال قيّم للسيطرة على الغنائم العسكرية وعدم إفساح المجال لتبعثرها في الايدي دون مبرر .

جمعت الغنائم في موضع (الجعرانه) بين الطائف ومكة بعيداً عن المواضع الخطرة ، وتأمنت حراستها ، وسلم المسلمون كل غنيمة اصابوها الى المسؤول عن جميع الغنائم ، حتى الإبرة والخيط .

---

(١) آسيناك : اعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .
(٢) لعاعة : بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .
(٣) شعب : بكسر فسكون ، الطريق بين جبلين .

جاء رجل من الانصار بكبة من خيوط شعر ، فقال : يارسول الله ، اخذت هذه الكبة اعمل بها برذعة بعير لي دبر . فقال الرسول : اما نصيبي منها فلك . فأعادها الانصاري الى مثابة الغنائم . بل اعاد عقيل بن ابي طالب إبرة كانت معه الى مثابة غنائم المسلمين .

انّ السيطرة على جمع الغنائم ضرورية جداً . وقد نصت التعاليم العسكرية الحديثة على ضرورة السيطرة على جمع الغنائم لئلا تذهب بدداً بين الاجناد ، ولكن لم تصل الدقة بتاتاً في اي وقت الى ما وصلت اليه الدقة والامانة التي وصل اليها المسلمون في جمع غنائمهم .

ب ـ الخسائر

كانت خسائر المسلمين في الارواح كبيرة جداً عند انهزامهم في الصفحة الاولى من معركة حنين ، ولولا ثبات الرسول مع عشرة من اصحابه ، لكانت خسائر المسلمين في الارواح اضعافاً مضاعفة لخسائرهم يومذاك .

وكانت خسائر المشركين بعد هزيمتهم كبيرة جداً ، في الارواح والاموال ، خاصة وانهم لم يؤمّنوا ساقة لحماية هزيمتهم .

والدرس المهم من هذا الموقف هو تأمين ساقة قوية للقطعات المنسحبة لحماية الانسحاب ، والا فسينقلب الانسحاب حتماً الى هزيمة ، وما أعظم كارثة الانسحاب الذي ينقلب الى هزيمة .

ج ـ الاعاشة

كانت تدابير الاعاشة عند المسلمين جيدة ، كما كانت تدابير اعاشة المشركين جيدة ايضاً ، خاصة في حصار الطائف ، فقد كدّست ثقيف مواد الاعاشة داخل الطائف ، بحيث تكفيها لحصار طويل ، لذلك كان من عوامل عودة المسلمين قبل استسلام الطائف ، هو اعتقادهم بأن ثقيفاً لن تستسلم لنقص ارزاقها ،

د النقلية

كانت النقلية متيسرة بكميات كافية لدى المسلمين والمشركين على حد سواء ويكفي ان تطلع على عدد الغنائم من الابل التي خلفها المشركون وراءهم لتعرف مقدار النقلية المتيسرة عند المشركين حينذاك .

هـ ـ التسليح

كان تسليح المسلمين ممتازاً بالدروع والاسلحة الاخرى ، وبرز انا في هذه الغزوة سلاحان جديدان استخدمها المسلمون هما : المنجنيق والدبابة. كما برز لنا اسلوب جديد في مكافحة الدبابة استخدمه المشركون ، هو حرق الدبابة بالحديد المنصهر .

مولد إمبراطورية

« ان العزة لله ولرسوله
وللمؤمنين » .

القرآن الكريم

غـــزوة تـــبوك

الموقف العام

١ ـ المسلمون

سيطر الاسلام بعد فتح مكة وإخضاع هوازن على جزيرة العرب كلها حتى حدود الشام والعراق ، وأصبح المسلمون مسؤولين عن إدارة هذه البلاد وتنظيم حياتها العسكرية والاجتماعية، ولم تبق في البلاد العربية كلهـا قوة تجرؤ على مناهضة المسلمين وإعلانهم بالعداء ؛ ولكن الاسلام ليس دين العرب وحدهم ، بل هو للناس كافة ، فلا بدّ من تأمين حرية نشر تعاليمه بين العرب وغيرهم .

وإذا كان الاسلام قد انتشر في شبه الجزيرة العربية ، فقد آن الأوان لنشره خارجها ، بعد أن أصبح المسلمون بدرجة من القوة والتنظيم تساعدهم على حماية حرية انتشاره بين الناس كافة ...

٢ ـ المنافقون

استمر المنافقون في المدينة على الرغم من قلتهم وتظاهرهم في الإسلام على تثبيط الهمم ونشر الروح الانهزامية وخلق الفتن والمشاكل للمسلمين ، ولكنهم لم يكونوا بدرجة من الأهمية والقوة بحيث يحسب لهم المسلمون أي حساب .

وقد أصبحوا على مر الزمن معروفين لاهل المدينة لا تخفى اعمالهم على احد .

وكان باستطاعة الرسول تطهير المدينة منهم ، لولا رغبته في ان يثوبوا الى رشدهم ولو بعد حين ...

٣ - المشركون

لم يبق للمشركين في شبه الجزيرة العربية اي قيمة عسكرية ، بعد إسلام قريش زعيمة القبائل العربية وعميدة المشركين ، فقد انتشر الاسلام في القبائل العربية انتشاراً ساحقاً . واصبح اسلام المتخلفين من المشركين امراً لا شك فيه .

وفعلاً بدأت وفود المشركين تتسابق الى المدينة لإعلان إسلامها ، واخذ العرب يدخلون في دين الله افواجاً .

لقد اصبح خطر المشركين لا قيمة له من الناحية العسكرية .

٤ - الرومان

كانت احوال الامبراطورية الرومانية مضطربة خاصة في بلاد الشام ، فقد كثر تذمر الناس من ظلم حكام الرومان وإرهاقهم بالضرائب ، لذلك اقبل كثير من القبائل العربية الخاضعة لحكم الرومان على اعتناق الاسلام .

اسلم فروة بن عمرو الجذامي قائد إحدى الفرق الرومانية التي قاتلت المسلمين في غزوة مؤتة ، فقبض عليه بأمر من هرقل بتهمة الخيانة ؛ وكان هرقل على استعداد للافراج عنه اذا هو عاد الى المسيحية ، ولكن فروة اصرّ على اسلامه ، فقتل .

ان انتشار الإسلام بين نصارى العرب اقضّ مضاجع الرومان . وجعلهم يفكرون بالقضاء على الدين الجديد قبل ان يستفحل امره ، فقاموا بتحشيد قواتهم على حدود الشام الجنوبية استعداداً لمهاجمة المسلمين ، واستخدموا الانباط الذين كانوا يتاجرون مع المدينة لنقل المعلومات اليهم عن المسلمين ، تلك المعلومات التي اكدت لهم تزايد قوة المسلمين مادياً ومعنوياً . بحيث اصبحت تلك القوّة خطراً داهماً يهدد الامبراطورية الرومانية .

أسباب غزوة تبوك

١ ـ اسباب مباشرة

تحشد قوات الروم لغزو حدود العرب الشمالية والقضاء على سلطة الإسلام هناك .

٢ ـ اسباب غير مباشرة

آ ـ حماية حرية نشر الإســـلام خارج شبه الجزيرة العربية بعد انتشاره داخلها .

ب ـ تقوية معنويات القبـــائل العربية الخاضعة لسلطان الروم ـ تلك القبائل التي اخذت تقبل على اعتناق الإسلام ، على الرغم من مكافحة الرومان لهذا الاتجاه

ج ـ محو آخر انسحاب المسلمين من مؤته من النفوس .

أهداف الطرفين

١ ـ المسلمون

-حماية حرية نشر الإسلام في بلاد الشام ، اذ هي المنفذ المهم لنشره خارج شبه الجزيرة العربية ، كما انها المتنفس الحيوي للتجارة العربية ...

٢ ـ الروم

القضاء على منافســـة المسلمين للإمبراطورية الرومانية في السيطرة على العرب الخاضعين للروم ، وتحديد انتشار الدعوة الإسلامية في بلاد الشام .

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون

ثلاثون الفاً بقيادة الرسول بينهم عشرة آلاف راكب

٢ - الروم

قوّات نظاميـــة كبيرة من الروم يساندها العرب من لخم وجذم وعاملة وغسان .

الاستحضارات

١ - المسلمون

امر الرسول بانجاز استحضارات الحركة لقتال الروم، ولم يكتم نواياه في هذه الغزوة كما كان يفعل في الغزوات السابقة كي يباغت بهذا الكتمان عدوّه قبل ان يستطيع التهيؤ للقتال .

لم يكتم نواياه في غزوة تبوك ، لان المسافة طويلة يجب قطعها صيفاً ، فلا بد من اكمال المؤونة والنقلية للمجاهدين قبل الحركة ، حتى لا يؤدي نقص القضايا الإدارية الى فشل المسلمين في تحقيق هدفهم المنشود .

وليس من السهل تجهيز قوات المسلمين الكبيرة بما تحتاجه من مؤونة ونقلية واسلحة ، ما لم يشارك اغنياء المسلمين في تجهيز هذا الجيش مشاركة فعّالة ، فأقبل هؤلاء الاغنياء على بذل اموالهم بسخاء وعن طيبة خاطر ، كما اقبل المسلمون من كل فج تلبية لداعي الجهاد .

وانتهز المنافقون فرصة شدة الحر ونضوج الثمار وطول المسافة وقوة العدو ، فأخذوا يثبطون العزائم وينشرون الروح الانهزامية بين المسلمين ، ولكنهم فشلوا في محاولاتهم اذ لم يتخلّف من المسلمين احد غير ثلاثة رجـــال ، ولم يقبل الرسول ان يستعين بالقوات التي جمّعها عبدالله بن ابي، لانه لم يكن يثق بإخلاص تلك القوات، فبقي ابن ابي واصحابه من المنافقين في المدينة .

وبقي في المدينة بعض المسلمين الذين لم يجد الرسول ما يحملهم عليه ، فتولّوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون .

وانجز جيش العسرة استحضاراته ، وتحشّد خارج المدينة واصبح مستعداً للحركة من كافة الوجوه .

٢ - الروم

وزّع هرقل رواتب سنة كاملة على قواته النظامية، كما وزّع كثيراً من المال على القبائل العربية الخاضعة لسيطرته، تشجيعاً لهم لمعاونة جيشه.

وبعد انجاز استحضارات قواته، ارسل طلائعها الى (البلقاء) لستر التحشّد الذي تمّ بعد ذلك في منطقة تبوك.

الحركة

١ - المسلمون

ترك جيش المسلمين المدينة في رجب من السنة التاسعة للهجرة واخذ يقطع الصحراء القاحلة في موسم الحر الشديد، فلمّا وصل منازل ثمود في (الحجر) تلك المنطقة التي تهبّ فيها العواصف الرملية بين حين وآخر فتطمر قافلة بكاملها، اوصى الرسول اصحابه الا يخرج احدهم الا ومعه صاحبه، وهناك عطش المسلمون عطشاً شديداً، ولولا سقوط المطر عليهم يومذاك، لهلك كثير من المسلمين عطشاً.

واستمر الجيش على المسير حتى وصل تبوك، وكانت المراحل تقطع ليلاً للتخلص من الحر الشديد، حتى وصلوا تبوك، فلم يجدوا قوات الروم هناك، فقرّر الرسول البقاء في تبوك بقواته الرئيسية بعد ان علم بانسحاب الروم الى الشمال.

٢ - الروم

تمّ تحشّد قوات الروم المؤلفة من جنودها النظاميين ومن القبائل العربية الموالية لها في تبوك قبل وصول المسلمين اليها، ولكنّ المعلومات التي وصلتهم عن ضخامة عدد جيش المسلمين وقوة معنوياته اضطرت الروم الى الانسحاب من تبوك شمالاً...

السيطرة على المنطقة

١ - مصالحة صاحب ايلة

وجّه الرسول الى يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة ، رسالة يطلب فيها منه ان يذعن للمسلمين او يغزوه ؛ فأقبل يوحنا بنفسه الى الرسول وقدّم له الهدايا والطاعة ، وكان نص وثيقة الصلح بين المسلمين ويوحنا ما يلي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة واهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمحمد أخذه من الناس . وإنه لا يحلّ أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقاً يريدونه من بر او بحر) واتفق الطرفان ان تدفع ايلة جزية تدرها ثلاثمائة دينار في كل عام .

٢ - مصلحة اهل الجرباء واذرح

تمّ الصلح بين المسلمين وأهل الجرباء وهي قرية في منطقة عمان بالبلقاء من أرض الشام وبين المسلمين وأهل أذرح وهي بلدة قريبة من الجرباء ، على الجزية ايضاً .

٣ - مصالحة اهل دومة الجندل

بعث النبي خالداً بن الوليد في خمسمائة فارس الى دومة الجندل ، فباغت خالد الأكيدر مليكها وأخاه حسان وهما يطاردان بقر الوحش ، فقتل حسان وأسر الأكيدر ، فهدّده خالد بالقتل إن لم تفتح دومة الجندل أبوابها للمسلمين .

فتحت المدينة أبوابها فداء لمليكها ، فدخلها المسلمون وغنموا منها الفي بعير وثمانمائة شاة وأربعمائة وسق من بر وأربعمائة درع ، وذهب بها خالد ومعه الأكيدر حتى لحق بالنبي في المدينة فحقن الرسول دم الأكيدر وصالحه على الجزية ، وتركه يعود الى قومه في دومة الجندل .

عودة المسلمين

اقام المسلمون حوالي عشرين يوماً في منطقة تبوك ، انتظاراً لعودة جيوش الرومان ، وتأميناً للحدود الشمالية بعقد المعاهدات مع سكانها ، وتدعيماً لهيبة الأسلام في نفوس القبائل ، والعمل لحماية حرية نشر الدعوة في تلك الارجاء ؛ فلما انجزوا كل ذلك تحرّكوا عائدين الى المدينة .

وصل المسلمون الى المدينة ، فجاء المتخلفون عن الخروج يعتذرون ، وكان هؤلاء المتخلفون قسمين : القسم الأول من المنافقين المتظاهرين بالاسلام ، وهؤلاء اعرض عنهم الرسول تاركاً لله حسابهم؛ والقسم الثاني من المسلمين الذين لا شائبة في إسلامهم ، وهم ثلاثة : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية . وهؤلاء اعترفوا بذنبهم،فأمر الرسول المسلمين ان يعرضوا عنهم حتى يأتي أمر الله.

دروس من تبوك

١ - الحرب الاجماعية (١)

الحرب الاجماعية او الحرب الاعتصابية او الحرب المطلقة معناها : تحشيد كافـــة قوى الأمة - لا الجيش وحده - المادية والمعنوية والعقلية للأغراض الحربية .

نشر لودندروف آراءه عن الحرب الاجماعية في كتابه (الأمة في الحرب) ، ومجمل آراء هذا القائد : ان الحرب الحديثة لم تبق حرب جيوش وقوى عسكرية فقط وإنما هي حرب اجماعية تقوم على حرب الأمم ضد الأمم . ولهذا يجب ان تضع الأمة كل قواها العقلية والادبية والمادية في خدمة الحرب ، وان تكون هذه القوة مخصصة للحرب التالية .

---

(١) - الحرب الإجماعية : هي حرب الأمم ضد الامم . وبها تضع الامة كل قواها العقلية والادبية والمادية في خدمة الحرب .

انتشار الإسلام
في عهد النبي ص
حلب
انطاكية
حمص
دمشق
عين التمر
مدائن
أهواز
بصرى
قادسية
مؤتة
القدس
عمان
البصرة
دومة الجندل
خليج فارس
صحار
عمان
يمامة
المدينة
مكة
الطائف
ثقيف
الأحقاف
حضرموت
البحر العربي
اليمن
الحديدة
بلاد الحبشة

المقياس

ويرى لودندروف بالاضافة الى ذلك ، ان الحرب وسيلة لا غاية ، ولهذا يجب ان تُعدّ الامة كلها للحرب،وان تكون دائماً على قدم الاستعداد : واجب النساء ينحصر في انتاج أبناء أقوياء للأمة يحملون أعباء الحرب الاجماعية ، وواجب الرجال ينحصر في تحشيد كل قواهم لهذه الغاية .

هذه مجمل آراء لودندروف في الحرب الاجماعية التي اعتبرها العسكريون آراء جديدة ، وراحوا يفسرونها وينشرون مبادئها ويحثّون على الاخذ بها .

إن الحرب الاجماعية التي طبقتها المانيا وايطاليا وروسيا في الحرب العالمية الثانية ، ليست جديدة .. فقد طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً خلت .

ولكن هناك فرقاً واحداً بين حرب الامم الحديثة وحرب المسلمين قديماً ، هذا الفرق هو ان حرب المسلمين حرب دفاعية غايتها نشر السلام وتوطيد أركانه فهي حرب الفروسية بكل ما في الكلمة من معاني .

يقول القرآن الكريم : « انفروا خفافاً وثقالا،وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله » ، لذلك فقد كان المسلمون كلّهم جنوداً وكانت اموالهم كلها لادامة هؤلاء الجنود .

كان عدد المسلمين ثلاثين الفاً في غزوة تبوك بينهم عشرة آلاف فارس ، وقد تحرّكوا صيفاً في موسم قحط شديد لمسافة طويلة في الصحراء ، فليس من السهل إدامة مثل هذا الجيش الكبير في مثل تلك الظروف القاسية بمواد الاعاشة والماء والنقلية والسلاح ، لذلك سمي هذا الجيش بجيش العسرة : اشترك فيه المسلمون كلهم عدا ثلاثة تخلفوا عنه واشترك المسلمون كلهم في تجهيزه .

انفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من مال ، وكان له يوم أسلم اربعون الف دينار أنفقها كلها في سبيل الله ، حتى تخلل بالعباءة ! وانفق عثمان ثلاثمائة بعير والف دينار ، وانفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما انفق العباس وطلحة وعاصم ابن عدي كثيراً من المال ، وبهذا الانفاق السخي امكن تجهيز هذا العدد العظيم من جيش العسرة .

ان المسلمين عرفوا الحرب الاجماعية قبل ان يعرفها العالم بأربعه عشر قرن، ولكن شتان بين حرب الفروسية التي عرفها المسلمون، وحرب العدوان التي عرفها العصر الحديث.

٢ ـ عقاب المتخلفين

يتخلف عن الاشتراك بالقتال في كل حرب قديمة او حديثة بعض الجنود لاسباب شتى، وفي كل أمة قوانين معينة. يعاقب بموجبها المتخلفون.

ويهمنا ان تعرف ان كثيراً من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكرة ابيها في الدول التي طبقت الحرب الاجماعية خلال الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين.

بمثل هذه القسوة الفظيعة التي أخذتها البريء بذنب الجاني، في حرب حديثة بأمم راقية، استطاعت تلك الامم بمثل هذه القوة التقليل من التخلّف بين صفوف جنودها عندما كانت في أوج قوتها؛ فلما تداعت قواتها تحت مطارق الحرب، تكاثر المتخلّفون في صفوفها برغم قوانينها الرادعة.

ويهمني بعد ذلك ان تعرف كيف عالج الاسلام قضية التخلف بالعقاب النفسي الذي أخذ المسيء وحده بذنبه، دون أن يلحق بغيره من الأبرياء أي عقاب.

إسمع قصة تخلّف كعب بن مالك كما يرويها بنفسه، لترى كيف كان عقاب المتخلفين في الاسلام!.

قال كعب: «جئت فسلمت عليه (يقصد على الرسول)، فتبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال.. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهركَ؟

«قلت: بلى. والله إني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكن والله لقد علمت إن حدّثتك حديث كذب ترضى به عليّ، ليوشكنّ الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله عني.. والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.»

« فقال الرسول : هذا أما فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك ، فقمت .

« وثار رجال من بني سلمة ، فاتبعوني يؤنبونني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنتِ قد أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلّفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ .

« قال كعب : فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذّب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي احد ؟ قالوا : نعم مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً فيهما أسوة . فمضيت حين ذكروهما لي .

« ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلّف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي الارض فما هي بالتي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

« اما صاحباي ، فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، واما انا فكنت أشد القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الاسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرّك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم اصلي قريباً منه، فأسارقه النظر ، فاذا أقبلتُ على صلاتي أقبل اليّ ، واذا التفت نحوه اعرض عني .

« حتى اذا طال عليّ ذلك من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار أبي قتادة ، وهو ابن عمي وأحب الناس الي ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ! ..

« فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله هل تعلمني احب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته ، فسكت .. فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله اعلم .. ففاضت عيناي وتوليتُ حتى تسورت الجدار .

« فبينا أنا امشي بسوق المدينة . واذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه في المدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له

حتى اذا جاءني ، دفع الي كتاباً من ملك غسان ، فإذا فيه : أما بعد. فإنه بلغني ان صاحبك قد جفاك،ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها : وهذا من البلاء ايضاً . قد بلغ ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك ، فعمدت بها الى تنور ، فسجرته بها .

فأقمنا على ذلك حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، واذا رسول رسول الله يأتيني فقال : ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قلت . اطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، ولكن اعتزلها ولا تقربها .

« وأرسل الى صاحبي مثل ذلك ، فقلت لامرأتي : إلحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض ».

« فجاءت امرأة هلال بن أمية ، فقالت . يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال : لا، ولكن لا يقربك.

« قالت : إنه والله ما به حركة الى شيء ،والله ما زال يبكي منذ كان أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره !..

« قال كعب : فقال لي بعض اهلي لو استأذنت رسول الله لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ اذا استأذنه فيها ، وانا رجل شاب .

« ولبثت بعد ذلك عشرة ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على سطح بيت من بيوتنا على الحال التي ذكر الله منا : قد ضاقت علينا الارض بما رحبت وضاقت علي نفسي ، وكنت قد ابتنيت خيمة في ظهر (سلع) فكنت أكون فيها ، اذ سمعت صوت صارخ اوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، ابشر .. فخررت ساجداً ، وعرفت ان قد جاء الفرج .

« وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر : وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم انفسهم ،

وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم .

« فلما جلست اليه قلت . يا رسول الله ان من توبتي الى الله عز وجـــل ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : امسك عليك بعض مـــالك فهو خير لك . قلت : اني ممسك سهمي الذي بخيبر . وقلت : يا رسول الله ، ان الله قد نجاني بالصدق ، وان من توبتي الى الله ان لا احدث الا صدقاً ما حييت ... »

اي عقـــاب نفسي هذا الذي جعل المتخلف يقدم بين يدي توبته شرطين ما اصعبها وما اشقها : التنازل عن المال ، والصدق في القول . ليس من السهل ان يتنازل المرء عن مـــاله ، واصعب من ذلك الثبات على الصدق في جميع الأحوال والظروف .

فأي اثر عظيم تركه هذا العقاب النفسي الصارم ، واين هذا العقاب الذي طبقه المسلمون على المتخلفين في القرن السابع من هذا العقاب الذي طبقته ارقى الدول على المتخلفين في القرن العشرين ؟

٣ ـ التدريب العنيف

تعمل الجيوش الحديثة على تدريب جنودها تدريباً عنيفاً : اجتـــاز موانع وعراقيل صعبة جداً ، وقطع مسافات طويلة في ظروف جوية مختلفة ، وحرمان من الطعام والماء بعض الوقت وذلك لاعـــداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب المواقف المحتمل مصادفتها في الحرب ...

لقد تحمل جيش العسرة مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات هذا التدريب العنيف إن لم تكن أصعب منها بكثير : تركوا المدينة في موسم نضج ثمارها ، وقطعوا مسافات طويلة شاقة في صحراء الجزيرة العربية صيفاً ، وتحملوا الجوع والعطش مدة طويلة . يقول عمر بن الخطاب : « خرجنا الى تبوك في قيـــظ شديد ، فنزلنا منزلاً اصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه . ثم يجعل ما بقي من الماء على كبده » .

ان غزوة تبوك تدريب عنيف للمسلمين ، كان غرض الرسول منه إعدادهم لتحمل رسالة حماية حربية نشر الاسلام خارج شبه الجزيرة العربية وتكوين الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف ، فقد كانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول فلا بد من الاطمئنان الى كفاءة جنوده قبل أن يلتحق بالرفيق الاعلى .

٤ - المسير الليلي (السرى)

قطع المسلمون اكثر المراحل بين المدينة وتبوك ليلاً ليتخلصوا من الحر الشديد .

ان الحركة ليلاً في موسم الحر ضرورية جداً خاصة في الصحراء ، وهذا ما تطبقه الجيوش الحديثة في العصر الحاضر .

٥ - المعنويات

يمكن اعتبار غزوة تبوك معركة معنويات لا معركة ميدان .

لم يستطع المسلمون الاصطدام بالجيش الروماني وحلفائه ، لانسحاب جيوشهم من منطقة تحشدها في تبوك ، بعد ان وصلتهم معلومات وثيقة عن قوة المسلمين مادياً ومعنوياً ، ومع ذلك فقد انتصر المسلمون في غزوة تبوك على الروم انتصاراً معنوياً لا يقل أهمية عن الانتصار المادي في القتال .

لقد ادى اندحار الرومان معنوياً في غزو تبوك ، الى تفكير القبائل العربية الخاضعة لهم بعدم جدوى اعتمادهم عليهم لينالوا حمايتهم ، ولا بد لهم من التحالف مع المسلمين الأقوياء ليضمنوا لهم الحماية والاستقرار ، لذلك اقبلت تلك القبائل على مصالحة المسلمين وموالاتهم ، وازداد انتشار الاسلام فيها عما كان عليه بعد غزوة مؤته ...

٦ - المعلومات

لقد كانت استخبارات الروم عن حركات المسلمين ونواياهم قوية جداً ،

وكانوا يستخدمون الانباط الذين يتاجرون مع المدينة وبعض افراد القبائل العربية الموالية لهم ، في نقل المعلومات اليهم عن المسلمين .

لقد رأيت كيف عرف ملك غسان الموالي للروم غضب الرسول والمسلمين على كعب بن مالك لتخلفه عنهم يوم تبوك ، وكيف ارسل اليه رسالة يعرض عليه فيها الالتحاق بالغساسنة ، فاذا استطاع الروم واحلافهم الاطلاع على مثل هذه القضية التافهة ، فمن المؤكد انهم استطاعوا الاطلاع على القضايا المهمة خاصة القضايا التي لها تأثير على الموقف العسكري حينذاك ..

لقد كانت عيون الروم منتشرة في المدينة لاحصاء حركات المسلمين وسكناتهم وتزويد الرومان بكل ذلك؛ولم يكن المسلمون غافلين عن حركات الروم؛فقد استطاعوا معرفة تحشدات قطعاتهم ومواضع تلك التحشدات ونواياهم مبكراً وبصورة مفصلة ، مما جعلهم يتحركون الى تبوك للقضاء على قوات الروم قبل ان يستفحل أمرها وتتعرض بالحدود الاسلامية .

لقد كانت محاولات الحصول على المعلومات من المسلمين والروم ممتازة جداً .

٧ - الضبط

إن اقبال المسلمين على الانخراط بجيش العسرة وتحملهم المشقات بنفس رضية قانعة ، يدل على مبلغ الضبط العالي الذي وصلوا اليه .

ان الضبط اساس الجيش ، ولا ينجح الجيش الذي لا يتحلى بالضبط في أية معركة مهما يكن عدده كثيراً وسلاحه مؤثراً ، واذا كان هناك فرق واضح بين العسكريين والمدنيين فهو الضبط الذي يتمسك به العسكريون قبل كل شيء ..

ان اطاعة المسلمين لامر الرسول قائدهم في هجر المتخلفين دليل على ضبطهم المتين ، وايُ ضبط هذا الذي جعل امر القائد ينفذه اهل المتخلف حتى زوجه واولاده بشكل ادق واعنف مما ينفذه الغرباء عنه ، وهو في محنته القاسية التي تستدر العطف والاشفاق من الناس جميعاً .

ولكن هذه الاوامر كانت للمصلحة العامة ، والمسلمون كلهم جنود مخلصون لهذه المصلحة .

النتائج

يمكن اجمال نتائج غزوة تبوك بما يلي :

١ ـ رفع معنويات المسلمين تجاه الروم وحلفائهم وعند العرب في شبه الجزيرة العربية كلها . وبذلك استطاع الرسول ان يجعل المسلمين يعتقدون بأن في امكانهم محاربة الروم والتغلب عليهم .

لم يكن العرب (يحلمون) قبل الرسول بأنهم يستطيعون صد اعتداء الروم عليهم في عقر بلادهم ، فاصبحوا (يعتقدون) بعد تبوك بأن في مقدورهم محاربة الروم في بلاد الروم نفسها والقضاء على جيوشهم هناك .

٢ ـ قضى انتصار المسلمين المعنوي على الروم قضاء تاماً على تردد المتخلفين عن الإسلام من العرب ، فإذا كانت قوات المسلمين تهدد الروم في عقر دارهم ، فكيف تستطيع قوات القبائل العربية الصمود تجاه تلك القوات ؟ !

لذلك اقبلت وفود القبائل الى المدينة بعد عودة الرسول من تبوك اليها معلنة اسلامها ، واقبل الناس يدخلون في دين الله افواجاً ، ولهذا سمي هذا العام بعام الوفود .

٣ ـ استطاع الرسول تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية التي تربط شبه الجزيرة العربية ببلاد الشام الخاضعة للرومان ، وذلك بعقد المحالفات مع سكان تلك المنطقة واقبال بعضهم على الاسلام .

ان نقاط الارتكاز هذه سهلت مهمة الفتح الاسلامي على عهد الخلفاء الراشدين ، فمنها انطلقت قوات المسلمين الى الشمال وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم .

الملحق (ح)

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات اعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١	غزوة ودان (الابواء)	٢٠٠ راكب وراجل	—	ودان	صفر من السنة الثانية للهجرة	لم يلاق قريشاً فحالف بني ضميرة
٢	غزوة بواط	٢٠٠ راكب وراجل	١٠٠ راكب وراجل من قريش	بواط ناحية جبل رضوى	ربيع الاول من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك قافلة قريش
٣	غزوة العشيرة	٢٠٠ راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العشيرة	جمادى الاولى من السنة الثانية للهجرة	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة
٤	غزوة بدر الاولى	٢٠٠ راكب وراجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان بالقرب من بدر	جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة	فر المشركون بما غنموه من المسلمين ولم يستطع المسلمون ادراكهم
٥	غزوة بدر الكبرى	٣١٥ معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً	٩٥٠ منهم ٢٠٠ راكب وهم من قريش	بــدر	رمضان من السنة الثانية للهجرة	انتصار المسلمين على قريش

٦	غزوة بني قينقاع	مسلمو المدينة	بنو قينقاع من اليهود	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	تطهير داخل المدينة من اليهود
٧	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	بنو سليم وغطفان	قرقرة الكدر بين المدينة ومكة	اواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	فرار بني سليم وغطفان وقد تركوا امرالهم للمسلمين
٨	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	٢٠٠ فارس من قريش	قرقرة الكدر	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	فرار قريش من مطاردة المسلمين
٩	غزوة ذي امر	٤٥٠ بين راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب	ذو امر موضع في نجد	محرم من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
١٠	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	بنو سليم	بحران على طريق المدينة مكة	ربيع الاول من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر

تابع الملحق (ح)

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات اعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١١	غزوة احد	٧٠٠ بينهم خمسون فارساً	٢٩٠٠ من قريش واحابيشها ومائة من بني ثقيف بين القوة مائتا فارس	جبل احد في ضواحي المدينة	شوال من السنة الثالثة للهجرة	استطاع المشركون ايقاع سبعين شهيداً بالمسلمين ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار على الرغم من تفوق قوات المشركين وتطويقهم للقوات المسلمين.
١٢	غزوة حمراء الأسد	٦٣٠ بين راكب وراجل	٢٩٧٨ من قريش واحابيشها ومن ثقيف	حمراء الاسد بين المدينة ومكة	شوال من السنة الثالثة للهجرة	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها الى حمراء الاسد بعد انتهاء معركة احد مباشرة ولكن المشركين فضوا عدم قبول المعركة وانسحبوا الى مكة

١٣	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	اليهود من بني النضير	ضواحي المدينة	ربيع الاول من السنة الرابعة للهجرة	اجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة
[illegible]	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	ذات الرقاع بنجد	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	فرار بني ثعلبة وبني محارب
١٥	بدر الآخرة	حوالي [illegible] راكب وراجل	٣٠٠ من قريش	بدر	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	عادت قريش ادراجها الى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب موعدها
[illegible]	غزوة دومة الجندل	الف راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الاول من السنة الخامسة للهجرة	فرت القبائل
١٧	غزوة بني المصطلق	الف راكب وراجل	بنو المصطلق	المريسيع	شعبان من السنة الخامسة للهجرة	فر بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين

الملحق (د)

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١٨	غزوة الخندق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش وبني سليم وفزارة واشجع وغطفان عدا اليهود من بني قريظة	المدينة	شوال من السنة الخامسة للهجرة	عودة الاحزاب من حصار المدينة خائبين
١٩	غزوة بني قريظة	ثلاثة آلاف بينهم ٣٦ فارساً	٦٠٠ الى ٧٠٠ من قريظة	ضواحي المدينة	ذو القعدة من السنة الخامسة للهجرة	القضاء على بني قريظة
٢٠	غزوة بني لحيان	حوالي ثلاثة آلاف	بنو لحيان	غران	جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة	فر بنو لحيان
٢١	غزوة ذي قرد	—	غطفان	ذو قرد	جمادى الاولى من السنة السادسة الهجرة	فر بنو غطفان وتركوا الغنائم التي اخذوها من المسلمين

الملحق (ح)

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات اعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
٢٢	غزوة الحديبية	١٤٠٠ راكب وراجل	قريش	الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة للهجرة	عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش
٢٣	غزوة خيبر	١٤٠٠ راكب وراجل	يهود خيبر	خيبر	محرم من السنة السابعة للهجرة	سقوط خيبر واستسلام يهود فدك ووادي القرى وتيماء فتم بذلك القضاء عسكريا على يهود الجزيرة العربية
٢٤	غزوة عمرة القضاء	١٤٠٠ راكب وراجل	قريش	مكة	ذو الحجة من السنة السابعة للهجرة	بقي المسلمون ثلاثة ايام في مكة بعد ان خرج عنها المشركون وهذه معركة معنويات لا معركة ميدان
٢٥	غزوة فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة .	رمضان من السنة الثامنة للهجرة	فتح مكة

(الملحق [illegible])

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات اعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
٢٦	[illegible]	[illegible]	هوازن وثقيف	وادي اوطاس قرب الطائف	شوال من السنة الثامنة للهجرة	اندحار هوازن وثقيف
٢٧	غزوة [illegible]	١٢٠٠٠ بين راكب وراجل	ثقيف وبعض هوازن	الطائف	شوال من السنة الثامنة للهجرة	لم تستسلم الطائف فعاد المسلمون ادراجهم الى المدينة
٢٨	غزوة تبوك	ثلاثون الفاً بينهم عشرة آلاف راكب	جيش كبير من الروم وحلفائهم	تبوك	رجب من السنة الثامنة الهجرة	فضل الروم عدم الاشتباك بالمسلمين فاقام المسلمون في تبوك حوالي عشرين يوما وصالحوا القبائل وسكان منطقة الحدود بين الحجاز والشام [illegible] بذلك قاعدة أمينة [illegible] المقبلة .

التطبيق العملي

« وما ارسلناك إلا رحمة
للعالمين »

القرآن الكريم

الخاتمة

بحث مقارن

تطرقنا في بحث القتال في الاسلام إلى المبادىء المثالية التي جـاء بها القرآن الكريم الخاصة بأغراض وأهداف وتنظيم الحرب العادلة في الاسلام .

كما أوردنا بعض المصطلحات العسكرية والقانونية استناداً إلى أوثق المصادر العسكرية الحديثة وقوانين الحرب والحياد من القانون الدولي .

وكان الهدف من ذلك ، هو إعطاء فكرة واضحة عن المبادىء النظرية في أحدث الكتب العسكرية وأوثقها وفي أحدث مصادر القانون الدولي ، ومقارنتها بالمبادىء المثالية التي جاء بها الاسلام عن الحرب في الاسلام .

وتطرقنا في الفصول التالية إلى أعمال الرسول العسكرية التي طبقها (فعلاً) في القتال ، حتى نفسح المجال لمقارنة هذه المعلومات (العمليّة) بالمعلومات النظرية التي أوردناها عند بحث موضوع القتال في الاسلام والمصطلحات العسكرية والقانونية سالفة الذكر .

والحق أن أكثر المعلومات العسكرية النظرية وقوانين الحرب والحياد ، هذه المعلومات وهذه القوانين هي حبر على ورق في هذا العصر الذي بلغت فيه المدنية درجة عالية من التقدم والرقي ، ومع ذلك فقد طبقها الاسلام حرفياً او طبق أفضل منها قبل أربعة عشر قرناً بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ .

والذين استطاعوا أن يستوعبوا تلك المعلومات النظرية المثالية ويقارنوا بينها وبين أعمال الرسول العسكرية ، لا بدّ وأن يخرجوا بالنتيجة المتوقعة ، مهما تكن

هوائهم ومبادئهم ، وهي أن الرسول طبّق النظريات المثـالية فعلاً في أعماله العسكرية ، ولم يخرج عن تعاليمها أبداً في غزواته ومعاركه .

وفي هذه الخـاتمة ، سأتطرّق إلى التطبيق العملي لنظريات الحرب المثـالية بصورة موجزة وبشكل لا يدع مجـالاً للشك ، ذلك التطبيق الذي استطاع الرسول أن ينجزه قبل بضعة عشر قرنـاً بينما عجز عن تطبيقه العسكريون في القرن العشرين .

ومن السهل جداً أن يسمو الانسان بتفكيره إلى درجة مثالية عالية ، ولكنه من الصعب جداً أن يطبّق تلك المثاليات (فعلاً) خاصة في الاعمال العسكرية التي تتوقف عليها مصائر الامم والشعوب ، لأن حالة الحرب ليست من الحالات الاعتيادية التي يستطيع فيها الانسان أن يسيطر على أعماله في أغلب الاحيـان ، إلا أن يكون ذلك الانسان فوق البشر وتحت الله .

وكم أغنى أن يقرأ هذا البحث غير المسلمين مهما تبلغ درجة عداوتهم للإسلام ليطمئنوا مع المسلمين مهما تبلغ درجـة حبهم للاسلام إلى أن أعمـال الرسول العسكرية تنطبق على أرقى وأحدث النظريات العسكرية المثالية وقوانين الحرب والحياد الإنسانية ، وليتأكدوا بأنفسهم من الاخطاء الفـاحشة التي وقع فيها المتعصبون على الاسلام والمتعصبون للاسلام على حد سواء .

لقد غمز المتعصبون على الاسلام أعمال الرسول العسكرية ، فقـالوا : إنّ الاسلام دين قتال يعتمد على الحرب في نشر دعواته، وإن حياة الرسول العسكرية لا تخلو من عدوان ، ولكن هذا الغمز خطأ فاحش لا يدلّ إلا على جهل مطبق أو تعصّب ذميم .

وقـد ادعى المتعصبون للاسلام ، أن انتصـار الرسول كان بالخوارق والمعجزات ، ولكن هذا الادعاء خطأ فاحش ايضـاً لا يقل خطورة عن غمز المتعصبين على الاسلام ، ولا يدلّ إلا على جهل بروح الاسلام الصحيـح : تلك

الروح العملية الواقعية التي ترتكز على الحق الواضح والعقل السليم ، لا على الخيالات والاوهام .

إلى هؤلاء وأولئك أسوق هذا البحث عن الأسباب الحقيقية لانتصار الرسول ، وعن المقارنة بين النظريات التي جاء بها الاسلام في القتال والاعمال التي طبقها الرسول فعلاً ، مع مقارنة أعماله بأحدث قوانين الحرب والحياد الإنسانية تلك القوانين التي تطابق مبادىء القتال في الاسلام في بعض تعاليمها وتعجز عن السمو إلى مبادىء القتال في الاسلام في تعاليمها الاخرى .

مجمل أسباب النصر

قاد الرسول بنفسه ثمانياً وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته إلى المدينة (راجع الملحق ح) فقد خرج إلى غزوة (ودّان) وهي أول غزوة قادها الرسول بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت غزوة تبوك آخر غزواته في رجب من السنة الثامنة للهجرة ، وقد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادته ، وبين المشركين أو اليهود بتسع غزوات من تلك الغزوات وهي : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف ، بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

ومع ذلك لم يفشل الرسول في أي معركة خاضها المسلمون بقيادته ، حتى غزوة أحد لم تكن فشلاً للمسلمين من الناحية العسكرية كما أسلفنا سابقاً .

ولو لم يكن الرسول هو القائد في معركة (أحد)، فهل كانت تكون نتائجها خلاص المسلمين من الموقف الخطير الذي أحاط بهم من كل مكان ؟

بل لو لم يكن الرسول هو القائد في معركة بدر والخندق وحنين ، فهل كان ينتصر المسلمون في كل هذه الغزوات ؟

إن الذي يدرس غزوات بدر وأحد والخندق وحنين ويطلع على موقف

الطرفين : المسلمين والمشركين ، وبدقق في تطور المعركة ، يجد بوضوح الأثر الشخصي الفعّال لقيادة محمد للمسلمين ، ذلك الأثر الشخصي الحاسم الذي لو لم يكن المسيطر الاول على سير القتال ، لتبدّل وجه التاريخ الاسلامي عما هو معروف به الآن .

فما هي أسباب انتصار الرسول في كل معركة خاضها ؟

إن انتصار الرسول يرجع إلى أربعة أسباب هي :

قيادة عبقرية هي قيادة محمد ؛ وجنود ممتازون هم المسلمون الأولون ؛ وحرب عادلة هي حرب المسلمين لاعدائهم ؛ وأخيراً تردي الحالة العسكرية لاعداء المسلمين من العرب والروم والفرس .

السبب الاول

قيادة عبقرية

١ - مجمل صفات القائد

مزايا القائد الشخصية المثالية - كما تنص عليها نظامات الخدمة السفرية وهي من أوثق المصادر العسكرية الحديثة : « ينحصر أهم واجب للقـــائد في إصدار القرارات .

« ولكي تكون قراراته صحيحة، لا تكفيه الشجاعة الشخصية ، ولا الارادة القوية الثابتة ولا تحمّل المسؤولية بلا تردّد ، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تاماً على مبادىء الحرب ، وقادراً على إبداء الحكم السريع الواضع، وذا مخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ولا تثبّط عزيمته كارثة الخيبة ، وأن يكون سابراً غور الطبع البشري .

« ويتمكن القائد من المحافظة على معنويات قوته وتنفيذ أوامره ، بالثقـــة والولاء اللذين يبعثهما في نفوس رجاله بقدر ما يتمكن من ذلك بوساطة الضبط .

« فالشخصية القوية ، ومعرفة الطبع البشري ، وإصـــالة الرأي الموزون ، والتفاهم مع المرؤوسين ، عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفاءة العسكرية ، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصة سانحة للاتصال بمرؤوسيه الآمرين وقطعاته، للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة . »

هذه هي الصفات المثالية للقائد التي تنصّ عليها نظامـات الخدمة السفرية ، وتضيف الى كل ذلك بعض المصادر العسكرية الحديثة ، ضرورة تحلي القائد بالقابلية البدنية ليستطيع مشاركة قواته في تحمل مشاق القتال .

وهناك من يضيف الى كل ذلك الماضي الناصع المجيد . والصفات المثالية للقائد

إذن هي : القابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح ـ الشجاعة الشخصية ـ الارادة القوية الثابتة ـ تحمّل المسؤولية بلا تردد ـ معرفة مبادىء الحرب ـ نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ـ سبق النظر ـ معرفة نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ـ ثقة قطعاته به وثقته بقطعاته ـ المحبة المتبادلة بينه وبين قواته ـ شخصية قوية نافذة ـ قابلية بدنية ـ ماضٍ ناصع مجيد .

هذه هي الصفات المثالية للقائد الممتاز ، وهي نتيجة لدراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ؛ لذلك هي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة، لذا من الممكن أن تتوفر في شخص واحد ، كما هو معروف .

ولكن كل هذه الصفات المثالية قليلة جداً بالنسبة الى صفات الرسول ، فهناك صفات أخرى يتحلى بها محمد لم تتطرق اليها الكتب العسكرية ، لانها صفات يصعب على القادة التحلي بها ، بل هي فوق طاقة البشر بصورة عامة وذوي السلطان منهم بصورة خاصة .

سنطبّق كل هذه الصفات على شخصية محمد العسكرية ، استناداً الى تاريخه العسكري الذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة ، لنرى بصورة جازمة : أن هذه الصفات كلها بل أكثر من هذه الصفات كلها كانت من مزايا قيادة الرسول .

٢ - تفصيل الصفات

أ ـ قرار صحيح وسريع

لا بدّ للقائد أن يصدر قراراً صحيحاً وسريعاً . ليبني خطته استناداً إلى قراره هذا ، ويعمل بموجب تلك الخطة في إدارة رحى القتال .

فكيف يكون القرار صحيحاً وسريعاً ؟

يستند إصدار القرار الصحيح السريع الى عاملين : القابلية العقلية للقائد ، والحصول على المعلومات .

وليس هناك من ينكر القابلية العقلية التي كان يمتاز بها الرسول ، تلك القابلية التي لا يختلف فيها المسلمون وغير المسلمين ، فهو الذي بشّر وأنذر وكافح

وناقش عقليات كبيرة ووحّد أمة ، فهل يمكن أن يتم ذلك إلا لعقلية جبـــارة نافذة ؟

أما الحصول على المعلومات ، فيكون بوساطة دوريات القتـــال والاستطلاع وبالعيون واستنطاق الاسرى والاستطلاع الشخصي وباستشارة ذوي الرأي .

لقد كان هدف الرسول من كافة السرايا والغزوات التي أرسلها قبل غزوة بدر الكبرى ، هو الحصول على المعلومات عن المنطقة المحيطة بالمدينـــة والطرق المؤدية الى مكة والتعرّف على سكانها وعقد الاحلاف معهم ؟

وفي معركة بدر الكبرى ، أرسل دورية استطلاعية لمراقبة عودة قـافلة أبي سفيان ، وأرسل دوريات استطلاعية امام قواته المتقدمة باتجاه بدر ، وأرسل دوريتي استطلاع قبيل وصول قواته الى بدر ، بل قام الرسول بنفسه بالاستطلاع الشخصي ليتأكد من قوة قريش والمواضع التي وصلت اليها .

كما استفاد الرسول من استنطاق الأسرى الذين استطاعت إحدى دوريات الاستطلاع القبض عليهم قبيل معركة بدر ، فعلم منهم بأسلوبه الرائع في الاستنطاق الموضع الذي وصلته قريش وعدد قواتها من الرجال .

واستفاد من معرفة أحد أصحابه خواص مياه آبار بدر وأسلوب السيطرة على مياهها . فبدّل معسكره الأول ليلاً الى معسكر مناسب يؤمن له السيطرة على مياه الآبار .

هذه أمثلة من غزوة بدر وحدها ، وكل غزواته أمثلة على تشبثه بالحصول على المعلومات . لقد عرف محمد كل نوايا أعدائه قبل وقت مبكر ، واستطاع أن يقضي على تلك النوايا العدوانية قبل أن يستفحل أمرها ، فلم يبرم العدو ولا القبائل أمراً إلا ويعرف ما أبرموا فوراً ، فيتخذ التدابير اللازمة للقضاء على نواياهم العدوانية في عقر دارهم ، واستطاع في كل مرة أن يحرك [illegible] قبل ان يحشدوا حشدهم للتعرض بالمسلمين .

لقد كان الرسول متنبها [illegible] داخلية وخارجية ، ولم يتهاون لحظة عن جمع المعلومات ، [illegible] قراراته صحيحة وسريعة ،

ولا عجب إذا كانت خططه التي يرسمها استناداً الى تلك القرارات ناجحة الى أبعد حدود النجاح .

ب – شجاعة شخصية

شجاعة الرسول الشخصية بارزة في كل معاركه التي خاضها . وفي كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء .

قراره قبول معركة بدر الكبرى، وهي أول معركة حاسمة خاضها المسلمون، شجاعة نادرة ، لأن موجود قواته ثلث موجود قوات قريش، ولأن فشل المسلمين في هذه المعركة قد يقضي على مستقبل الاسلام .

وصموده أمام عشرة آلاف من الأحزاب في غزوة الخندق شجاعة نادرة أيضاً خاصة بعد نكث اليهود عهودهم ؛ فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة ومن داخلها .

نزل في غزوة بدر الكبرى ليباشر القتال بنفسه ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب : انّا كنا إذا اشتد الخطب واحمرّت الحدق ، اتقينا برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو . »

وفزع أهل المدينة ليلة، فانطلق الناس قِبل الصوت، فتلقاهم رسول الله راجعاً على فرس لأبي طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول : لم تراعوا .

وفي أحد كافح مع جماعة من أصحابه للخروج من الطوق الذي أحاطهم به المشركون ، فاستطاع أن يخلّص المسلمين من فناء أكيد ، ولم يكتف بذلك بل قام بمطاردة قريش الى موضع (حمراء الأسد) .

ولو لم يصمد الرسول مع عشرة فقط من أصحابه يوم حنين ، لاستطاعت هوازن وثقيف أن تبيد المسلمين .

تلك مواقف يتصدع منها قلب أشجع الشجعان، ومع ذلك فقد ثبت الرسول فيها غير مكترث بما يحدق به من أخطار .

ولولا شجاعة الرسول الشخصية التي أظهرها في هذه المواقف وفي غيرهـا لما انتصر المسلمون أبداً (١) .

ج - إرادة قوية ثابتة

صمود الرسول وحده تجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحي عليه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى ، دليل على ارادته القوية الثابتة التي لا تتزعزع .

تحمّل الاعراض والتكذيب والأذى والأخطار صابراً ، وهاجر من بلده الى بلد آخر ، واستمر يكافح حتى كوّن له قوة تسانده وتؤمن بالاسلام .

ثم كافح بهذه القوة أعداءه في الداخل والخارج : في داخل المدينة ضد اليهود والمنافقين ، وفي خارج المدينة ضد المشركين وعلى رأسهم قريش .

ولكنه صمد لكل هذا العناء ، مصراً على مكافحة مَنْ حوله من النـاس جميعاً ، حتى يظهر الله دينه ، غير مكترث بتفوق أعدائه على قواته تفوقاً ساحقاً .

ان حياة محمد كلها مثال رائع للارادة القوية الثابتة .

د - تحمّل المسؤولية

لم يكن هناك من يشارك الرسول في تحمل المسؤولية الضخمة في كافـة أعماله العسكرية ، وغير العسكرية ، وما أعظمها من أعمال غيرت وجه التاريخ .

رأي مسؤولية أخطر وأعظم من المسؤولية التي كان يتحملها الرسول منـذ مبعثه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى .

---

(١) من امثلة شجاعته النادرة في غير ساحات القتال ، حادثة ذهاب رجالات المشركين الى عمه ابي طالب مهددين متوعدين ، فقال له عمه : « يا ابن اخي . ان قومك قد جاءوني فقالوا : كذا وكذا ، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا أطيق » .. فأجابه الرسول : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله او اهلك » فيا لها من شجاعة نادرة لا تتيسر عند اشجع الشجعان !

ان أصحابه كانوا يعاونونه في كل شيء، ولكنه وحده كان يتحمل مسؤولية كل شيء .

ه - نفسية لا تتبدل

لم تتبدل نفسية محمد في حالتي النصر والاندحار . لقـــد كان مسيطراً على اعصابه سيطرة أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة في أشد المواقف حرجـــاً وفي أحلك الظروف .

لم يكن سهلاً السيطرة على الاعصـــاب عند تطويق المشركين لـه وبعض أصحابه في أحد من كل جانب ، ومع ذلك سيطر على أعصابه وقاد سفينة المسلمين الى ساحل الامان .

ولم يكن سهلاً السيطره على الاعصاب يوم الاحزاب خاصة بعد غدر اليهود ، ومع ذلك سيطر على اعصابه ، فصد الاحزاب وقضى على اليهود .

ولم يكن سهلاً السيطرة على الاعصاب يوم حنين ، لما صمد مع عشرة فقط من اصحابه تجاه التيار الجارف من مطاردة المشركين ، ومـــع ذلك فقد سيطر على اعصابه وهزم أعداءه ، فعاد اصحابه الفارون ليروا أسرى المشركين مكبلين بالاصفاد .

تلك أمثلة من سيطرته على اعصابه في وقت الشدة ، اما في وقت الرخـــاء ، فقد كانت سيطرته أروع بكثير مما هي عليه في وقت الشدة .

اكبر مثال على ذلك يوم فتح مكة ، فقد رآه المسلمون يومذاك وقد أحنى رأسه على وجهه وبدا عليه التواضع الجم ، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته ؛ وكلما استشعر بأهمية نصره ازداد تواضعاً وازداد على راحلته خشوعاً ..

ان قيمة سيطرة الرسول على أصحابه في مثل هذا الموقف الذي يعد أكبر نصر للمسلمين تتضاعف إذا قارنّاها بمواقف العظماء والجبروت التي أظهروا فيها الغطرسة عند انتصارهم ، وذهب بهم الطيش مذاهب أدت الى سفك ودمار كثير من الناس والأموال ..

لقد استمرّ بعد وصوله اعلى مراتب السيطرة والسلطان بسيطاً في مأكله ومشربه وملبسه وفي حياته كلها كما كان في اول ايامه يتيماً معدماً : استمر يأكل نفس النوع البسيط من الطعام ويلبس نفس الرداء الساذج ويسلك في كل تفاصيل حياته نفس البساطة التي اعتادها في ايامه الاولى . حقاً إنه كان يمتلك نفسيه لا تتبدّل !

و – سبق النظر

المخيلة التي تحسب حساب كل شيء او سبق النظر او بعد النظر كلها تعني ضرورة تفكير القائد بكافة الاحتمالات القريبة والبعيدة ، وادخال اسوأ الاحتمالات في حسابه ، واعداد الخطط لكل موقف محتمل ، حتى يمكن تطبيق تلك الخطط عند الحاجة دون تردد ولا ارتباك .

لقد كان محمد يتحلى بمزية سبق النظر في كل اعماله العسكرية وغير العسكرية، والامثلة على ذلك اكثر من ان تحصى .

أصرّ الرسول على قبول شروط هدنة الحديبية ، لانه سبق النظر ، فعرف بفكره الثاقب ، أن قبول هذه الشروط نصر المسلمين ، فهي تؤمن لهم الاستقرار ، وقد رأينا كيف انّ هذا الاستقرار جعل جيش المسلمين يصبح عشرة آلاف مقاتل في فتح مكة ، وكان الفاً واربعمائة في غزوة الحديبية قبل سنتين .

وكانت كل الدلائل تبشر باستسلام قريش يوم الفتح ، ومع ذلك اتخذ الرسول التدابير لمجابهة أسوإ الاحتمالات ، فقسّم قواته الى أربعة رتال ، ودخل مكة من جهاتها الاربع بتشكيلات القتال ، حتى تستطيع قواته القضاء على كل مقاومة بكل سهولة دون ان تباغت من جهة غير متوقعة ، فتكون العاقبة شراً على المسلمين .

لقد كان محمد يفكر بكل كبيرة وصغيرة . ويعدّ لكل أمر عدته ، ويتخذ كافة متطلبات الحذر والحيطة ، لذلك لم يستطع اعداؤه مباغتته في اي موقف، واستطاع ان يباغت اعداءه في اكثر غزواته .

ز - معرفة النفسيات والقابليات

عرف الرسول نفسيات وقابليات اصحابه ، لانه كان يعيش بينهم كفرد منهم يشاركهم في السراء والضراء

عرف مزايا الجميع ، وكلف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية ، لذلك استطاع اكثر اصحابه انجاز مهمتهم بكفاءة واتقان .

استمال قلوب المؤلفة قلوبهم بالمال بعد حنين ، لان المادة كانت تطغى على جوانب تفكيرهم ، اذ لم يستشعروا بعد حلاوة الايمان . قال صفوان بن امية : « ما زال رسول الله يعطيني من غنائم حنين وهو ابغض الخلق الي ، حتى ماخلق الله شيئاً احب إلي منه !! .. »

ولكنه حرم الانصار من الغنائم ، لانهم كانوا اغنياء بايمانهم العظيم ، وقد بكوا حتى اخضلوا لحاهم حين قال لهم الرسول : « افلا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ » ...

قال الانصار : « رضينا بالله وبرسوله قسماً » ..

وأمسك الرسول يوم احد بسيف ، وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه » ؟ فقام اليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام ابو دجانة ، فقال : « وما حقه يا رسول الله ؟ » ...

قال الرسول : « ان تضرب به العدو حتى ينحني »

قاتلَ ابو دجانة بهذا السيف قتالاً شديداً ، فلما دارت الدائرة على المسلمين ، ترس بنفسه دون رسول الله ، فحنى ظهره عليه والنبل يقع فيه .

لقد كان الرسول يعرف ان بين اصحابه شجعاناً مغاوير ، فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعة كأبي دجانة ؛ وكان يعرف ان بين اصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت ، فتركه مع النساء يوم احد والخندق واستفاد من شعره البليغ للدعاية ، وكان يعرف من بينهم صاحب الرأي والمشورة ومن

بينهم من يستطيع قيادة غيره . ومن بينهم من لا يستطيع ان يكون اكثر من جندي بسيط ، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع إنجازه .

انه لم يحمل شخصاً فوق مـا يطيق ، وهذا دليلٌ على معرفته نفسيّات وخواص وقابليات اصحابه جميعاً .

ولعلّ اهم ميزة يمتاز بها الرسول على غيره من القادة والرسل ، هي انه كان قديراً على اختيار الرجال لما يناسبهم من اعمال .. انه كان يعرف النفسية البشرية ويقدرها حق قدرها ، ويعرف كيف يوجهها الى ما يناسبها .

ح ـ الثقة المتبادلة

كانت ثقة اصحاب الرسول به عظيمة جداً ، كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة ايضاً ، ويكفي ان تذكر موقف المسلمين من صلح الحديبية ،أذ لولا ثقتهم العظيمة بالرسول ، لرفضوا هذا الصلح .

امـا ثقته بأصحابه فيكفي للدلالة عليها انه قبل زج قواته في معركة بدر بينما كانت قوات المشركين ثلاثة امثال قواته كما زجّ بهم في معركة احد بينما كانت قوات المشركين خمسة امثال قواته .. الخ

ولا يمكن ان يقبل القائد الاشتباك بمعركة لا يعرف مصيرها ضد اعدائه المتفوقين على قواته تفوقاً ساحقاً ، الا اذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جداً ...

ط ـ المحبّة المتبادلة

ظهرت محبة الرسول لاصحابه ، ومحبة اصحابه له في كل غزواته ، بل في كلّ موقف له في السلم والحرب .

حسبنا ان نذكر موقف اصحابه منه في معركة احد ،لما احدق به المشركون من كل جانب وصوّبوا عليه نبالهم ، فأخذ المسلمون يصدّون عنه النبال المصوبة عليه بأجسادهم ، ولم يقتصر ذلك على الرجال ، بل شمل النساء ايضاً ، فقد ألقت

نسيبة سقاءها ، واستلّت سيفاً وأخذت تذود به عن محمد حتى خلدت الجراح اليها ، فأصيبت يومذاك بثلاثة عشر جرحاً ، وأغمي عليها من النزيف ، فلما افاقت لم تسأل عن زوجها ولا عن ولديها اللذين كانا يقاتلان مع الرسول ، بل سألت اول ما سألت بعد ان عاد اليها وعيها : « وكيف حال الرسول ؟ » ..

ولما مرض مرضه الذي توفاه الله فيه، اعتكف في بيت عائشة ، فرفع الرسول الستر المضروب على منزل عائشة وفتح الباب وبرز للناس ، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم ابتهاجاً برؤيته .

ولما قبض الرسول وتسرّب النبأ الفادح ، شعر المسلمون ان آفاق المدينة اظلمت عليهم ، فتركتهم لوعة الثكل حيارى لا يدرون ما يفعلون .

لقد كان اصحاب الرسول يحبونه اكثر من حبهم انفسهم ، لان حبهم له دين ، ولو لم يكن ديناً لاحبوه أيضاً ، لانه يستحق الحب والتقدير .

اما حب الرسول لاصحابه، فيكفي ان نذكر كيف نعى شهداء مؤتة وعيناه تذرفان ، وكيف انه رفض ما اقترحه عمر حول قتل حاطب بن ابي بلتعة ، لانه ارسل كتاباً الى قريش يخبرهم فيه بحركة المسلمين لفتح مكة ، بل على العكس، امر الرسول ان يذكر المسلمون حاطباً ، بأفضل ما فيه .

لقد كان يحب اصحابه حباً لا مزيد عليه ، فإذا سلم عليهم لا يكون البادىء ابداً بسحب يده عن السلام ، وكان يلقى الناس دائماً بوجه باسم متهلل ، وكان يلبّي الدعوة وكان البادىء دائماً اصحابه بالتحية .

ما اعظم هذا الحب المتبادل بين القائد وجنوده !

ي ـ الشخصية

ارسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي لمفاوضة الرسول في الحديبية ، فعاد الى قريش يقول : « يا معشر قريش ، اني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد .

لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا اخذوه ، وانهم يسلموه لشيء أبداً . »

بهذا الوصف الرائع يصف مشرك من اعداء الرسول شخصيّة الرسول

فما هي اسباب هذه الشخصيّة القوية النافذة التي كان يتحلى بها الرسول ؟

لقد كان الرسول متواضعاً حليماً ، رؤوفاً ، رحيماً ، ومع ذلك لا يستطيع احد ان يرفع صوته فوق صوت النبي ، ولا يستطيع احد ان يديم النظر الى وجه الرسول ، ولا يستطيع احد ان يرد له امراً او يتردد في تنفيذه .

إن أسباب قوة شخصية الرسول ، هي محبته للناس جميعاً ورغبته الشديدة في خيرهم وهدايتهم ، وخلقه العظيم .

تقول كتب علم النفس الحديث : « إن الذين يعملون على إفادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الانساني ، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعاً ، وهم في الغالب أقربها الى درجات التكامل .

« إن درجة تكامل الشخصية تتناسب تناسباً « طردياً » مع اتساع دائرة المجتمع الذي يرمي الفرد الي إسعاده ، فأقلها تكاملاً التي يسعى صاحبها فقط لإسعاد ذاته إذ لا بد أن تتعارض نزعاته الذاتية مع نزعاته الاجتماعية في تحقيق غايته الذاتية .

« ويليها من يسعى صاحبها لاسعاد اسرته وأولاده ، ثم يليها من يعمل صاحبها على إسعاد أقاربه ، ويليها من يعمل على إسعاد هؤلاء واصدقائه ، ويليها من يعمل لاسعاد أهل بلده أجمعين .

« وهكذا الى ان تصل إلى من همّه الاول والاخير إسعاد المجتمع بأوسع معانيه ، وهنا قد نصل الى مرحلة رُبما تبدو مجرّدة كالبحث عن الحقيقة ومناصرة العدل وخدمة المجتمع » .

هذا نص ما تقوله كتب علم النفس الحديث . أرأيت كيف أنها تقرّ استبعاد إمكان أن يكون هناك إنسان همه الأول والأخير إسعاد البشر ؟

انّ الرسول فعل ذلك ، بل فعل أكثر من ذلك ، ومن حق هؤلاء العلماء أن يستبعدوا إمكان وجود انسان مثالي ، كان همه اسعاد الناس بل اسعاد العالمين لأنهم يجهلون سيرة الرسول الذي يقول : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبّه لنفسه » .

فلا عجب أن تكون له كل هذه الشخصية الفذّة بكل هذا النور والجلال .

ك ـ القابلية البدنية

كانت للرسول قابلية بدنية فائقة ، وقد رأيت كيف يلجأ اليه اصحابه عند حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخرة فيسرع اليها لتحطيمها ، حيث تتفتّت تحت وطأة مطرقته التي يهوي بها ساعده القوي .

شارك أصحابه في حراساتهم وفي استطلاعاتهم وفي مسيراتهم الطويلة الشاقة في كافة فصول السنة ، وأظهر في كل ذلك تحملاً وجلداً يعجز عنه أقوى أصحابه .

ل ـ الماضي الناصع المجيد

كانت العرب تعتقد بالنسب ، والرسول من قريش أشرف العرب ومن بني هاشم أشرف قريش ، ولذلك هو أشرف العرب حسباً وأفضلهم نسباً من قبل أمه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن قبل أبيه عبدالله بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف .

أما سيرته الشخصية قبل بعثته صلوات الله عليه ، فلأترك سير وليم ميور (Sir William Muir) يتحدث عن ذلك ، وقد اوردت هذا الحديث عمداً ـ على اعتبار ان كاتبه ليس مسلماً ـ حتى استبعد اتهام كاتبه بالتعصب والمغالاة .. يقول ميور : « تجمع كل مراجعنا وأسانيدنا ـ فيما ينسب الى محمد في شبابه من سيرة التواضع والاحتشام وطهارة الخلق ـ على صورة نادرة الوجود بين المكيّين ـ » . ثم يعود فيقول : « ربما وهب له من عقل راجح وذوق رفيع

وحرص دقيق وعمق في التأمل ، عـــاش منطوياً على نفسه طويلاً ، متخذاً من تأملاته العقلية ـ دون ريب شاغلاً لوقت الفراغ الذي كان يقتله غيره ـ من ذوي الطابع الخسيس ـ باللهو السمج والفجور الماجن والسلوك الخليع . وقد وقع خلق ذلك الشاب القويم ومسلكه الورع والعف موقع الحمـــد والثناء من قلوب قومه جميعاً وباجماعهم عن طيب خاطر نال لقب (الصادق الأمين) .

ويقول : « لم يولع محمد بالثراء أبداً ولم تبد منه في أية فترة من فترات حياته الرتيبة الهادئة الوادعة على جلبة الرحلة وضوضاء التجارة وهموم السفر ، ولم يكن محمد ليفكر ابـــداً من تلقاء نفسه في مثل هذه الرحلة ، ولكن مـا ان اقترح عليه ذلك حتى استشعر نفسه الكريمة على الفور ضرورة البذل لما في وسعه من جهد مساعدة لعمه » .

كانت حياته لا سيما في فجرها المبكر تتميز بالحنو والعطف على اليتيم والفقير والأرمل والبائس والضعيف والرقيق ، ولم يذق الخمر أبداً ولم يلعب الميسر ... يقول ميور : « ان أوثق برهان على صـــدق محمد وإخلاصه ، ان كان اسبق الداخلين في الاسلام من ذوي الاستقامة في خاصة أصفيائه وأهل بيته ، الذين لا يستطيعون ـ مع معرفتهم الوثيقة بدقـــائق حياته الخاصة تفصيلاً ـ أن يفوتهم بحال من الاحوال إدراك مـــا تنطوي عليه أساليب الأفاكين في نفاقهم . من إسدال السجف والاستار على ما يأتون من أعمـــال تتناقض حقائقها في سريرتهم مع ما يدعون اليه جهراً » .

واسمع الى زوجه خديجه تقول له مشجعة عندمـــا جاءه الوحي : « ابشر يا ابن العم واثبت . فوالذي نفس خديجة بيده اني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة . والله لا يخزيك الله أبداً . انك لتصـــل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » .

واسمع قول الله تعالى فيه « وانك لعلى خلق عظيم » .

لقد كان ماضي الرسول مجيداً مشرفاً باجماع اصحابه وأعدائه على حد سواء .

م - معرفة وتطبيق مبادىء الحرب (١)

كان الرسول يعرف مبادىء الحرب بالفطرة السليمة التي تدلّ على استعداده الفطري الممتاز للقيادة.

وقد طبّق الرسول هذه المبادىء في معاركه كلها، مما كان له أثر حاسم في انتصاراته.

لقد تطرقنا عند بحث أعمال الرسول العسكرية الى أمثلة كثيرة من تطبيقه العملي لمبادىء الحرب العشرة: اختيار المقصد وادامته، التعرض، المباغتة، تحشيد القوّة، الاقتصاد بالمجهود، الأمن، المرونة، التعاون، إدامة المعنويات، الامور الادارية.

وسنذكر بعض هذه الامثلة، للدلالة على تطبيق هذه المبادىء بكفاءة تدعو الى الاعجاب.

أولاً - اختيار المقصد وادامته (٢)

كان الرسول يختار مقصده بالضبط، ويفكر في أقوم طريقة للوصول اليه، ثم يقرّر خطة مناسبة للحصول عليه.

لقد ظهر مبدأ (اختيار المقصد) في اول معاهدة عقدها الرسول بعد هجرته الى المدينة، تلك المعاهدة المعقودة بين المسلمين من جهة، والمشركين واليهود من

---

(١) مبادىء الحرب:

هي الجوهر الذي ينشىء في القائد (السجية) الصحيحة في تصرفاته في الحرب، وهي العنصر الذي يتكوّن منه مسلك القائد في اعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة.

(٢) اختيار المقصد وادامته:

في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح. ان المقصد النهائي هو تحطيم ارادة العدو على القتال، يجب ان توجه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الاعلى، ولكن لكل منها له مقصد محدود يجب ان يعرف بوضوح.

أهل المدينة من جهة أخرى ، فنصت تلك المعاهدة على انه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .

إن قريشاً أخرجت الرسول وأصحابه من مكة ظلماً وعدواناً فمن حقه ان تكون قريش (مقصده) الحيوي الذي يختاره .

ولعل من ابرز امثلة (اختيار المقصد ، ما فعله الرسول في غزوة الحديبية . لقد كان (مقصده) من تلك الغزوة التأثير على معنويات قريش من غير قتال . فخرج محرماً واستصحب أسلحة الراكب ؛ فلما علم باقتراب قوات قريش من قواته ، ترك الطريق العام الى طريق فرعية وعرة للتملص من القتال ، حتى وصل بقواته الى الحديبية ، وبقي هناك مصراً على (مقصده) ، فأفسح المجال للمفاوضات ؛ وعندما هاجم بعض المشركين معسكر قواته وألقى المسلمون القبض على المهاجمين ، أطلق سراحهم دون أن يلحق بهم أذى .

وبقي مصراً على هدفه في عدم مهاجمة قريش ، حتى تمّ له عقد صلح الحديبية ، على الرغم من تذمر بعض أصحابه من هذا الصلح .

ان الرسول كان (يختار مقصده) تماماً ولا ينساه أبداً في كافة أعماله العسكرية وغير العسكرية .

ثانياً ـ التعرض (١)

يمكن اعتبار كافة غزوات الرسول تعرضية ، ما عدا غزوتي أحد والخندق ، اذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم في منطقة المدينة وتعرضوا على المسلمين .

لقد استطاع الرسول بشتى الأساليب الحصول على المعلومات عن نوايا اعدائه قبل وقت مناسب ، وبذلك استطاع أن يتعرض بأعدائه ويقضي على نواياهم العدوانية .

---

(١) التعرض

هو الهجوم على العدو لسحقه ، ولا يتم الحصول على النصر الا بالتعرض وحده .

ان التعرض ليس معناه التحرش ، بل معناه الروح الهجومية التي يتحلى بها القائد ، لأن الدفاع وحده لا يؤدي الى النصر الحقيقي بل الى نصر موضعي فقط في حالة نجاحه ، أما التعرض فيؤدي في حالة نجاحه الى النصر .

ثالثاً ـ المباغتة(١)

المباغتة احداث موقف لا يكون العدو مستعداً له،والكتمان من أهم الوسائل المهمة التي تؤدي المباغتة .

إن الكتمان يتمّ إما باخفاء استعداداتنا أو باخفاء نوايانا . أو باستعمال اسلحة جديدة او استعمال الأسلحة الموجودة بطريقة جديدة .

والمباغتة اما ان تكون في المكان او في الزمان في الأسلوب : لقد طبق الرسول مبدأ المباغتة بكافة هذه الحالات ، حتى يمكن اعتبار غزواته نماذج رائعة لتطبيق أساليب المباغتة .

كانت المدينة هي القاعدة الأمينة للمسلمين ولكنها كانت تعج (بالرتل الخامس(٢)) الذين لا يريدون خير المسلمين ويعملون على احباط أهدافهم بشتى الطرق والأساليب .

---

(١) المباغتة :
المباغتة أقوى العوامل وابعدها أثراً في الحرب ، وتأثيرها المعنوي عظيم جداً ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم .
وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغتة :
١ - بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية وبكتمان جسامة القوات الاحتياطية .
٢ - بالتنقل السريع للقطعات من نقطة الى اخرى تمهيداً لانزال الضربة على موضع لا يتوقعه العدو .
٣ - باستخدام الارض الشديدة او بعبور الموانع التي تعتبر غير قابلة للعبور .
٤ باستخدام اسلحة جديدة غير متوقعة او اساليب تعبوية جديدة .

(٢) الرتل الخامس : كناية عن الجواسيس والوكلاء والعيون والارصاد .

من هؤلاء الرتل الخامس اليهود والمنافقون وعيون قريش من الاعراب وعيون الروم من الأنباط ، وكان هؤلاء ينقلون اخبار المسلمين الى اعدائهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ولكن الرسول حرص على كتمان نواياه حرصاً شديداً، فكان اذا اراد غزوة ورّى بغيرها ، فينقل الرتل الخامس تلك المعلومات الخاطئة ، مما يؤدي الى بلبلة افكار اعداء المسلمين .

ومن أمثلة الكتمان الشديد . تلك (الرسالة المكتومة) التي ارسل بها مع عبدالله بن جحش .

لقد امر الرسول عبدالله بن جحش الا يفتح هذه الرسالة إلا بعد يومين من مسيره ، فاذا فتحها وفهم مضمونها مضى في تنفيذها ، وبهذه الطريقة لم يستطع احد من اهل المدينة على اختلاف اهوائهم وميولهم ، ان يعرف نوايا الرسول ولا واجب سرية عبدالله وهدفها .

وقد اخفى نواياه في غزوة الفتح حتى عن اهله وصديقه ابي بكر دخل ابو بكر على ابنته عائشة زوج النبي وهي تهيء جهاز الرسول ، فقال لها : « اي بنيّه . أأمركم رسول الله ﷺ ان تجهزوه ؟ » قالت : « نعم ، فتجهز » . قال ابو بكر : « فأين ترينه يريد ؟ » قالت : « والله لا ادري » . بهذا الكتمان ، استطاع الرسول ان يحرّك جيشاً كبيراً من عشرة آلاف مسلم لفتح مكة دون ان تستطيع قريش معرفة وقت حركته ولا نواياه ، حتى وصل الجيش الى ضواحي مكة ، فاضطرت قريش على التسليم .

ومن امثلة المباغتة في المكان غزوة بني لحيان ، فقد تحرّك الرسول بقواته شمالاً باتجاه الشام حتى لا تعرف قريش وبنو لحيان إتجاه حركته الحقيقي ، فلما انتشرت أخبار حركة المسلمين الى الشمال ، عاد الرسول بقواته فجأة باتجاه بني لحيان ، وبذلك باغتهم في المكان .

وفي غزوة خيبر تحرك الرسول الى (الرجيع) قريباً من ديار غطفان (وبعد ان ارسل مفرزة صغيرة من قواته الى معسكر غطفان ، عاد بقواته الرئيسية

الى خيبر، وبهذه الحركة اوهم غطفان بأنه يريدهم واوهم يهود خيبر بأنه لا يريدهم. فباغت الطرفين ومنع تعاونهما في قتال المسلمين.

ومن امثلة المباغتة في الزمان غزوة بني قريظة اذ تحرّك الرسول اليهم في وقت لا يتوقعونه، فشلّ معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة حتى نهاية المعركة.

كما أن مسير الاقتراب الذي أجراه الرسول في غزوة خيبر بهدوء وسكينة حتى وصل موضع خيبر ليلاً وأكمل تطويقها في نفس الليلة دون أن يستطيع اليهود معرفة وقت وصوله وتطويقه لقصبتهم، وهذا المسير يعتبر مباغتة في الزمان.

ومن أمثلة المبـــاغتة في الأسلوب. قتال الرسول باسلوب الصف في غزوة (بدر) تجاه قريش التي قاتلته باسلوب الكر والفر، ومن الطبيعي أنّ أسلوب الصف له الأرجحية على أسلوب الكر والفر من الناحية العسكرية.

كما أن حفر الخندق في غزوة الأحزاب كان مباغتة في الأسلوب ايضاً، لأن العرب لم تكن تعرف إنشاء الخنادق لغرض الحماية في الحصار.

وقد استخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف، وهذا مباغتة في الأسلوب ايضاً. إن القائد العبقري هو الذي يطبّق مبدأ المباغتة في معاركه، والرسول قد طبّق هذا المبدأ بكل معاركه، ممـــا كان له اعظم الأثر على نتائجها الحاسمة.

رابعاً ـ تحشيد القوة(١)

منذ نزل الوحي على محمد فأصبح رسول الله، وهو يعمل جاهداً، في سبيل نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وانتشار الدعوة معناه ازدياد قوة المسلمين وإكمال تحشّدهم.

---

(١) **تحشيد القوة**

هو حشد اعظم قوة ادبية وبدنية ومادية واستخدامها في الزمان والمكان الحازمين.

وهجرته الى المدينة من الناحية العسكرية ، معناها تحشد المسلمين في منطقة واحدة ليكونوا تحت قيادة واحدة .

ولم يبدأ الجهاد في الإسلام ، إلا بعد إنجاز التحشد ، إذ اصبح المسلمون بدرجة من القوة يستطيعون معها الدفاع عن الإسلام .

لقد رأينا في بيعة العقبة الثانية كيف انكشف للمشركين أمر هذه البيعة ، وكيف أظهر الأنصار في حينه عدم اكترائهم بخطر انكشاف بيعتهم . قال العباس بن عبادة : « يا رسول الله ، والله الذي بعثك بالحق ان شئت ، لنحملن على أهل منى غداً بأسيافنا » .

ولكن الرسول كان أبعد نظراً وأرفع من أن تؤثر عليه العاطفة ، فقال له : « لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم » ..

فلما أنجز الرسول استحضارات تحشده في المدينة ، وعاهد أهلها من اليهود والمشركين ، بدأ القتال فعلاً ، لأن قوات المسلمين حينذاك أصبحت من الناحيتين المادية والمعنوية قادرة على حماية الدعوة وصيانة حرية الرأي .

إن الرسول طبق مبدأ التحشد في كل غزواته ، ولم يتردد أبداً في تحشيد أكبر قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها .

خامساً - الاقتصاد بالجهود(١)

راعى الرسول مبدأ الاقتصاد بالجهود في كل غزواته ، ولم يندب قوة لواجب ما إلا وهي كافية لذلك الواجب من كافة الوجوه .

---

(١) الاقتصاد بالجهود

هو استخدام اصغر القوات للامن أو لتحويل انتباه العدو الى محل اخر او صد قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة .

ان الاقتصاد بالجهود يدل على الاستخدام المتوازن للقوى والتعرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على التحشد المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين .

نظرة بسيطة الى الملحق (ح) ومقـــارنة قوات المسلمين بقوات اعدائهم ، تظهر بوضوح مقدار حرص الرسول على تطبيق مبدأ الاقتصاد بالقوة .

سادساً ـ الامن(١)

لقد أمن الرسول حماية قواته في كافة غزواته ، وبذل جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات ، وبذلك طبّق مبدأ الأمن .

إن دوريات الاستطلاع والطلائع والساقات التي كان يؤمنها الرسول في مسير الاقتراب وعند العودة من غزواته كان لغرض حماية قواته من مباغتة العدو لها .

كما أن تأمين الحراسات والعسس هو لحماية قواته ايضاً من مباغتة العدو لها .

وكما حرص الرسول على الحصول على المعلومات من اعدائه بشتى الوسائل كما رأينا سابقاً ، فقد حرص على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين بشتى الوسائل ايضاً ..

وطبّق مبدأ الكتمان في كل أعماله،وحثّ المسلمين على حفظ الاسرار وعدم اباحتها ، وأمر ان يسارع المسلمون باخباره عن كل حادث مهم .

والحق ان المتتبع لحياة الرسول يعجب اشد الإعجاب بمعرفته فوراً بكل المعلومات التي تهمه وتؤثر على المصلحة العامة للمسلمين .

كيف عرف برسالة حاطب بن ابي بلتعة التي اخبر بها قريشاً بحركة المسلمين لفتح مكة ؟ كيف عرف بإزماع ابي سفيان على القدوم الى المدينة لتمديد فترة الهدنة ؟ كيف عرف كل حركات المنافقين وكل مؤامرات اليهود وقضى عليها؟ كيف احبط كل هذه المؤامرات ومنع افتضاح نوايا المسلمين ؟

كل ذلك يدل على حرصه على كتمان نوايا المسلمين ، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات عن اهداف ومقاصد وحركات المسلمين .

---

(١) الامن :

هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ومنع العدو من الحصول على المعلومات.

سابعاً ـ المرونة(١)

كانت قوات المسلمين تتحرك الى اهدافها بكفاءة وسرعة .

لقد استطاعت قوات المسلمين ان تصل الى اهدافهـــا في الوقت المناسب ، فتقوم باحبـــاط نوايا العدو العدوانية ، قبل ان يكمل استعداداته التي تساعده على النجاح .

وصلت قوات المسلمين الى دومة الجندل ، والى تبوك ، والى ربوع فلسطين والى الطائف ، وكل هذه الأمـــاكن بعيدة عن قاعدة المسلمين ـ المدينة ، وقد قطعت اكثر هذه المسافات ليلاً ، وفي ظروف قاسية من ناحية المشاكل الإدارية والطقس ، كما استطاع المسلمون ان يستمروا في الحركة ثلاثين ساعة متتابعة عند عودتهم من غزوة المصطلق .

وقد رأيت كيف كان الرسول مرناً في وضع خططه وفي تنفيذها وكيف انه يعدل في تلك الخطط ، عند الحاجة حسب الظروف الراهنة .

كل ذلك يدل على تطبيق الرسول مبدأ (المرونة) وتحريك قواته بسرعة لا تقل سرعة واتقاناً عن اقوى جيش حديث في هذا العصر ، لأن المسيرات الليلية وقطع المسافات الطويلة والاستمرار في المسير ثلاثين ساعة كاملة ، دون استراحة ، يدل على تدريب راق وكفاءة ممتازة .

---

(١) المرونة :

ان المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ (قابلية الحركة) اصبح يسمى الآن مبدأ (المرونة) . ذلك لان (قابلية الحركة) تدل على الحركة المادية وهي صفة نسبية لا يعـــبر عنها تعبيراً صحيحاً الا بالمقاومة مع قابلية حركة العدو .

ان (المرونة) تعني اكثر من ذلك ، انها لا تتضمن قوة الحركة فحسب بل قوة العمل السريع كذلك ، فعلى القـــائد ان يكون مرن الفكر وعليه ان يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته وان تكون خططه بشكل يمكنه من ان يعدل سريعاً حركات قواته حين تضطره الظروف غير المنظورة .

ثامناً ـ التعاون(١)

لقد رأينا كيف تعاون الرماة مع السيافة في غزوة بدر، فقد نضح الرماة المشركين بنبالهم واوقعوا فيهم خسائر فادحة سهلت مهمة هجوم السيافة للقضاء نهائياً على مقاومة قريش.

كما راينا تعاون الفرسان مع المشاة في الغزوات الاخرى.

لقد أمّن الرسول مبدأ التعاون في غزواته كلها، وذلك باعطاء كل صنف واجباً يناسبه، كما ان تعاون الصفوف فيما بينها في الوقت والمكان الجازمين، وبذلك امن تسهيل مهمة الجميع للوصول الى النجاح المطلوب.

تاسعاً ـ إدامة المعنويات

يمكن تعريف المعنويات: بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرّب عن العصابات: بها تظهر الطاعة القائمة على الحب وتبرز الشجاعة في القتال والصبر على تحمل المشاق، وتبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعاً باسلاً صبوراً.

ولست بحاجة الى التحدث عن طاعة جنود محمد القائمة على الحب المتبادل والثقة المتبادلة. ولا عن شجاعتهم وجلدهم في القتال وصبرهم على تحمل المشاق بعزم لا يعرف التخاذل والانهزام.

حسبي ان اذكر فقط بقصة الحدثين الصغيرين اللذين قتلا ابا جهل في معركة (بدر) الكبرى والتي رواها عبد الرحمن بن عوف، وحسبي ان اذكر ايضاً بقصة نسيبة المازنية (ام عمارة) في معركة (احد)، وهاتان القصتان معروفتان ورد ذكرهما في محلهما من هذا الكتاب.

فاذا كانت معنويات الفتيان الاحداث والنساء من المسلمين بهذا المستوى الرفيع، فكيف تكون معنويات الرجال؟

---

(١) ـ التعاون:

هو توحيد جهود كافة الصنوف والقطعات لبلوغ الغرض.

وبهذه المناسبة فان أوثق المفسرين للقرآن يقولون : بأن الإمداد الملائكي لم يكن امداداً حسياً بل امداداً معنوياً .

إن مما يديم المعنويات هو وجود أهداف يؤمن بها الجنود بصورة خاصة والشعب بصورة عامة ، وقد كانت أهداف المسلمين جميعاً حينذاك هي إعلاء كلمة الله والعمل على حرية نشر الدعوة الاسلامية بدون تدخل احد ونشر ربوع السلام بين الناس كافة — تلك الأهداف التي آمن بها المسلمون ايماناً عميقاً وضحّوا في سبيلها بكل ما يمتلكونه من غالٍ ورخيص : « إنفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » .

كما ان صفات الزعامة الحقة هي التي تخلق المعنويات وتديمها ، فاذا كانت الامة محظوظة تهيأ لها زعيم عظيم حكيم شجاع يبعث الثقة الحقيقية في الامة .

ولست أعرف زعيماً لأمة قديماً أو حديثاً امتلك صفات الزعامة الحقة كما امتلكها الرسول ، إذ كان في صفاته ومزاياه رجلاً يعادل أمة او له أمة تعادل رجلاً كما يقولون .

فلا عجب ان تحلى المسلمون بالمعنويات العالية عندما كانوا ضعفاء تتخطفهم الناس من كل جانب في مكة عقر دارهم ، وعندما أصبحوا اقوياء يسيطرون على الجزيرة العربية كلها دون منازع .

عاشراً - الامور الادارية

مهما تكن خطة الحركات دقيقة مرنة معقولة ، فلا تؤتى ثمراتها المتوقعة إذا تعذّر تنفيذها من الوجهة الإدارية ، بل يمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك بالقول : : إن كل خطة مرهونة بإمكانياتها الإدارية .

لقد اهتم الرسول بالامور الإدارية كثيراً في كل معاركه ، فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق والماء والنقلية والسلاح .

ولقد قرن الاسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال : « الذين آمنو وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم

الفائزون » ... « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .. « ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله، ولله ميراث السموات والأرض » .. « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » .. « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » .

ال يلاحظ من تلك الآيات الكريمة ، أن المال يقدّم على الأنفس دائماً ، مما يدل على اهتمام الاسلام بالامور الادارية .

ويقول في الخيل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .. ويقول : « والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً » ...

ويقول في الحديد الذي يعمل منه السلاح : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوي عزيز » .

لقد أنفق المسلمون الأولون أموالهم في سبيل الله : مات الرسول ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير ، وأنفق أبو بكر جميع ماله في سبيل الله وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين . وانفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهّز عثمان بن عفان جيش العسرة في غزوة تبوك بالاضافة الى الاموال الطائلة التي أنفقها على غيرها من الغزوات ، أما آل محمد فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « والله ما أمسى من آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات » والله ما قالها استقلالاً ولكن أراد أن تتأسى به أمته !

لقد أتعب الرسول وأصحابه من يريد التأسي بهم من المسلمين بعدهم . فأين تضحياتهم حتى بأبسط ضروريات الحياة في سبيل الله والمصلحة العامة قبل أربعة عشر قرناً من زعماء الشرق والغرب في القرن العشرين ، اولئك الذين يتاجرون

بالدفاع عن الفقير والعامل والفلاح بالظـــاهر بينما يعيشون بالحقيقـة مترفين في رخاء عظيم ! !

٣ ـ مزايا اخرى

أ ـ المساواة

ساوى الرسول نفسه بأصحابه في كل شيء ، بل استأثر لنفسه دونهم بالخطر ومضاعفة الجهد وتحمّل المسؤولية ، والحرمان الشديد .

حمل الحجارة والتراب والجريد واللبن كأي فرد من المسلمين عند بناء المسجد في المدينة .

وفي مسير الاقتراب الى بدر ، قسم الإبل المتيسرة وعددهـا سبعون بعيراً بين أصحابه ، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي بعير يعتقبونه ، تماماً كما يفعل أي فرد من افراد قواته .

قال شريكا الرسول في البعير : « نحن نمشي عنك » قال الرسول : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الاجر منكما » ...

وفي غزوة الخندق ، حفر بيده وحمل الاحجـــار والاتربة على عاتقه . قال البراء بن عازب : « كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرّ بطنه » . لقد وارى التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر .

وشارك أصحابه في طعامهم وشرابهم ولبـــاسهم ، بل آثرهم بالنفيس منها واستأثر دونهم بالخشن .

وتحمّل أخطر المواقف بنفسه ، ولم يترك أصحابه يتعرضون للخطر وحدهم. لقد سخّر نفسه لخدمة أصحابه ، بينما سخّر القادة قواتهم لخدمتهم ..

ب ـ الاستشارة

كان الرسول يستشير أصحابه في كل المواقف التي لها أثر على مصالح المسلمين عسكرية وغير عسكرية .

إستشارهم في كافة غزواته عدا غزوة الحديبية، وأخذ بآرائهم حتى ولو كانت تخالف رأيه ، كما حدث فعلاً في غزوة أحد ، فقد كان يرى البقاء في المدينة ، بينما رأى اكثرية اصحابه الخروج .

اما اسباب عدم استشارتهم في غزوة الحديبية . فلأنه كان يصرّ على نواياه السلمية التي تؤمن له الاستقرار الضروري لانتشار الاسلام ، وكان لبعد نظره المدهش يعرف ان نتائج الصلح ستكون خيراً شاملاً للدعوة ، بينما كان اصحابه يريدون النصر العاجل قبل اوانه .

ج ـ اساليب جديدة

طبق الرسول اساليب جديدة في القتال .

طبّق اسلوب القتال بالصفوف في بدر ، فتغلب بهذا الاسلوب على قوات قريش التي بلغت ثلاثة امثال قواته ، لانهم قاتلوا بأسلوب الكرّ والفر .

وحفر الخندق في غزوة الاحزاب ، ولم تكن العرب تعرف هذا الاسلوب .

وطبّق أسلوب قتال المدن والاحراش في غزوة بني النضير وبني قريظة وخيبر ، ومن المدهش ان يطبّق الرسول نفس الاسلوب الذي يطبق في الحرب الحديثة في مثل هذا القتال .

واستخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف ، وكان استعمال هذين السلاحين نادراً عند العرب حينذاك .

وانتخب مقراً له في غزوة بدر ، مراعياً شروط انتخاب المقر ، وأمّن حراسته كما يجري في الحرب الحديثة .

وقسّم الاعمال وأمن السيطرة على إنجازها ، كما حدث في حفر الخندق .

وقام بالهجوم فجراً ، ذلك الهجوم الذي يحتاج إلى كفاءة وتدريب ممتازين كما حدث في غزوة بني المصطلق .

وابتكر اسلوب الرسائل المكتومة ، على حين يفاخر الالمان في العصر الحاضر بأنهم اول من ابتكروا هذا الاسلوب .

بل انه طبق الحرب الاجتماعية بجذافيرها ، فحشد كل القوى المادية والمعنوية للأغراض العسكرية ، وذلك ليؤمن حماية الدعوة من اعدائها الكثيرين ، بينما لم تعرف هذه الحرب الا في الحرب العالمية الثانية فقط ، واستأثر الألمان بالمفاخرة في ابتكارها .

٤ - قيادة مثالية

رأينا كيف كان الرسول يتحلى بكافة صفات القائد المثالي ، كما تنص عليها اوثق المصادر العسكرية الحديثة .

ورأينا كيف طبق كل مبادىء الحرب بكل كفاءة ، ورأينـــا كيف انه تحلى بمزايا أخرى لم تنص عليها المصادر العسكرية لاستبعاد المفكرين العسكريين امكان توفرها في القادة .

ورأينا كيف طبق اساليب جديدة مبتكرة واستخدم أسلحة جديـــدة في القتال ، فأي قائد تحلى بكل هذه المزايا وطبق كل مبادىء الحرب وابتكر كل هذه الاساليب ؟

ذلك هو السبب الأول لانتصار المسلمين على أعدائهم ، وقديماً قالوا : لم يغلب الرومان الغال ولكن قيصر .

السبب الثاني

جنود ممتازون

١ - مزايا الجندي الممتاز

تتلخص مزايا الجندي الممتاز بما يلي :

عقيدة راسخة ، ومعنويات عـالية ، وضبط قوي ، وتدريب جيد ، وتنظيم صحيح ، وتسليح ممتاز .

تلك هي مزايا الجندي الممتاز في كل زمان ومكان ، فهل كان جنود محمد يتحلّون بهذه المزايا العالية التي تجعلهم جيشاً كفوءاً من كافة الوجوه ، ام انهم لا يختلفون بشيء في ذلك عن الأعراب الذين كانوا ينتمون اليهم ؟

والحق ان الرسول هو الذي جعل جيش المسلمين يتحلى بكل هـذه المزايا الرفيعة ؛ فقد بذل غاية الجهد ليغرس كل هذه المزايا في نفوس المسلمين ، وبذلك كوّن منهم قوة لا تُغلب ، وكانوا قبل حين كغيرهم من القبائل الأخرى ؛ تطغى عليهم الانانية الفردية ، ولا يعرفون معنى الضبط والنظام ، وليست لديهم عقيدة بالمعنى الصحيح .

ليس من السهل أبداً ، نجاح الرسول في تبديل نفسيّة رجاله من حال الى حال، ونجاحه هذا هو معجزة واقعية اكبر وأعظم من معجزات الخيال .

٢ - تفصيل المزايا

ا - عقيدة راسخة

آمن المسلمون برسالة محمد ، فهم يقاتلون لحماية مـا آمنوا به من العدوان ، حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وفي سبيل الدفـاع عن عقيدتهم التي آمنوا بها

كل الايمان ، تركوا أوطانهم وأموالهم وعرّضوا أنفسهم للخطر ، وقاتلوا حتى اولادهم واهليهم وعشيرتهم . لقــد بذلوا كل شيء رخيصـــاً في سبيل المبدأ الذي اعتنقوه .

التقى الآباء بالابناء والاخوة بالاخوة والاهل بالأهل : خالفت بينهم المبادىء ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ؛ وكان عتبة ابن ربيعة مع قريش ، وكان ابنه أبو حذيفة مع محمد ،

وعندما استشار محمد عمر بن الخطاب في مصير أسرى بدر ، قال عمر : « أرى ان تمكنّي من فلان ـ قريب عمر فأضرب عنقه ، وتمكّن علياً من أخيه عقيل ابن أبي طالب فيضرب عنقه ، وتمكّن الحمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين » .

ولما سحبوا جثة عتبة بن ربيعـــة الذي قتل يوم بدر لتدفن في القليب ، نظر الرسول الى ابنه حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغيّر لونه . فقال له : « يا حذيفة ، لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ » .

قال أبو حذيفة : « لا والله يا رسول الله فما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، احزنني ذلك » .

وفي غزوة بني المصطلق ، حاول عبدالله بن أبي ، رأس المنافقين ان يثير الفتنة بين المهاجرين والانصار ، فأصدر الرسول أمر الحركة فوراً حتى لا يستفحل أمر الفتنة ، وعند وصول المسلمين الى المدينة ، تقدّم عبدالله بن عبد الله بن أبي يطلب من الرسول ان يأمره بقتل ابيه لأنه حاول اشعال نار الفتنة ، ولكنّ الرسول عفا عنه قـــائلاً لولده المؤمن : « إنّنا لا نقتله ، بـــل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

وفي غزوة بني قريظة طلب اليهود حضور أبي لبابة لاستشارته ، فسمح !!

له بالذهاب اليهم . سأله اليهود : هل ينزلون على حكم محمد ؟ قـال لهم : نعم ، واشار الى حلقه كأنه ينبّههم الى ان مصيرهم الذبح . لم يعرف أحد من المسلمين بإشارة أبي لبابة هذه الى حلقه حين استشاره اليهود ، ولكنه أدرك لفوره بأنه خان الله ورسوله بإشارته تلك فمضى هائماً على وجهه حتى ربط نفسه الى سارية في مسجد الرسول ، وبقي على حاله هذا حتى تاب الله عليه .

وقبيل غزوة الفتح جاء أبو سفيان إلى المدينـة ، فقصد دار أم حبيبة ابنته وزوج الرسول ، لكنها طوت الفراش عن والدها ، لانهـا رغبت بالفراش عن مشرك نجس وان كان هذا المشرك أباها الغريب .

لقد أنفق المسلمون أموالهم في سبيل الله ، حتى تخلل أبو بكر بالعباءة وكان يملك اربعين الف دينار قبل الاسلام .

فما الذي يدفع لمثل هذه الاعمـال الرائعة غير العقيدة الراسخة والايمـان العظيم ؟

وهل يقاتل أصحاب مثل هذه العقائد كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم الا اهواء الجاهلية وعصبية الانانية وحب الفخر والظهور ؟

ان عقيدة المسلمين بسمو اهدافهم جعلتهم يستميتون بالقتال .

ب ـ معنويات عالية

لا قيمة لأي جيش مهما يكن ضخماً في عدده ، دقيقاً في تنظيمه . ممتـازاً في تسليحه ما لم تكن معنوياته عالية .

كان الجيش الايطالي في الحرب العالمية الثانية مجهزاً بأحدث الأسلحة وأشدها فتكاً ، وكان تنظيمه دقيقاً ، وعدده كبيراً ، ولكن معنوياته كانت منحطّة ، فأصبح عبئاً ثقيلاً على الالمان . وكان الحلفاء يطلقون على المواضـع التي يحتلها الايطاليون تعبير الفراغ العسكري ، لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال كلما حاق بهم الخطر الحقيقي او الوهمي .

شجّع الرسول اصحابه قبل معركة بدر واثناءها وقوّى معنوياتهم ، حتى

لا يكترثوا بتفوق قريش عليهم بالعدد ، فكانت معنويات المسلمين عـالية في تلك المعركة .

حتى معنويات الاحداث الصغار منهم كانت عالية للغاية كما رأيت في تسابق ابني عفراء لقتل أبي جهل .

هل كان بإمكان المسلمين الانتصار بغزوة بدر ، والقيام بمحاربة المشركين بعد يوم من غزوة أحد، والصمود في غزوة الاحزاب والاقدام على غزوة تبوك، لو لم تكن معنوياتهم عالية جداً ؟

وكما عمل الرسول على رفع معنويات اصحابه بشتى الطرق والمناسبات ، عمل على تحطيم معنويات أعدائه بشتى الطرق والمناسبات ايضاً ، ومـا كانت غزوة الحديبية وعمرة القضاء وغزوة تبوك إلا معارك معنويات لا معارك ميدان .

ان عمرة القضاء فتحت قلوب اهل مكة لأنها حطمت معنويـاتهم ، وغزوة الفتح فتحت ابواب مكة .

كما ان نتيجة غزوة تبوك اندحار معنوي للروم ، وبذلك اطمأن العرب الى ان بامكانهم مقاتلة الروم ، وكانوا سابقاً يظنون ان ذلك من المستحيلات .

لقد استهدف الرسول في كل غزواته تحطيم معنويات أعدائه ، بل انه كان يستهدف تحطيم المعنويات اكثر مما يستهدف تحطيم القوى المادية ، لأنه كان يطمع دائماً في عودة أعدائه الى الصراط المستقيم والهداية ، فيحرص على بقائهم أحياء .

ان اكثر غزوات الرسول كانت معارك معنويات تؤثر على النفوس والقلوب لا معارك خسائر تؤثر على الارواح والممتلكات .

ويجب ألا ننسى هنا اثر اعتقاد المسلمين بالقضاء والقدر على رفـع معنوياتهم لاقتحام الاخطار بشجاعة خارقة . لأن المقدّر سيكون حتماً والشهيد في الجنـة كما وانما هي احدى الحسنيين كما يقولون !

ج ـ ضبط قوي

كان المسلمون يطيعون محمداً إطاعة لا حدود لها ، وينفذون أوامره حرفيـاً

بدون تردد وبكل حرص وامانة مهما تكن ظروفهم صعبة وواجباتهم شاقة .

وليس هناك ما يبرّر ذكر أمثلة على قوة ضبط المسلمين ، لأن الأمثـــلة على ذلك اكثر من أن تحصى ، ولأن الاطاعة في الاسلام دين : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم . »

د ـ تدريب جيد

اهتم الرسول بتدريب أصحابه على الرمي وركوب الخيل : « من ترك الرمي بعد ما علمه ، فانما هي نعمة كفرها . »

ولم يقتصر الرسول على حث أصحابه للتدريب المستمر على الرمي وركوب الخيل وهو ما نسميه في الوقت الحاضر : بالتدريب الفردي ... بل دربهم على تشكيلات مسير الاقتراب واساليب القتال وواجبات الحراسات والخفراء ، وهو ما نسميه في الوقت الحاضر بالتدريب الاجمالي .

اتخذ التشكيلات المناسبة في مسير الاقتراب في كافـة غزواته ، فأمّن بذلك الحماية اللازمة لقواته وحرم العدو من مباغتتها .

وقاتل بأسلوب الصفوف في معركة بدر ومعركة أحد ، وفي اكثر غزواته الاخرى ، ونظم المراضع الدفاعية وراء الخندق في غزوة الأحزاب وأمّن حراسة النقاط الخطيرة .

وقام بقتال المدن والاحراش في قتاله ضد اليهود ، كما قامت سرية ابي سلمة بالهجوم فجراً على بني أسد ، والنجاح في هذين القتالين يدل على تدريب راقٍ .

كما قام بمسيرات طويلة شاقة في مختلف الظروف والاحوال ليلاً ونهاراً ، مما يمكن اعتباره تدريباً عنيفاً .

كل هذا التدريب الفردي والاجمالي والعنيف جعل تدريب المسلمين جيداً ، وجعلهم قادرين على القتال بكفاءة في مختلف الظروف والاحوال .

هـ ـ تنظيم صحيح

كان جيش المسلمين مؤلفاً من المهاجرين والانصار ومسلمي اكثر القبـــائل

المعروفة حينذاك ، ومعنى ذلك ان جيش المسلمين كان مؤلفاً من كافة القبائل العربية لا من قبيلة واحدة . لهذا فإن انتصاره لا يعتبر فخراً لقبيلة دون أخرى ، كما ان فشل أي قبيلة في التغلب عليه لا يعتبر عاراً عليها ، لان هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون اخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، انما كان للاسلام ولمعتنقي هذا الدين من العرب وغيرهم .

انني اعتقد ان هذا التنظيم الذي لا يخضع الا لعقيدة الموحدة فقط دون غيرها من المؤثرات ، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومة جيش المسلمين حرصها على مقاومة قبيلة خاصة ، وهذا سهّل مهمة المسلمين في القتال .

و ـ تسليح ممتاز

أصبح تسليح المسلمين بالتدريج ممتازاً ، بعد ان كان المشركون متفوقين على المسلمين بالتسليح حتى انتهاء غزوة الخندق .

يكفي ان نسمع وصف الكتيبة الخضراء التي كان معها النبي في غزوة الفتح ، فقد كان افرادها لا يرى منهم الا الحدق من الحديد .

وقد شجع الرسول على صناعة السلاح : « ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في عمله الخير ، والرامي به ، والمعد له ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا » .

السبب الثالث

حرب عادلة

١ ـ معنى الحرب العادلة

هي حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه . ويشترط فيها ان تكون مطابقة للقواعد الانسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب احترام حياة واملاك الأبرياء وحسن معاملة الاسرى والرهائن .

هذا هو معنى الحرب العادلة كما تنص عليها مصادر قوانين الحرب والحياد في القانون الدولي .

الحرب العادلة اذاً ، حرب دفاعية لا عدوانية ، تستهدف تحقيق سلم دائم ، اغراضها انسانية ، تحترم حياة واملاك الابرياء ، وتعامل الأسرى والرهائن بالحسنى ...

ان حقيقة الحرب في الاسلام قبل اربعة عشر قرناً اكثر مما تنص عليه مصادر القانون الدولي في القرن العشرين ، فهي بالاضافة إلى ذلك لا تثيرها العنصريات وليست لاغراض مادية او استعمارية ، وتدافع عن حرية الرأي والعقيدة .

وسترى التطبيق العملي لكل هذه الشروط في أعمال الرسول العسكرية

٢ ـ تفصيل معنى الحرب العادلة

ا ـ حرب دفاعية

ارتكبت قريش كل أنواع الظلم والعدوان ضد المسلمين عندما كانوا في مكة، فلم يبق هناك مجال للمسلمين غير ترك أموالهم وأهليهم والهجرة من مكة إلى المدينة تخلصاً من هذا الظلم والعدوان .

هاجر اكثر المسلمين من مكة فراراً بعقيدتهم فقط ، تاركين فيها كل ما يملكونه من أهل ومال . وكان اكثر هؤلاء المهاجرين من الذين حمتهم عصبتهم من أن يصيبهم ما أصاب المستضعفين الذين عذّبتهم قريش ولقوا مصارعهم من جراء هذا التعذيب .

حتى الرسول نفسه ، لاقى التكذيب والاهانة ، واستمع بصبر عجيب إلى دعايات قريش الكاذبة ضدّه ومكافحتها العنيفة للدين الجديد .

وقد نجا الرسول من مؤامرة قريش المحكمة التي دبّرتها لاغتياله ، كما نجا من مطاردة قريش له في هجرته الى المدينة متحملاً المشاق والأهوال .

فأي ظلم وعدوان اكبر من هذا الظلم والعدوان الذي أصاب المسلمين؟ ولكن الرسول عندما فتح مكة قال لقريش : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! !

لم يقاتل الرسول عدواً إلا مضطراً لقتاله ، وكل غزواته كانت لردّ اعتداء او لإحباط نية اعتداء ، ولم يجد من عدو ميلاً للسلام الا بادر إلى تشجيع هذا الميل ، والارتباط بهذا العدو بالمحالفات .

إن دراسة أسباب غزوات الرسول بروح علمية بعيدة عن الهوى ، تثبت ان المسلمين لم يعتدوا على أحد ، لأن الله لا يحبّ المعتدين .

كما ان تلك الدراسة تثبت ان المسلمين لم يريدوا بقتالهم اكراه الناس على الدخول في الاسلام ، فقد بقي كثير من رجالات قريش على الشرك بعد الفتح واشتركوا مع الرسول في غزوة حنين ، وكان المسلمون يعرفون ان هؤلاء لا يزالون على عقيدتهم الاولى ، ومع ذلك لم يجبرهم احد على تبديل دينهم : « لا اكراه في الدين » .

من هؤلاء صفوان بن أميّة وأبو سفيان وكلدة بن الجنيد .

ألم يكن بإمكان المسلمين ان يجبروا هؤلاء على اعتناق الإسلام ، بعد أن استسلمت قريش وفتحت مكة أبوابها ؟

ان القول بأن غـاية القتال في الاسلام هي نشر الدعوة هراء لا يستند إلى الواقع ، ولكن غاية القتال هي حماية حرية الدعوة ، وشتان بين الغايتين .

ومع ان الحرب الاسلامية دفاعية لأنها بعيدة عن الظلم والعـدوان ، الا ان هذا الدفاع غير مستكن ، بل هو دفاع تعرّضي كما يسمى في المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه ان المسلمين لا يبدأون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم لسحق قوات المعتدين .

ب ـ حرب لتوطيد السلام

أظهر مشركو المدينة ويهودها بعيد هجرة الرسول ميلاً إلى السلم ، فشجّع الرسول هذا الميل وعقد معهم معاهدة أمنت للجميع حرية الرأي والأمن .

وقد حالف الرسول كل قبيلة أظهرت رغبتها في السلام كما فعل مع بني ضمرة في غزوة (ودّان) وبني مدلج في غزوة العشيرة ومع قريش في غزوة الحديبية .

بل كان الرسول يبذل كل جهده لتحقيق اغراضه السلمية حتى ولو أدى ذلك الى تذمر بعض اصحابه ، كما حدث في غزوة الحديبية .

ان السلام يؤمن الاستقرار ، وقد انتشر الاسلام في فترة صلح الحـديبية انتشاراً عظيماً بين الناس .

ومع ذلك فالجنوح الى السلم دين : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » . فلا عجب إذا رأينا الرسول يقبل بـل يشجع كافة العروض السلميـة التي تقدّم بها اعداؤه في كل مكان وزمان .

إن السلام في الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هي الاستثناء .

ولكنّ الاسلام يدعو للسلام لا للاستسلام .

ج ـ حرب انسانية

اولاً احترام الابرياء

لم يتعرض الرسول لغير المقاتلين في غزواته ، وحرص على صيانة واحترام

ارواح وأموال الأبرياء . لما استسلم بنو قريظة ، قتل المسلمون الرجـال قاتلوهم فعلاً لأنهم خانوا عهودهم وعرّضوا المسلمين للفناء ، أما الاطفال والنساء من بني قريظة فلم يصابوا بأذى ، كما ان الذين ثبتوا على عهودهم من اليهود لم يصابوا بسوء أيضاً .

والمرأة الوحيدة التي قُتلت من بني قريظـة ، هي التي قتلت مسلمـاً بقذفه بالرحي من فوق سطحها ، وإنما كان قتلها عقابـاً لها على جنايتها هذه ، كما هو واضح .

ولما خرج المسلمون لغزوة مؤتة اوصاهم الرسول بألا يقتلوا النساء والاطفال والمكفوفين ولا يهدّموا المنازل ولا يقطعوا الاشجار .

ان البريء لا يؤخذ بجريرة المذنب « ولا تزر وازرة وزر أخرى » هذا هو مبدأ الاسلام الذي لن يحيد عنه .

ثانياً الأسرى والرهائن

أسر المسلمون سبعين أسيراً من قريش في غزوة بدر ، فوزّع ثمـانية وستين من هؤلاء على اصحابه قائلاً : « استوصوا بالاسارى خيراً » .

ثم فادى اغنياء الأسرى بالمال ، أما الفقراء فأطلق سراح بعضهم دون مقابل ، وكلّف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ، ثم أطلق سراحهم بعد تعليمهم هؤلاء الأطفال .

ولكن الرسول أمر بقتل أسيرين من السبعين أسيراً ، لأنهما أجرمـا بحق المسلمين وعذّبا المستضعفين منهم وشنّعـا على الاسلام ، فكان قتلهما لجرمهما لا لانهما أسيران كما يدّعي بعض المغرضين .

ان هذين الأسيرين كانا (مجرمي حرب) كما يطلق عليهما في التعابير العسكرية الحديثة ، وعقابهما جزاء لما جنت أيديهما من ذنوب وآثام .

كما فادى الرسول الأسيرين اللذين وقعا بأيدي سرية عبدالله بن جحش ، فأسلم أحدهما وعاد الثاني ادراجه إلى مكة .

ذلك ما طبّقه المسلمون بحق الأسرى ، وهو ما ينطبق على أحدث قوانين معاملة الأسرى في العصر الحاضر . أما الرهائن ، فلم يروِ التاريخ ان المسلمين اعتدوا عليهم لأن الرهائن امانة والقرآن يقول : « ولا تخونوا أماناتكم » .

ثالثاً ـ الجرحى والقتلى

كان بعض أسرى المشركين في غزوة بدر جرحى ، وقد اعتنى المسلمون بتمريضهم عنايتهم بجرحاهم سواء بسواء .

ولم يهمل المسلمون أمر الاعتناء بجرحى أعدائهم في كل غزواتهم ، لان هذا الاعتناء قضية انسانية والاسلام دين الانسانية جمعاء .

وقد دفن المسلمون قتلى المشركين في بدر كما دفنوا شهداءهم ولم يتركوهم في العراء . أما المشركون فقد مثّلوا بشهداء المسلمين في أحد افظع تمثيل ، ولم يحدث ان مثّل المسلمون بالقتلى في أي وقت من الاوقات .

٣ ـ حرب عقيدة

ا ـ لا أغراض شخصية

لم تثر الحرب في الاسلام اغراض شخصية ، لان الاسلام في حقيقته دعوة للمصلحة العامة وتقديم للصالح العام ، ولو أدى ذلك الى تناسي مصالح الاشخاص .

ولم تثر الحرب المطامع الشخصية وحب الامجاد ، فقد أرسلت قريش عتبة بن ربيعة وهو رجل رزين هادىء ، فذهب الى رسول الله يقول له : « يا ابن أخي ، انك منا حيث علمت من المكان والنسب وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم ، فاسمع مني أعرض عليك اموراً لعلك تقبل بعضها . ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً . وان كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وان كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا » . ولكن الرسول لم يكترث بكل هذا الاغراء .

واشتدّت عداوة قريش ، وعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم له فقال لمحمد : « ابق على نفسك وعلي ، ولا تحمّلني من الامر ما لا أطيق » . قال الرسول : « يا عماه . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله او اهلك فيه ، ما تركته » .

لقد كان الرسول يردّد دائماً : انما انا بشر مثلكم ، ولم يترفع ابداً عن الفقراء والضعفاء والمساكين والخدم ، وسيرته في كل ذلك مضرب الامثال .

ان حماية حرية نشر العقيدة هي التي اثارت الحرب في الاسلام ، ولم يكن من اسباب اثارتها الاغراض الشخصية من بعيد او قريب .

ب ـ حرب لا عنصريّة

ليس الاسلام ديناً لقبيلة دون قبيلة ، ولا لأمة دون امة ، ولا للعرب دون العجم . ولكنه للناس جميعاً للعالمين ! ... « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً » فالاسلام يعمل لفكرة جليلة ـ فكرة وحدة الانسانية .

انه دين يقاوم العصبية والتعصب ، ويكافح العناصر والاجناس ، لانه يريد ان يجمع العالم كله على صعيد واحد : لتوحيد كلمتهم وتوحيد الله .

« انما المؤمنون اخوة » « وليس لعربي فضل على اعجمي الا بالتقوى » « وسلمان منا آل البيت » ، « كلها معناها ان الاسلام قوميّة ودين تنصهر فيه كل قوميته وكل دين .

لقد رأينا ان الحرب الاجماعية التي دعا اليها الألمان ترتكز على العنصرية الجرمانية ، ورأينا سيطرة التفريق العنصري البغيض بين البيض والسود في اميركا وفي جنوب افريقيا وغيرها من البلاد ، كل هذا في القرن العشرين عصر النور والمدنية !

اما الاسلام قبل اربعة عشر قرناً ، فقد قاوم العنصريات والاجناس ، ودعا الى توحيد الاهداف ، فمن آمن بالاسلام كان دمه وعرضه وماله حراماً على المسلمين : « المسلم اخو المسلم » .

كان الرسول من قريش ، ولكنه قاتل قريشاً حين اعتدت على المسلمين، وكان عربياً ولكنه قاتل قومه العرب دفاعاً عن الاسلام .

ولما تصدى الروم لعرقلة دعوته ، قاتلهم . وعندما التحق بالرفيق الاعلى ، قاتل حلفاؤه الفرس وغيرهم من الاقوام والاجناس .

ان اعداء المسلمين على اختلاف قومياتهم واجناسهم ، انصهروا بعد اسلامهم بالمسلمين ، فأصبح عليهم ما على المسلمين ولهم ما للمسلمين .

إن الاسلام ساوى بين الناس في الدنيا وفي الآخرة ... امام الناس وامام الله « الا وان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ج ـ حرب لا مادية

لم يكن من اغراض القتال في الاسلام الحصول على المادة والبحث عن الاسواق والخامات واسترقاق المرافق وفرض الاستعمار .

خرج المسلمون للتصدي بقافلة ابي سفيان العائدة من الشام في غزوة بدر ، لانهم ارادوا ان يحرموا قريشاً من طريق مكة ـ الشام التجارية فيؤثرون بذلك على حالتها الاقتصادية حتى يخففوا من غلواء عدوانهم على المسلمين .

ولكنّ القافلة افلتت من ايديهم ، ومع ذلك اصطدمت قواتهم بالمشركين .

ولو كانت القضايا المادية هي التي دعتهم للخروج الى بدر ، لعادوا ادراجهم عندما علموا بوصول قافلة قريش سالمة الى مكة ... وقد كان تخلصهم من القتال سهلاً للغاية .

وبعد غزوة حنين ، انتظر الرسول حوالي شهر قدوم وفد هوازن اليه ليعيد اليهم ما غنمه المسلمون من اموالهم ، ولكنهم لم يحضروا ، فاضطر الى توزيع الغنائم ، واعاد السبي الى وفد هوازن الذي وصل بعد توزيع الغنائم على الناس .

ولكن ما هو نصيب الرسول من الغنائم ؟ انه الخمس ، وهذا الخمس مردود عليهم . لانه يصرف في مصالحهم العسكرية وغير العسكرية ، فهل ابقى الرسول لنفسه شيئاً من المال ؟

قالت عائشة : « لم يمتلىء جوف النبي (ص) شبعاً قط ، وانه كان في اهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ، ان اطعموه أكل ، وما اطعموه قبل ، ومـــا سقوه شرب » .

وقالت : « مـــا شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين ، حتى قبض رسول الله (ص) » .

وقالت : « كنا آل محمد نمكث شهراً ما نستوقد بنار، ان هو الا التمر والماء»

وقالت : « توفي رسول الله (ص) وليس عندي شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير في رف لي . وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير » .

ذلك ما ابقاه الرسول لنفسه ، ولو كانت له رغبة في المادة ، لابقى لنفسه مال زوجه خديجة ، وهو مال كثير !!

واذا كانت الاهداف رفيعة ، تعبت في الحصول عليها الاجساد ، وقد أتعب الرسول نفسه واهله واصحابه في سبيل اهداف الاسلام ، ليكونوا اسوة حسنة للمسلمين في كل زمان ومـكان .

٤ - حرب مثالية

إن تعريف الحرب العادلة كما تنص عليه مصادر القانون الدولي ، بالرغم من انه حبر على ورق بالنسبة لـكافة الحروب قديماً وحديثاً ، الا انه قاصر عن الوفاء بحقّ تعريف القتال في الاسلام .

إن اصح تعبير يمكن اطلاقه على تلك الحرب هو : الحرب المثالية .

مثالية لان اهدافها الدفاع عن حرّية الرأي وتوطيد اركان السلام : تصون ارواح واموال الابرياء والضعفاء ، وتعطف عـــلى الاسرى والرهائن وتواسي المرضى والجرحى ، ولا تمثّل بالقتلى بل تدفنهم كقتلاها ، ولا تثيرها الاغراض الشخصية ولا العصبية ولا المنافع المادية ولا الاستغلال والاستعمار .

فاذا لم تكن هذه الحرب مثالية ، فأي حرب في التاريخ كله يمكن ان يطلق عليها هذا التعبير ؟

عجب ، اذن اذا استطاعت هذه الحرب ان تسيطر على العقول بالمثل العليا قبل ان تسيطر على الحصون والقلاع بالسلاح والرجال .

ان هذه الحرب المثالية ، جعلت جراح المغلوبين تلتئم بسرعة ، فينضمّون طائعين الى الغالبين ليكونوا جميعاً تحت راية واحدة ، هي راية الاسلام .

ولو كانت حرباً ظالمة لما دام الظلم ، لان الظلم لايدوم وان دام دمر الغالب والمغلوب فهل يفقه الظالمون ذلك ، ام على قلوبهم أقفالها ؟ !

ولكنها كانت حرباً عادلة الى حدود المثالية ، فاستجاب العرب لأهدافها العالية ، ثم حملوا رسالة تلك الاهداف الى العالم ، واستجاب لها الفرس وأهل الشام وكثير من الامم والقوميّات الاخرى ، ثم حملوا بدورهم مشعل هدايتها شرقاً وغرباً ، فاستنار الشرق بنور الاسلام على حين كان الغرب في دياجير الجهل والظلام .

السبب الرابع

ضعف الاعداء

كان اعداء المسلمين ضعفاء على الرغم من كثرتهم ، لان العدد الضخم من الجنود لا قيمة له اذا لم يتحص اولئك الجنود بالمعنويات العالية .

لقد رأينا في بحث الموقف العسكري العام للطرفين ، ان العرب كانوا متفرقين لا يخضعون إلا لسيطرة رؤسائهم الذين تسيطر عليهم الاهواء والعصبيات .

كما كان النظام العسكري عند الروم والفرس فاسداً ، ولم يكن لكل هؤلاء الاعداء اهداف معينة يؤمنون بها ويضحون بأرواحهم واموالهم في سبيلها ، كما كان يفعل المسلمون .

ولم تكن قيادة اعداء المسلمين كفؤة ، لان قيادة القبائل العربية كانت بيد رؤسائها ، وقيادة الفرس والروم بيد نبلائها الاقطاعيين ، حتى ولو كان اولئك الرؤساء وهؤلاء النبلاء لا كفاءة لهم ولا عقلية ولا مؤهلات .

إن اسباب ضعف اعداء المسلمين إذن هي : ضعف القيادة التي كانت وراثية على الأغلب ونظام عسكري فاسد لا يقبل الجنود فيه على القتال إلا بدافع الارتزاق او بدافع خوف الرؤساء والنبلاء البعيدين عن مشاركة جنودهم في شعورهم واحساسهم ، وعدم وجود اهداف مثالية تؤمن بها قوات العرب والفرس والروم على حد سواء .

ولن ينتصر جيش مهما يكن ضخماً ، اذا كانت كل اسباب الضعف هذه تنخر في قيادته ونظامه ومعنوياته .

الارض للصالحين

ان النتائج العسكرية لكفاح المسلمين بقيادة محمد ، كانت متوقعة منذ بدأ

هذا الكفاح ، لان الرسول اعدّ كافة وسائل النصر على اعدائه الكثيرين ، ولهذا كان واثقاً من النصر ، فبشر به أصحابه في كل مناسبة .

إصطدمت قوتان غير متكافئتين : كان للمسلمين قيادة موحدة مثالية هي قيادة الرسول ، رشحته لها كفاءة ممتازة وعبقرية فذة ؛ وكان لاعداء المسلمين قوادٌ غير أكفاء رشحتهم لها وراثة الآباء والأجداد وكان قتال المسلمين دفاعاً عن عقيدتهم ولتوطيد اركان السلام ، فحربهم عادلة مثالية ، بينما كان قتال أعدائهم لتوطيد اركان الظلم والعدوان ، فحربهم غير عادلة .

وكان للمسلمين عقيدة راسخة وأهدافٌ معلومة ، ولم يكن لأعدائهم عقيدة ولا اهداف .

تلك هي اسباب انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة ، وتلك هي أسباب انتصار كل قوة في كل زمان ومكان .

انّ الارض يرثها العباد الصالحون ، وقد كان المسلمون حينذاك هم العباد الصالحين فورثوا الارض ومن عليها وبقوا يحكمونها حتى غيّروا ما بأنفسهم ، فتبدّل الحال غير الحال ...

وسيعيدون سيرتهم الاولى بعد ان شمل الوعي الجديد بلاد العرب ، لان العرب مادة الاسلام .

لقد قمنا بدراسة حياة محمد العسكرية من الناحية العسكرية البحتة ، فإن اصبنا في بعض نواحيها فتوفيق من الله،وان اخطأنا في بعض نواحيها فأن الكمال لله وحده . وحسبنا ان تكون هذه الدراسة اول دراسة فنية لحياة الرسول العسكرية ، هذه الحياة التي تستحق دراسة أوسع وادق ، وفيها كل ما يستحق الاكبار والاعجاب .

وأحمد الله على توفيقه ، وأشكره على تسديده وصلى الله على محمد القائد الرسول .

محمود شيت خطاب

الزعيم الركن

المراجع العربية

التسلسل	اسم المصدر	اسم المؤلف
١	تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
٢	تفسير الكشاف	الزمخشري
٣	تفسير النار	محمد رشيد رضا
٤	كتاب البخاري (الجامع الصحيح)	للإمام البخاري
٥	المنتقى من أخبار المصطفى	ابن تيمية
٦	تيسير الوصول في جامع الاصول	ابن ربيع الشيباني
٧	زاد المعاد في هدى خير العباد	ابن القيم الجوزي
٨	هدى الرسول (مختصر زاد المعاد)	محمد أبو زيد
٩	المحلى (الجزء السابع) عن الجهاد	ابن حزم
١٠	الخراج	القاضى أبو يوسف
١١	سيرة النبي ﷺ	أبو محمد عبد الملك بن هشام
١٢	حياة محمد	محمد حسين هيكل
١٣	الوحي المحمدي	محمد رشيد رضا
١٤	محمد المثل الكامل	محمد احمد جاد المولى
١٥	عصر الانطلاق	محمد اسعد طلس
١٦	الفكر الخوالد للنبي محمد ﷺ	محمد علي
١٧	المثل الأعلى في الانبياء	خ. كمال
١٨	خاتم النبيين	محمد خالد
١٩	سيرة الرسول	محمد عزة دروزة
٢٠	جوامع السيرة	ابن حزم
٢١	فقه السيرة	محمد الغزالي
٢٢	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد

تابع للمراجع العربية

المسلسل	اسم المصدر	اسم المؤلف
٢٣	نفسية الرسول العربي	لبيب الرياشي
٢٤	محمد الثائر الأعظم	فتحي رضوان
٢٥	الأبطال	توماس كارليل
٢٦	في منزل الوحي	محمد حسين هيكل
٢٧	تاريخ الرسل والملوك	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٨	تاريخ الكامل	ابن الاثير
٢٩	مروج الذهب	علي بن الحسين المسعودي
٣٠	فجر الاسلام	أحمد امين
٣١	المختصر من تاريخ البشر	أبو الفدا
٣٢	تاريخ الاسلام السياسي	حسن ابراهيم حسن
٣٣	أسد الغابة	ابن الاثير
٣٤	تاريخ التمدن الاسلامي	جرجي زيدان
٣٥	شهداء الاسلام في عهد النبوة	علي سامي النشار
٣٦	سيف الله خالد بن الوليد	أبو زيد شلبي
٣٧	قصص الانبياء	عبد الوهاب النجار
٣٨	الاسلام الصحيح	محمد اسعاف النشاشيبي
٣٩	الاسلام والنصرانية	محمد عبده
٤٠	الاسلام دين الفطرة	عبد العزيز جاويش
٤١	سفرة الزاد لسفرة الجهاد	محمود الآلوسي
٤٢	القرآن والقتال	محمود شلتوت
٤٣	السياسة الشرعية	ابن تيمية
٤٤	نظم الحرب في الاسلام	جمال الدين عياد
٤٥	النظم الاسلامية	حسن وعلي ابراهيم حسن

التسلسل	اسم المصدر	اسم المؤلف
٤٦	منهاج الاسلام في الحكم	محمد اسعد
٤٧	الشرع الدولي في الاسلام	نجيب الارمنازي
٤٨	شريعة الحرب في الاسلام	محمد المعراوي
٤٩	الرسالة المحمدية	سليمان الندوي
٥٠	الجندية في الدولة العباسية	الرئيس الركن نعمان ثابت
٥١	العرب والامبراطورية العربية	كارل بوكلمن
٥٢	دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدي
٥٣	العبقرية العسكرية في غزوات الرسول	صاغ محمد فرج
٥٤	معارك الاسلام الكبرى	الصاغ جمال الدين حماد
٥٥	معارك الاسلام الأولى	بكباشي محمد جمال الدين محفوظ
٥٦	الحضارة العربية	ي. هل
٥٧	حضارة الاسلام	جوستاف جرونيباوم
٥٨	وحي القلم	مصطفى صادق الرافعي
٥٩	قانون الحرب والحياد	سامي جنينه
٦٠	أسس الصحة النفسية	عبد العزيز القوصي
٦١	الجغرافية العسكرية الجزء الاول (الاسس)	العميد الركن طه الهاشمي
٦٢	نظامات الخدمة السفرية	كتاب رسمي
٦٣	ادارة الحرب	كتاب رسمي
٦٤	الفرقة في المعركة	كتاب رسمي
٦٥	فوج مشاة في المعركة	كتاب رسمي
٦٦	مجموع المجلة العسكرية العراقية	الأعداد ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٧
٦٧	مجلة المجمع العلمي العراقي	المجلد الرابع والمجلد الخامس
٦٨	نظام السلم والحرب في الاسلام	الدكتور مصطفى السباعي

المراجع الأجنبية

1. The spirit of Islam by Sayed Amir Ali
2. Life of Mahomet by Sir William Muir
3. Mohammad by Margaliouth
4. Quran and war by Maulvi Sadr - ud Din
5. War and religion by Muhammad Marmaduke pickthall
6. The Battelfields of The Prophet Muhammad
   by Muhammad Hamidullah
7. Ghambers' Encyclopedia
8. Encyclopedia Britannica

محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
١	**مقدمة**	٥
	مقدمة الطبعة الثانية	١٣
٢	**الحرب العادلة**	١٧
	القتال في الاسلام	١٩
	معنى القتال في الاسلام	١٩
	متى شرع القتال في الاسلام	١٩
	اهداف القتال في الاسلام : ١ ـ حماية حرية نشر	١٩
	الدعوة . ٢ ـ توطيد اركان السلام	٢٠
	انواع القتال في الاسلام : ١ ـ قتال المسلمين	٢١
	للمسلمين ٢ ـ قتال المسلمين لغير المسلمين	٢٢
	تنظيم القتال في الاسلام : ١ ـ تقوية المعنويات .	٢٤
	٢ ـ إعداد القوة المادية . ٣ ـ التنظيم العملي للقتال .	٢٥ ـ ٢٦
	شروط القبول للجندية : ١ ـ البلوغ .	٣٠
	٢ ـ الاسلام . ٣ ـ السلامة . ٤ ـ الاقدام .	٣١
	النفير : ١ ـ في حالة الدفاع . ٢ ـ في حالة التعرض	٣١
	الخلاصة	٣٣
٣	**قبل نشوب القتال**	٣٥
	الموقف العسكري العام	٣٧
	المسلمون : ١ ـ الدعوة سراً ٢ الدعوة علناً	٣٧
	٣ ـ بيعة العقبة الاولى ٤ ـ بيعة العقبة الثانية	٣٨ ، ٣٩
	٥ ـ التحشد في المدينة ٦ ـ انجاز التحشد ٧ ـ النتائج	٤٠ ـ ٤٤
	العرب والروم والفرس : ١ ـ العرب .	٤٥ ـ ٤٧
	٢ ـ الروم ٣ ـ الفرس ٤ ـ النتائج .	

تابع محتويات الكتاب

تسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
	مناقشة الموقف العسكري للطرفين	٤٨
٤	**الدفاع عن العقيدة**	٥١
	دوريات القتال والاستطلاع الاولى	٥٣
	الموقف العام : ١ـ المسلمون ٢ـ المشركون واليهود	٥٣
	الهدف الحيوي من الدوريات	٥٥
	سير الحوادث : ١ ـ سرية حمزة ٢ ـ سرية عبيدة ابن الحارث ٣ ـ سرية سعد ٤ ـ غزوة ودان ٥ ـ غزوة بواط ٦ ـ غزوة العشيرة ٧ ـ غزوة بدر الأولى ٨ ـ سرية عبدالله بن جحش .	٥٥ ـ ٥٩
	دروس من الدوريات : ١ ـ الاستطلاع ٢ ـ القتال ٣ ـ الكتمان ٤ ـ الحصار الاقتصادي	٦٠ ـ ٦١
	الملحق (أ) مجمل بيان دوريات القتال والاستطلاع الأولى	٦٢ ـ ٦٣
٥	**الصراع الحاسم بين عقيدتين**	٦٥
	غزوة بدر الكبرى المعركة الحاسمة الاولى للاسلام	٦٧
	الموقف العام : ١ ـ المسلمون ٢ المشركون واليهود	٦٧
	قوات الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٦٩
	أهداف الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٦٩
	قبل المعركة ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٧٤
	سير القتال	٧٦
	خسائر الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٧٨
	أسباب انتصار المسلمين : ١ ـ قيادة موحدة	٧٨
	٢ـ تعبئة جديدة ٣ـ عقيدة راسخة ٤ـ معنويات عالية	٨٣

تابع محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
	دروس من بدر : ١ ـ الاستطلاع ٢ ـ القيـــادة ٣ ـ الضبط والمعنويات والعقيدة ٤ ـ القضايا التعبوية ٥ ـ القضايا الادارية	٨٤ - ٨٦
٦	**القاعدة الامينة**	٨٩
	تطهير المدينة وفرض الحصار على قريش	٩١
	الموقف العام : ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون واليهود	٩١
	الهدف الحيوي.	٩٢
	حصـــار بني قينقاع : ١ ـ أسباب الحصار ٢ ـ قوات الطرفين ٣ ـ الهدف ٤ ـ الحوادث	٩٢ - ٩٣
	فرض الحصار الاقتصادي على قريش : ١ ـ غزوة بني سليم ٢ ـ غزوة السويـــق ٣ ـ غزوة ذي أمر ٤ ـ غزوة بحران ٥ ـ سرية زيد بن حارثة	٩٤ - ٩٨
	دروس من حركات التطهير : ١ ـ القاعدة الامينة ٢ ـ الحصار الاقتصادي	٩٩ - ١٠٠
	الملحق (ب) الغزوات والسرايا بين بدر وأحد	١٠٢ - ١٠٣
٧	**النصر المغلوب**	١٠٥
	غزوة أحد	١٠٧
	الموقف العام ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون واليهود	١٠٧
	قوات الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	١٠٨
	أهداف الطرفين ١ ـ المشركون ٢ ـ المسلمون	١٠٨ - ١٠٩
	قبل المعركة ١ ـ المشركون ٢ ـ المسلمون	١٠٩
	سير القتال ١ ـ بدء المناوشات ٢ ـ اشتداد القتال ٣ ـ هجوم المشركين المقابل	١١٢ - ١١٥

تابع محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	صفحة
	عودة الطرفين : ١ - المشركون ٢ - المسلمون	١١٨
	خسائر الطرفين : ١ - المشركون ٢ - المسلمون	١١٩
	أسباب النكبة : ١ - أنصر ام اندحار ٢ - اسباب خسائر المسلمين	١١٩
	دروس من احد ١- الحصول على المعلومات ٢ - القيادة ٣ - القضايا التعبوية ٤ - القضايا الإدارية	١٢١ - ١٢٤
	احد في التاريخ	١٢٤
٨	**إعادة النظام**	١٢٧
	بعد أحد	١٢٩
	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون ٣ - اليهود	١٢٩ - ١٣٠
	أهداف الطرفين ١ - المسلمون والمشركون واليهود	١٣٠
	سير الحوادث : ١ - سرية ابن سلمة ٢ - دورية عبدالله بن أنيس ٣ - غزوة بني النضير ٤ - غزوة ذات الرقاع ٥ - غزوة بدر الآخرة ٦- غزوة دومة الجندل ٧ - غزوة بني المصطلق .	١٣٠ - ١٣٨
	دروس من غزوات التطهير : ١ - المسير الليلي ٢ الهجوم فجراً ٣ - قتال المدن والشوارع ٤ - الإبداع ٥ - المعنويات	١٣١ - ١٣٩
	الملحق (جـ) غزوات التطهير	١٤٢ - ١٤٣
٩	**هازم الاحزاب**	١٤٥
	غزوة الخندق	١٤٧
	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	١٤٧
	قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	١٤٨
	اهداف الطرفين ١- المسلمون ٢- المشركون واليهود	١٤٨

تابع محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
	التوقيت	١٤٨
	قبل المعركة ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون واليهود	١٥٠
	سير القتال	١٥١
	خسائر الطرفين ١ المسلمون ٢ ـ المشركون	١٥٤
	أسباب فشل الأحزاب : ١ ـ قيادة غير موحدة ٢ ـ المباغتة بالخندق ٣ ـ الطقس ٤ ـ انعدام الثقة ٥ ـ الصبر على الحصار	٥٤ ـ١٥٦
	دروس من غزوة الخندق : ١ ـ القيادة ٢ ـ تعبئة جديدة ٣ ـ الحرب خدعة ٤ ـ المباداة .	١٥٦ ـ ١٥٨
١٠	**القصاص العادل**	١٥٩
	محاسبة الغادرين	١٦١
	الموقف العام ١ـ المسلمون ٢ـ المشركون ٣ ـ اليهود	١٦١
	الهدف الحيوي	١٦٢
	غزوة بني قريظة ١ ـ أسباب الغزوة ٢ ـ قوات الطرفين ٣ ـ الهدف ٤ ـ الحوادث	١٦٢ ـ ١٦٣
	سرية عبدالله بن عتيك ١ ـ الهدف ٢ ـ الحوادث	١٦٤
	غزوة بني لحيان ١ ـ الهدف ٢ ـ الحوادث	١٦٥
	غزوة ذي قرد ١ ـ الهدف	١٦٦
	دروس من غزوات محاسبة الغادرين : ١ ـ الوقت ٢ ـ المباغتة ٣ ـ القصاص ٤ ـ العقيدة ٥ ـ القضايا الادارية	١٦٧ ـ ١٧٢
	الملحق (د) غزوات عقاب الغادرين	١٧٣

تابع محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
١١	**الفتح القريب**	١٧٥
	غزوة الحديبية	١٧٧ - ١٧٨
	الموقف العام ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون واليهود	
	قوات الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	١٧٨
	أهداف الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ قريش	١٧٩
	الاعمال التمهيدية : ١ ـ الحصول على المعلومات ٢ ـ المناوشات ٣ ـ المفاوضات الابتدائية ٤ المفاوضات النهائية	١٧٩ - ١٨٣
	الهدنة : ١ ـ نص وثيقة الهدنة ٢ ـ أهم بنود الهدنة	١٨٤ - ١٨٥
	دروس من الحديبية ١ ـ توخي الهدف ٢ ـ الضبط ٣ ـ الحياد المسلح ٤ ـ حرب الدعاية	١٨٥ - ١٩١
	نتائج الحديبية	١٩٢
١٢	**فترة الهدنة**	١٩٥
	ثمرات الحديبية	١٩٧
	الموقف العام ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون ٣ ـ اليهود	١٩٧ - ١٩٨
	الهدف الحيوي	١٩٨
	غزوة خيبر : ١ ـ اسباب الغزوة ٢ ـ قوات الطرفين ٣ ـ الهدف ٤ ـ سير الحوادث ٥ ـ خسائر الطرفين	
	نهاية اليهود في الجزيرة : ١ ـ يهود فدك ٢ ـ يهود وادي القرى ٣ ـ يهود تيماء ٤ ـ النتائج	٢٠
	السيطرة على الاعراب : ١ الهدف ٢ ـ الحوادث ٣ النتائج	٢٠٣

تابع محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
	غزوة مؤتة : ١ ـ اسباب الغزوة ٢ ـ قوات الطرفين ٣ ـ الهدف ٤ ـ سير الحوادث ٥ ـ خسائر الطرفين ٦ ـ النتيجة	٢٠٣-٢٠٦
	غزوة ذات السلاسل : ١ ـ اسباب الغزوة ٢ ـ سير الحوادث	٢٠٧
	دروس من ثمرات المدنة : ١ ـ القضايا التعبوية ٢ ـ المعنويات ٣ ـ الامانة ٤ ـ إكمال التحشد ٥ـنشر الاسلام ٦ ـ القضايا الادارية ٧ ـ النتائج	٢٠٨ ـ ٢١٣
	الملحق (هـ) دوريات القتال للسيطرة على الاعراب	٢١٤ ـ ٢١٥
	الملحق (و) مكاتبة الرسول للملوك والرؤساء والامراء من النصارى	٢١٦ ـ ٢١٧
	الملحق (ز) مكاتبة الرسول للملوك والامراء والرؤساء المجوس والمشركين واتباع كسرى	٢١٨ ـ ٢١٩
١	**عودة المستضعفين**	٢٢١
	فتح مكة	٢٢٣
	الموقف العام ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٢٣
	إعلان الحرب ١ ـ المسلمون ٢ ـ قريش	٢٢٤
	الاستحضارات	٢٢٥
	قوات الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٢٦
	في الطريق الى مكة	٢٢٦
	قبل دخول مكة	٢٢٩
	خطة الفتح	٢٣٠

تابع محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
	الفتح	٢٣٠
	في مكة	٢٣١
	خسائر الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٣٣
	دروس من الفتح : ١ ـ المباغتة ٢ ـ المعلومات ٣ ـ بعد النظر ٤ ـ التنظيم ٥ ـ المعنويات ٦ ـ السلم ٧ ـ الوفاء ٨ ـ التواضع ٩ ـ العقيدة ١٠ ـ تحطيم الاصنام ١١ ـ القضايا الادارية	٢٣٤ ـ ٢٤٢
١٤	**استثمار الفوز**	٢٤٣
	غزوة حنين وحصار الطائف	٢٤٥
	الموقف العام ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٤٥
	قوات الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٤٦
	أهداف الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٤٦
	قبل المعركة ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٤٨
	القتال : ١ ـ هجوم المشركين ٢ ـ هجوم المسلمين المقابل ٣ ـ المطاردة	٢٤٩ ـ ٢٥٠
	حصار الطائف	٢٥١
	خسائر الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ المشركون	٢٥٢
	اسباب ترك الحصار	٢٥٢
	الغنائم : ١ ـ التكديس ٢ ـ التوزيع ٣ ـ إعادة السبي	٢٥٣
	دروس من حنين والطائف ١ ـ المباغتة ٢ ـ القيادة ٣ ـ المطاردة ٤ ـ المعلومات ٥ ـ المعنويات ٦ ـ العقيدة ٧ ـ حرب الفروسية ٨ ـ القضايا الادارية	٢٥٤ ـ ٢٦٢

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
١٥	**مولد امبراطورية**	٢٦٧
	غزوة تبوك	٢٦٩
	الموقف العام ١ ـ المسلمون ٢ ـ المنافقون ٣ ـ المنافقون ٤ ـ الرومان	٢٦٩ ٢٧٠
	اسباب غزوة تبوك : ١ ـ اسباب مباشرة ٢ ـ اسباب غير مباشرة	٢٧١
	اهداف الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ الروم	٢٧١
	قوات الطرفين ١ ـ المسلمون ٢ ـ الروم	٢٧٢
	الاستحضارات ١ ـ المسلمون ٢ ـ الروم	٢٧٢ ـ ٢٧٣
	الحركة ١ ـ المسلمون ٢ ـ الروم	٧٣
	السيطرة على المنطقة : ١ ـ مصالحة صاحب ايلة ٢ ـ مصالحة هل الجرباء واذرح ٣ ـ مصالحة اهل دومة الجندل	٢٧٤
	عودة المسلمين	٢٧٥
	دروس من تبوك ١ ـ الحرب الاجماعية ٢ ـ عقاب المتخلفين ٣ ـ التدريب العنيف ٤ ـ المسير الليلي ٥ ـ المعنويات ٦ ـ المعلومات ٧ ـ الضبط	٢٧٥ ـ ٢٨٣
	النتائج	٢٨٤
	الملحق (ح) الغزوات التي قادها الرسول بنفسه	٢٨٦ ـ ٢٩٢
١٦	**التطبيق العملي**	٢٩٣
	الخاتمة	٢٩٥
	بحث مقارن	٢٩٥

تابع محتويات الكتاب

التسلسل	تفاصيل البحث	الصفحة
	مجمل اسباب النصر	٢٩٧
	قيادة عبقرية (السبب الاول) : ١ ـ مجمل صفات القائد ٢ ـ تفصيل الصفات ا ـ قرار صحيح ب ـ شجاعة شخصية جـ ـ ارادة قوية ثابتة د ـ تحمل المسؤولية هـ ـ نفسية لا تتبدل و ـ سبق النظر ز ـ عرفه النفسيات والقابليات ح ـ الثقة المتبادلة ط ـ المحبة المتبادلة ي ـ الشخصية ك ـ القابلية البدنية ل ـ الماضي الناصع المجيد م ـ معرفة وتطبيق مبادىء الحرب ٣ ـ مزايا اخرى ا ـ المساواة ب ـ الاستشارة جـ ـ أساليب جديدة د ـ قيادة مثالية	٢٩٩
	جنود ممتازون (السبب الثاني) : ١ ـ مزايا الجندي الممتاز ٢ ـ تفصيل المزايا ا ـ عقيدة راسخة ب ـ معنويات عالية جـ ـ ضبط قوي د ـ تدريب جيد هـ ـ تنظيم صحيح و ـ تسليح ممتاز .	٣٢٦ ـ ٣٣١
	حرب عادلة (السبب الثالث : ١ ـ معنى الحرب العادلة ٢ ـ تفصيل معنى الحرب العادلة أ ـ حرب دفاعية ب ـ حرب لتوطيد السلام جـ ـ احترام الابرياء د ـ الاسرى والرهائن هـ ـ الجرحى والقتلى ٣ ـ حرب عقيدة : أ ـ لا أغراض شخصية ب ـ حرب لا عنصرية جـ ـ حرب لا مادية ٤ ـ حرب مثالية	٣٣٢ = ٣٣٩
	ضعف الأعداء (السبب الرابع)	٣٤١
	الارض للصالحين	٣٤١
	المراجع العربية	٣٤٥ = ٣٤٧
	المراجع الاجنبية	٣٤٨

محتويات الكتاب من الخرائط والمخططات

التسلسل	الخريطة او المخطط	الصفحة
١	خريطة الممالك العربية عند ظهور الاسلام	٣٢
٢	خريطة الطرق بين مكة والمدينة	٥٤
٣	خريطة مواقع بعض الغزوات	٦٨
٤	خريطة ميدان أحد	١١٣
٥	خريطة ميدان الخندق	١٤٩
٦	خريطة فتح مكة	٢٣٢
٧	خريطة غزوة حنين	٢٤٧
٨	مخطط منجنيق لرمي النفط	٢٥٥
٩	مخطط منجنيق لرمي السهام	٢٥٨
١٠	انتشار الاسلام في عهد النبي	٢٧٦